تصحيح أفكار ومعتقدات

2

الجن حقيقة أم خيال؟

سليم الجابي

ماجستير علم الأديان المقارن

سليم الجابي

الجن حقيقة أم خيال؟

2 تصحيح أفكار ومعتقدات

الجن حقيقة أم خيال

سليم الجابي
ماجستير علم الأديان المقارن

الجن حقيقة أم خيال؟

2002
2003

عنوان المؤلف
دمشق - سورية
ص ب 5425
هاتف 5130925 11 963+

الطبعة الأولى
2000 نسخة

العمليات الفنية
الأوائل للنشر والتوزيع
والخدمات الطباعية
تلفاكس 2248255 11 963+

- تجدون كل المعلومات المتعلقة بسلسلة مؤلفات المفكر سليم الجابي على العنوان الإلكتروني التالي على شبكة الإنترنت :

http://www.saleemaljabi.com

- يتلقى المؤلف برحابة صدر كل الإنتقادات و الأراء و الاستفسارات على البريد الإلكتروني :

saleem@saleemaljabi.com

- حقوق الطبع و النشر محفوظة للمؤلف ولا يجوز طباعة الكتاب أو نقله على أي نحو او باي طريقة سواء كانت الكترونية أو ميكانيكية إلا بإذن خطي من المؤلف ومن يخالف ذلك يعرض نفسه للمسائلة القانونية مع حفظ كافة حقوق المؤلف المدنية والجنائية

صدر للمؤلف

- السلسلة العامة:

القراءة المعاصرة تحت المجهر
نظرية جذور الأخلاق
القضاء و القدر حقيقة كونية ثابتة
النظرية القرآنية الكونية حول خلق العالم
الرأي في المرأة والحرية و التراث
فن الاختزال القرآني [المقطعات القرآنية]
هل مات المسيح على الصليب ؟
الله جل جلاله [وصاله وعرفانه وطرق التقرب منه سبحانه]
نشوء الإنسان وتطوره
منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره

- سلسلة باب العبادات:

الصوم في الإسلام

- سلسلة باب التفسير

في ظلال دلالات سورة الكهف
في ظلال دلالات سورة الإسراء
في ظلال دلالات سورة هود

- سلسلة تصحيح أفكار ومعتقدات

مثنى وثلاث ورباع
الجن حقيقة أم خيال ؟
يصدر قريبا من هذه السلسلة:
هل كان محمداً [صلعم] شهوانياً ؟

المقدمة

قال الله تعالى في الآيات 192/ 193/ 194/ 195 من سورة الشعراء ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ فقول الله تعالى بحقّ كتابه العزيز أنّه أنزله ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ يعني أنّ الله تعالى قد أنزل كتابه العزيز بلغة عربيّة لها نسبٌ صحيحٌ في تاريخ الأمة العربيّة (محيط المحيط).

فماذا نقصد من قولنا (بلغةٍ لها نسبٌ صحيحٌ)؟

القصد هو أنّ اللّغة العربيّة التي أنزل الله العزيز هذا القرآن العظيم بها تتميّز عن بقيّة لُغات العالم بأنّها لغةٌ علميّةٌ قائمةٌ على قوانين وأصول لذلك فإنّ مفرداتها تشكّلُ مجموعات وتدور كلّ مجموعة منها حول مصدر ثلاثيّ الأحرف ويحافظ كلّ لفظ من كلّ مجموعة على أصله ونسبه المتّصل بالمصدر الذي اشتقّ منه. وإلى هذا النّسب وحقيقته يستند أعضاء مجامع اللّغة العربيّة في عمليّة وضعهم ترجمات لألفاظ أجنبية.

وما دام بحثنا هذا يتعلّقُ بكلمة (جنّ) فقد كان من واجب الباحث أن يتحرّى عن نسب هذه الكلمة في معاجم اللّغة. وليس أن يأخذ لها معنى متداولاً بين الناس المعاصرين ولمجرّد التّقليد. هذا إن كان يريد وجه الله تعالى وخدمة كتابه العزيز. خصوصاً وأنّ كلمة (جنّ) هذه قد وردت

ضمن آيات هذا القرآن العربيّ اللسان أكثر من ثلاثين مرّة. ولا يُعقلُ أنّ يكون اللّه تعالى استعمل هذا اللّفظ تقليداً ومن دون اشتقاقٍ ونسب.

وانطلاقاً مما ذكرناه فإنه كان من واجبنا التّعرّف إلى مجموعة نسب هذه الكلمة المؤلّفة من ثلاثة أحرف وهي كلمة (جنّ) وليس أن نُعطي هذه الكلمة معناها المتداول بين عامّة النّاس خطأ أولئك الذين يُسيئون إلى كتاب اللّه العزيز ويكسبون غضب اللّه تعالى عليهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون وبما يفهمونه من معنى تقليديّ متوارث عن المفهوم الوثنيّ الجاهليّ الذي يتنافى ومُعطيات النسب العربيّ لهذه الكلمة الواردة في هذا القرآن الكريم.

والذي يتبيّن من معاجم اللّغة العربيّة هو أنّ الفعل من كلمة (جنّ) هو(جَنَّ أو جُنّ) فنقول: جنَّ الليل على فلان ومعناه أنّه أظلم عليه وستره. والرباعي من هذا الفعل أجنّ حيث تقول: أجنّه اللّيلُ معناه ستره وأخفاه. أو تقول أجنّ فلانٌ الميّت والمعنى أنه كفّنَ الميّت. وجَنانُ النّاس معظمهم ودهماؤهم والجُنان هو تُرس المحارب. والجانّ اسم فاعل واسم جمعٍ للجنّ ويُقصد بالجان حيّةً بيضاء كحلاء العين لا تؤذي وتختبئ في الدّور. والجنان أيضاً هو اللّيل ومن كلّ شيء جوفه والقلب أو روعه والروح جمعه أجنان. والعرب يقولون: لا جنَّ في هذا الأمر أي لا خفاء فيه. والجَنَن: هو القبر والميّت والكفن وهو مأخوذٌ من معنى الستر جمعه أجنان.

وخلاصة هذه المعاني كلّها هو أنّ كلمة (جنّ) اشتقت إمّا من

قولك جنّ الشيء ومعناه هيمن وستر. وإمّا من قولك جُنّ الشيء بمعنى استتر واختفى عن الأنظار. وهكذا نكون قد تعرّفنا من خلال مراجعتنا لمعاجم اللّغة العربيّة على اشتقاق ونسب هذه الكلمة (جنّ). ولا يجوز لنا بالتّالي أن نأخذ بما ذكره أبو وهب من أنّ الجنّ هم مخلوق منهم مَن يولد لهم ويأكلون ويشربون ومنهم من هو بمنزلة الرّيح. ولا أن نأخذ بأقوال غيره ممَّن اعتقدوا هذا الاعتقاد وهم الذين أوردوا كلمة (جنّ) اسم جنس. على حين أنها صفة وليست باسم جنس ويوصف بها كثيرٌ من الأشياء.

وعلى هذه الصورة واستناداً إلى مُعطيات نسب هذه الكلمة (جنّ) فقد كان من واجب الباحث أن يتقصّى كلّ كلمة من كلمات الجنّ التي أوردها كتاب اللّه العزيز وأن يتحرّى معناها بدلالتها الوصفيّة وليس باعتبارها اسم جنس.

الدليل على أنّها وردت صفة

ويسألني القارئ العزيز هنا: ولمَ ترفض أن يكون القرآن الكريم قد استعمل كلمة (جنّ) دلالةً على اسم جنسٍ وعلى وجود مخلوقٍ غير الإنسان؟

وهو سؤالٌ وجيهٌ حقّاً. إذ ما هو دليلي القاطع على أنّ هذه الكلمة (جنّ) لم ترد في هذا القرآن الكريم دلالةً على مخلوقٍ آخر غير الإنسان يتوالد ويأكل ويشرب وكيانه العضوي مخلوقٌ من مارجٍ من نار

وعلى حسب ما ورد هذا التّعبير في هذا القرآن الكريم نفسه . ؟

ولا يسعُني في هذه المقدّمة أن أمرّ على هذا السؤال مرور الكرام . بل أرى أنّ من واجبي تقديم الدّليل المُقنع على ما زعمته . ومادمت سأقدّم للقارئ الكريم هذا الدّليل فلا بأس من أن أقدّم له أكثر من دليلٍ لإثبات مصداقيّة ما ذكرته ولأدخلَ إلى فؤاد قارئ العزيز مزيداً من الطمأنينة إلى ما أردت بحثه من أجله في هذا المجال .

لكني قبل ذلك أرى أن ألفت نظر القارئ إلى الآية **100** من سورة الأنعام تلك التي نفى اللّه عز وجلّ من خلال مضمونها وجود مخلوق اسمه (جن) كان قد زعم المشركون وجوده ظنّاً وعن غير علم .

فلقد قال اللّه تعالى في الآية المذكورة من سورة الأنعام ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ فهذه الآية الكريمة وردت بصدد نفي ما اعتقده المشركون بدليل أنّه تعالى أنهاها بقوله ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ .

أفلا تلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ اللّه تعالى استهلّ هذه الآية الكريمة بقوله ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ﴾؟ فلو أنّه تعالى كان قد قال (وجعلوا الجنّ شركاء للّه) لكان اللّه تعالى قد أقرّ بوجود مخلوق اسمه (الجنّ) لكن ما دام اللّه تعالى قد قال ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ ﴾ فالجعل في اللّغة العربيّة يعني التصيير . وكأنّه تعالى قد قال بألفاظ أخرى : إنّ المشركين في الجاهليّة قبل الإسلام اعتقدوا بوجود مخلوق اسمه (الجنّ)

وزعموا أنّ اللّه تعالى خلق هؤلاء الجنّ أيضاً فتخيّلوا أنّ لهذا الجنّ الموهوم قدرات هي أعظم من قدرات الإنسان وبذلك صّيروا (الجنّ) الذي زعموا وجوده في الوقت نفسه شريكاً للّه تعالى فيما يحمله من صفات مزعومة.

ولقد أضاف اللّه تعالى وقال ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي وبالإضافة إلى هذا الزعم فقد افتعل المشركون زعماً آخر وهو وجود بنين وبنات للّه تعالى ظنّاً من عند أنفسهم و(بغير علم) أنّ للّه بنين وبنات توهّموا وجودهم عنده قياساً على أنفسهم. وهنا نفى اللّه تعالى مزاعم المشركين هذه جميعها وقال في الفقرة الأخيرة من هذه الآية الكريمة ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ أي تنزّه اللّه أن يكون قد خلق هذا المخلوق الذي زعم المشركون أنّ اسمه جنّ وتنزّه اللّه عن أن يكون له بنين وبنات .

فهذه الآية الكريمة يا عزيزي القارئ تبدو لي صريحة الدّلالة. فهي تنفي وجود مخلوق اسمه (جن) وتنسب الزعم بوجوده إلى عقائد المشركين. وكأنّها تدفع بالقارئ الكريم ليأخذ من كلمة (جن) الواردة أكثر من ثلاثين مرة في كتاب اللّه العزيز بمعناها الوصفيّ وليس لتدلّ على أنّها اسم جنس لمخلوق موهوم. فهذا منطلقٌ وضعه اللّه تعالى بين أيدي المفكّرين والمفسّرين المسلمين لينطلقوا على أساسه لفهم كلمة (الجنّ) الواردة في كتاب اللّه العزيز. وبالرّغم من وجود هذا المنطلق القرآنيّ الذي بيّنّاه فقد تجاهله المفسّرون القدماء رحمهم اللّه وذهبوا في

موضوع فهم كلمة الجنّ بنفس المفهوم الجاهليّ الذي نفاه اللّه عز وجلّ. وأقدّم الآن عدّة أدلّة مستنبطة من كتاب اللّه العزيز تنفي وجود الجنّ بالمفهوم الوثني الجاهليّ.

أدلّة تنفي وجود ﴿ ٱلْجِنّ ﴾ بالمفهوم الجاهلي

الدليل الأوّل ـ دليل الفطرة البشريّة

وأبدأ الآن بتقديم دليلي الأوّل وهو الذي تضمنته الآيات الثلاث 30 / 31/ 32 من سورة الروم والتي قال اللّه تعالى فيها ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ فلقد نبّهت هذه الآيات أذهاننا إلى أنّ تعاليم الدين الإسلامي الحنيف قد أنزلها اللّه تعالى موافقة للفطرة البشريّة وليس موافقة لفطرة مخلوق آخر أطلقوا عليه اسم (جن).

فلقد قال اللّه عز وجلّ في هذه الآية الكريمة ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾. والذي يستفاد من هذه الحقيقة هو أنّ تعاليم الإسلام لا تتلاءم مع فطرة الملائكة ولا مع فطرة غيرهم من المخلوقات. ولذلك لا يكلّفون بالإيمان بالدّين الإسلاميّ ولا بالعمل على فرائضه. وبالتالي فإنّ هذه الحقيقة تدفعنا لنرفض المفهوم الوثني

الجاهلي الذي زعم وجود مخلوق اسمه (جن). ونحاول فهم كلمة (جن) حيثما وردت في الآيات القرآنيّة لنفهمها بمعناها الوصفي وليس بدلالتها على مخلوق آخر غير الإنسان. وبسبب أنّ القرآن الكريم أورد أنّ ﴿ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ قد آمنوا برسول اللّه (ص). فلو كانوا مخلوقاً آخر غير الإنسان وكانت فطرتهم تختلف عن فطرة الإنسان فما كان عليهم فرض الإيمان برسول اللّه (ص) لأنّ تعاليم دينه لا تتلاءم مع تكوين فطرتهم. فتعاليم الإسلام أنزلها اللّه تعالى ملائمة للفطرة البشريّة وحدها. وغير ملائمة لأيّة فطرة غيرها. وهذا يعني أنّ الذين استعمل اللّه تعالى لهم كلمة (جن) قد وصفهم ربّهم بهذه الصفة (جن) وليس على سبيل تسميتهم بهذه الكلمة.

فهذا الدّليل الأوّل بالإمكان أن يُصطلح له اسم (دليل الفطرة البشريّة). ويستنتج من هذا الدليل أنّ تعاليم الدين الإسلامي الحنيف تتناسب مع ما آتى اللّه عز وجلّ هذا الإنسان من قوى وملكات وميول وأهواء وحسب. هذا وإنّ جميع مفسّري أمتنا الإسلاميّة وعلى اختلافً مذاهبهم متفقون على حقيقة أنّ تعاليم الإسلام قد أنزلها ربّنا عز وجلّ وفق مقتضيات الفطرة البشرية خاصّة. كما أنّهم متّفقون على أنّ فطرة غير هذا الإنسان تختلف عن فطرته. فلقد قال اللّه تعالى بحقّ فطرة ملائكة السماء وعلى سبيل المثال أنه تعالى فطرهم ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾. أي أنّ ملائكة السماء لا يعصون الله ربّهم أبداً. ولذلك لم يأمر اللّه عزّ وجلّ ملائكته أن يؤمنوا بمحمّد (ص) بل أمرهم بتأييده. على حين أنّ هناك من البشر مَن يصدر عنهم عُصيان تعاليم وأوامر ربّهم جلّ شأنه.

وتأكيداً لهذه الحقيقة التي ذكرناها فإنّ الباحث الذي يحصي الخطب التي خطبها محمّد (ص) والذي خاطب فيها البشر أمثاله والمبعوث من أجل هدايتهم فلا يُلاحظ أنّ محمّدا (ص) قد خاطب غير الناس في يوم من الأيام. فلو وُجد أيّ خطاب لرسول اللّه يأمر فيه الجنّ بشيء من الأشياء لبطل هذا الدليل ولتناقضت الآيات بعضها مع بعضها الآخر. أمّا في كتاب اللّه العزيز فإن قرأنا خطابا موجّها إلى (الجنّ والإنس) فتكون كلمة (الجنّ) قد وردت فيه وصفاً وليس تسمية كما ذكرت ذلك من قبل.

والمهمّ هو أنّ محمدا (ص) قد خاطب الناس وحدهم ولم يخاطب في أيٍّ من مخاطباته مخلوقاً آخر يسمّونه (الجنّ). وعلى حسب ما ورد ذلك في الآية **158** من سورة الأعراف. فقد أمر اللّه محمّداً أن يقول ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ فهذا الخطاب قد خصّ رسالة محمّد بن عبد اللّه (ص) بالناس وحدهم وإلا لكان اللّه عز وجل قد أمر رسوله أن يقول (يا أيها الناس والجنّ إني رسول اللّه إليكم جميعاً)وقد حدّد اللهّ عز وجلّ إطار رسالة محمّد رسوله الكريم أيضاً وذلك في سورة النّساء حيث قال ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وهذا هو السببُ في أنّ رسول اللّه (ص) لم يخاطب (الجنّ) بحال من الأحوال. فإن ورد خطابٌ موجّهٌ إلى (الجنّ) فيكون مصدره ذات اللّه تعالى وليس

ذات رسوله الكريم. وعليه فإنّ الآيات التي ورد فيها اسم (الجنّ) فلا تعني وجود مخلوق آخر غير الإنسان بل تعني وجود شرائح من الناس قد وُصفت بتلك الصفة التي تعنيها كلمة (جن). ثمّ إنّه لو كان هناك مخلوق غير الإنسان اسمه (جن) لكان من واجب اللّه تعالى أن يبعث إليهم رسولاً من أنفس الجنّ وليس رسولاً من البشر وذلك لقوله تعالى في الآية 47 من سورة يونس ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ فهذا هو دليلي الأوّل الذي أقدّمه لإثبات مصداقيّة ما ذكرته للقارئ الكريم.

الدليل الثاني ـ دليل الأمانة المعروضة

والدليل الثاني الذي يؤكّد فهمي سالف الذكر هو قوله تعالى في الآية 72 من سورة الأحزاب ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ ولقد فهم سلفنا الصالح من المفسرين رحمهم اللّه تعالى أنّ المقصود بالأمانة هو (الدّين الذي يتضمّن شريعة اللّه عز وجلّ) وما دام اللّه تعالى قد عرض هذه الأمانة على (السماوات والأرض والجبال) فلا يكون قد قصد من هذه الكلمات (السماوات والأرض والجبال) بل يكون قد قصد أهلها وسكّانها وإلاّ فالمادّة لا تُكلّف بأوامر شرعيّة. وهذا القول ورد على شاكلة قوله تعالى في سورة الكهف بحقّ الجدار ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾

ومعلوم أنّ الجدار لا إرادة له. فهذا أسلوب استعارة بلاغيّ. ثمّ إن كلمة ﴿ٱلْأَمَانَةَ﴾ وردت معرّفة بأداة التّعريف لتشيرَ إلى هذه الشريعة السماويّة المعهودة في أذهان المسلمين.

والذي قصدته من تقديم الآية القرآنيّة المذكورة أعلاه هو أنّه إن كان (الجنّ) مخلوق يقطن باطن الأرض كما يزعمون فالآية الكريمة قد صرّحت بإبائه حمل ﴿ٱلْأَمَانَةَ﴾ لعدم قدرته على العمل على أحكامها من جهة ولعدم ملاءمتها لفطرته التي فطره اللّه تعالى عليها من جهة أخرى. وهذه الحقيقة تدعونا إذن لنفهم كلمة (جن) الواردة في مختلف سور القرآن الكريم على أنّه لم يُقصد بهذه الكلمة (جن) اسم جنس المخلوق المزعوم وجوده تحت الأرض ولكنّه قُصدَ بكلمة (جنّ) شريحةً معيّنةً من الناس وصفهم اللّه تعالى بهذه الصفة لملاءمة معنى من معاني هذه الكلمة لأوضاعهم وأحوالهم التي اتّصفوا بها في حياتهم الدنيا.

ثمّ إنّه لو صدق زعم هؤلاء المعتقدين بوجود مخلوق آخر غير الإنسان واسمه (جن) وأنه كان من هؤلاء الجن من أسلم واعتنق رسالة الإسلام فكان ينبغي ذكر هذا المخلوق المزعوم في هذه الآية 72 من سورة الأحزاب.

فإن قيل إنّ الجنّ هم من نارٍ وهم غير مكلّفين أصلاً بالعمل على شريعة الإسلام فإنّ هذا القول يدعونا لنفهم الآيات التي ورد فيها أنه قد أسلم بعض (الجنّ). على أنّ تلك الآيات الكريمة قد تكلّمت عن شريحة من الناس أنفسهم ممّن وصفهم اللّه تعالى بكلمة (جنّ) ليس إلاّ. هذا الاعتراض يؤكّد مصداقيّة ما ادّعيناه وإلا فلو كان اللّه تعالى قد

قصد من هذه الكلمة في تلك المواضع مخلوقاً آخر غير الإنسان لكانت الآيات قد ناقض بعضها البعض الآخر أعاذنا اللّه أن يصدر عن اللّه تعالى مثل ذلك.

وبفرض أنّ نفراً من (الجنّ) الذي هو مخلوق آخر غير الإنسان قد أسلموا فإنّ إسلامهم هذا يرتّب عليهم مسؤوليّات تطبيق أحكام هذا القرآن المجيد وعلى شاكلة المسؤوليات الملقاة على كواهل فئة المؤمنين برسول اللّه (ص) والتي تضمّنتها مختلف الآيات القرآنيّة ومن تلك المسؤوليات خاصّة ما نصّ عليها قول اللّه عز وجلّ في سورة الفتح:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ فهذه الآيات الكريمة قد طالبت المؤمنين بمحمّد رسول اللّه (ص) أن ينصروه ويؤازروه وأن يدفعوا إليه بزكاة أموالهم وتبرّعاتهم وأن يؤدّوا ما أوجبه الإسلام عليهم من فرائض دينية كالجهاد في سبيل اللّه تعالى وكالصلاة على سبيل المثال وأداؤها جماعةً وراءه (ص) ووراء أئمّتهم. فأرجو من كلّ إنسان لا يتّفق معي فيما أطرحه في هذا البحث أن يدلّني على مرجعٍ تراثيٍّ واحد ورد فيه أنّ النفر من الجنّ الذين آمنوا برسول اللّه (ص) قد التزموا بتلك المسؤوليات التي ذكرناها ولا أذهب بعيداً فهذه قضيّة فلسطين في أيامنا هذه التي تستصرخ العرب والمسلمين في جميع أقطار العالم فلم نسمع أنّ أحداً من (الجنّ) قد خدم هذه القضيّة العربية

الإسلاميّة في هذه الأيام. وهل يعني ذلك أنّه لا يوجد في عصرنا هذا أيّ (جنّي) مسلم من نسل ذاك النفر من الجنّ الذين أسلموا زمن بعثة محمّد رسول اللّه (ص) والمذكورين في هذا القرآن الكريم؟

فهذا هو الدليل الثاني الذي قدّمته لإثبات مصداقيّة ما توصّلت إليه في هذا البحث بالإمكان أن نصطلح على تسميته باسم دليل (الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال) هذا الدليل الذي يثبت منه بُطلان هذا المفهوم الوثنيّ الذي يرد على ألسنة العامّة لكلمة (جنّ) في جميع الأقطار العربيّة والإسلاميّة والذي لا أساس له في آي الذّكر الحكيم.

الدليل الثالث ـ دليل استكثار الجنّ من الإنس

وأقدّم إلى القارئ الكريم دليلاً ثالثاً يثبت مصداقيّة ما ذهبت إليه في هذا البحث وأستنبط هذا الدليل من مُعطيات الآيات الكريمة التي تكلّمت عن يوم الحساب. فإن راجع القارئ الكريم الآيتين **128/ 129** من سورة الأنعام يلاحظ بأنّ اللّه تعالى تكلّم فيهما عن يوم الحساب وقال ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

والآن أتوجّه نحو القارئ الكريم بعد أن تلوت عليه الآيتين المذكورتين فأسأله: أولم يُلفت نظرك قول اللّه تعالى في الآية الأولى ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ فما هي دلالة استكثار الجنّ من الإنس في مفهومنا الديني؟ علماً بأنّ اللّه تعالى قد أجاب على هذا السؤال في نفس هذه الآية الكريمة وقال ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾. فإن نحن تفحّصنا ألفاظ هذه الإجابة فإن كلمة ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ مركّبة من كاف التشبيه ومن ذا الإشارة ومن لام البُعد ومن كاف الخطاب (محيط المحيط) وأما كلمة ﴿ نُوَلِّى ﴾ فمشتقّةٌ من قولك ولي فلان الشيء وعليه معناه ملك أمره وقام به. وعليه فكأنّ اللّه تعالى قد شبّه في قوله هذا استكثار الجنّ من الإنس بالظالمين من الجنّ الذين يملكون أمور الظالمين من الإنس ويسيّرونهم وفق إرادتهم وأهواءهم.

فالسؤال هنا هو: كيف تبدو حقيقة ذلك على بساط الواقع؟ وهل سمعنا في عصرنا هذا نبأً يقول بأنّ الجنّ في مكان ما من هذه الأرض قد استكثروا من الإنس فهيمنوا عليهم وملكوا عليهم أمرهم؟ ولنعُد بأذهاننا إلى زمن رسول اللّه (ص) فهل ورد في كتاب من كتب التّراث أنّ الجنّ في ذاك الزمان قد استكثروا من الإنس بمعنى أنّهم هيمنوا على الإنس وملكوا زمام أمرهم؟ فهذا بفرض أننا سلّمنا بوجود مخلوقٍ آخر غير الإنسان يسمّونه (جنّ).

والمهمّ في الأمر هو أنّه لا يوجد أحدٌ من الناس يجيبُ على هذه التساؤلات بكلمة: نعم. والسببُ في ذلك هو أنّ هذا القول ﴿ قَدِ

ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ ما حدث على بساط الواقع بمعناه الذي تبادر لأذهاننا أو لأذهان المفسرين القدماء ممّن زعموا وجود مخلوق اسمه (جن) واستكثر من مخلوق اسمه (إنس) فلا وجود لهذا الذي تقوّلوه بهذا المعنى في شتّى أزمنة تاريخ هذا الإنسان.

هذا وإنّ هذه الحقيقة التاريخيّة التي توصّلنا إليها تشكّل قرينةً لغويّةً تحوّل معنى هذا القول المشار إليه من مفهومه المتبادر لذهن الإنسان والنابع من هذا المفهوم الوثنيّ لكلمة (جن) والشائع بين عامّة الناس، تنقله إلى معنى يتلاءم مع مفهوم كلمة (جن) على أنّها وصفٌ لشريحة من الناس وليس اسما لمخلوق آخر غير الإنسان.

فإن سألني القارئ الكريم عن دلالة قوله تعالى ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ فأجيبه وأقول: هذه الألفاظ تفسّر ما يحدث في العالم من ظواهر سيطرة أشخاص على أشخاص باسم العشائريّة تارةً وباسم الحزبيّة تارة أخرى والتي تأتي بزعماء يهيمنون على جماهير الإنس من عامّة النّاس. فقد وصف اللّه تعالى زعماء العشائر وزعماء الأحزاب بصفة (الجنّ) هذه المشتقّة من قولك جنّ الليل علينا أي هيمن وسيطر علينا فما عدنا نرى نوراً. ويكون تعالى قد استعار كلمة (الجنّ) ليصف ما ذكرناه وبأسلوب بلاغيّ إنشائيّ. وإنّ معنى هيمنة السادة على المسودين من الناس يعدّ أحدّ معاني كلمة (جنّ) وكما سأثبت ذلك في هذا البحث الذي يتضمّنه هذا الكتاب. والذي نشرته صحيفة (الاتجاه الآخر) الأسبوعية على مدى خمسة عشرة حلقة.

فإن اعترض أحد الناس وقال: يوجد في حيّنا شخصٌ له صلةٌ بهذا المخلوق المسمّى (جن) وهو مستعدّ لتهييج هؤلاء الجنّ عليك ليسحروك أو ليؤذوك أفلا تخشى حدوث مثل ذلك؟ فأجيب على هذا المعترض وأقول له: لقد مرّ علينا في حياتنا كثيرا من أمثال هؤلاء المشعوزين الذين فرّوا من أمامنا عندما تبيّن لهم أننا لسنا من طبقة عوام الناس السطحيين الذين يسهل التسلّط على عقولهم. فإن كنت يا عزيزي على ثقة ممّا تقول هيّا فابعث بواحد من هؤلاء نحونا ولكن عليك أن تحذّره من خطر انكشاف حقيقته.

وعليه تكون يا قارئ العزيز قد تسلّحت بدليل ثالث مستمدّ من الآيات التي تكلّمت عن يوم الحساب وبإمكاننا أن نصطلح لهذا الدّليل اسم دليل (استكثار الجن من الإنس).

الدليل الرابع. دليل وقود جهنّم

وأستنبط للقارئ دليلاً آخر رابعاً من نفس هذا القسم من الآيات الكريمة المتعلّقة بيوم الحساب فإن أنت راجعت يا عزيزي الآيتين 178/ 179 من سورة الأعراف اللتين قال اللّه عز وجلّ فيهما ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ فإن أنت تلوت

هاتين الآيتين الكريمتين فإنّ كلامهما لا يُشعرك بوجود أيّ فرق فرّقتا فيه ما بين فريقي ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ المشار إليهما في هاتين الآيتين الكريمتين. فلو كان الجنّ مخلوقٌ من ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ من حيث تكوينه العضويّ وليس النفسيّ وأنّ الإنس مخلوقين من تراب أو من طين فإنّ هذا الفرق في تكوين تركيب كيانهما العضوي يقتضي بالضرورة ظهور فرق في أداة تعذيب كلّ منهما. وما داما يعذّبان بنار واحدة فلا بدّ أن يكونا بالتالي من مادّة واحدة وهو المطلوب. وتكون كلمة (الجنّ) حينئذٍ قد وردت وصفاً لشريحة من الناس ولم ترد بمعنى اسم جنس.

وإنّ ما يؤكّد هذا المعنى الذي توصّلنا إليه هو مضمون الآية 24 من سورة البقرة التي قال اللّه تعالى فيها مخاطباً النّاس: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ فالمعلوم من هذه الآية الكريمة هو أنّ وقود جهنّم يشتمل على الناس والحجارة ولا يشتمل على (الجنّ). فهل نسي اللّه تعالى أن يذكر (الجنّ) في هذه الآية الكريمة؟ إلاّ أن تكون كلمة (الجنّ) الواردة في الآية السابقة قد استعملت هنا وصفاً لشريحة من الناس يهيمنون على سواهم من عامة الناس. ولم تستعمل كلمة (الجنّ) هذه للتّعبير بها عن مخلوق آخر غير الناس وأنّه موجود واسمه (جن).

وعلى كلّ حال فإنّ اللّه تعالى حين قال ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ فهو تعالى يعني بألفاظ أخرى أنّ جهنّم

تشتمل على الكافرين والظالمين من ﴿ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ معاً على حين أنّ هذه الآية من سورة البقرة التي أوردناها لم تؤيّد وجود الجنّ في جهنّم. وهذه الحقيقة تعني بألفاظ أخرى أنّ (الجنّ) ليسوا مخلوقاً آخر مستقلاً عن الإنسان بل وردت هذه الكلمة وصفاً لشريحة من الناس.

وعليه فقد ثبت من خلال هاتين الآيتين سالفتي الذكر أنّ كلمة (الجنّ) الواردة في كتاب اللّه العزيز لا تعني مخلوقاً مستقلاً عن الإنسان. بل وصفا لشريحة من الناس وبإمكاننا أن نصطلح لهذا الدليل الرابع اسم دليل (وقود جهنّم).

وعلى هذه الصورة أكون قد أدليت للقارئ الكريم بأربعة أدلّة من مُعطيات الآيات القرآنيّة نفسها إلى جانب تقديم آية قرآنية كريمة نفى اللّه عز وجل من خلالها وجود هذا المفهوم الوثنيّ الجاهلي الذي اختلقه المشركون قبل ظهور الإسلام ظنّاً من عند أنفسهم أنّه موجود وإنّ اعتقادهم هذا لم يستند إلى أيّ سند علميّ. وأرى أن أكتفي بما قدّمته من هذه الأدلّة القاطعة استجابة من طرفي للإجابة على سؤال السائل والتي تنفي وجود مخلوق مستقلٍّ عن الإنسان واسمه (جنّ) لذلك:

أعود إلى أصل موضوع مقدّمة هذا البحث فأقول: لقد تابعتُ المواقع التي وردت فيها كلمة (جنّ) وتدبّرت الآيات الكريمة التي تضمّنتها من مُنطلق ما بيّنته حتى الآن في هذه المقدّمة من بيان نسب هذه الكلمة (جنّ) ومن كونها قد استعملت في كتاب اللّه العزيز بدلالتها الوصفيّة وعدم استعمالها للدلالة على اسم جنسٍ معيّنٍ يمثّل مخلوقاً

غير الإنسان. هذه الحقيقة التي قدّمت لإثبات مصداقيّتها دليلاً قرآنيّاً ينفي وجود هذا المخلوق المزعوم وأربعة أدلّة متنوّعة يثبت من خلالها أنّ آي الذّكر الحكيم كان يورد كلمة (جنّ) على الدّوام بدلالتها الوصفيّة وعلى سبيل الاستعارة أيضا.

وهنا قد يسألني القارئ الكريم: وهل تبيّن لك أنّ جميع الآيات القرآنيّة قد أوردت هذه الكلمة المشار إليها بمعنى وصفيٍّ واحدٍ أو بأكثر من معنى واحد؟

فأجيب وأقول: بل تبيّن لي أنّ اللّه عزّ وجلّ قد أوردها بأكثر من معنى وصفي واحد. حيث وصف اللّه جلّ شأنه بكلمة (جنّ) سادة الأقوام وزعماء العشائر والأحزاب والطغاة المتجبّرين في الأرض لاتّصاف هؤلاء بصفة الهيمنة على شعوبهم وأتباعهم في كلّ مكان. كما وصف بكلمة (جنّ) المواطنين الأجانب عن شبه جزيرة العرب لاستتارهم عن أعين العرب ولعدم اختلاطهم بهم إلاّ لماماً. كذلك وصف القرآن الكريم إنسان ما قبل التّاريخ بهذه الصفة لكونه قد أمضى حياته مستتراً في أعماق الكهوف ولعدم خروجه منها إلاّ للصّيد ولجلب ما يكفيه من الماء وغيره من الحاجات الضروريّة وما كان يكفيه منها لبقائه حيّاً.

ولقد دأب كتاب اللّه العزيز على استعمال كلمة (جنّ) هذه في مقابل كلمة (إنس) بسبب أنّ عوام الناس يجوز إطلاق هذه الكلمة (إنس) عليهم لكون طبيعتهم أنيسةً ومُنقادة غير متمرّدة. أمّا المتمرّدون منهم والمكذّبون من الناس للرسالات السماويّة فقد استعمل القرآن

الكريم لهم مصطلح ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ فوصفهم بهذا الوصف استناداً إلى النتائج المترتّبة على ما يقومون به من أعمال شرّيرة. وعلى هذه الصورة يكون اللّه عز وجلّ قد أضفى بذلك التّنوّع المذكور هالةً من البديع والبيان ولإعطاء كلامه المقدّس منزلةً ليس من السهل أن يرقى إليها إنسان.

وقد عمدت في حلقات هذا البحث إلى شرح الآيات القرآنيّة التي وردت فيها هذه الكلمة (جنّ) فلم أعمد إلى الأسلوب التّقليديّ في كتابة المؤلّفات بل عمدت إلى الأسلوب الصحفيّ الذي يتميّز بمخاطبة القارئ مباشرةً ويبسّط له الأمور.

وأخيراً أرجو أن أكون قد خدمت كتاب اللّه العزيز وأبعدت عنه ما ألصقه به الذين لم تنكشف عليهم هذه الحقيقة التي كشفها ربّي على شخصي الضعيف ممّن ألصقوا بهذه الكلمة (جنّ) الواردة في كتاب اللّه العزيز من معاني لم تكن مقصودة منها بحال من الأحوال وإنما الأعمال بالنّيات وآخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

دمشق في العاشر من صفر الموافق للثاني والعشرين من نيسان

سليم الجابي

الحلقة الأولى

تاريخ كلمة (جنّ)

إنّ لكلّ كلمة حياة وتاريخ. فلها زمن ولادة قد يجهله المرء، ولا سيّما إذا كانت قديمة، ولها بيئةٌ تعيش فيها. وإنّ كلمة (جنّ) كانت متداولةً قبل ظهور الإسلام. وبما أنّ هذه الكلمة قد وردت في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرّة فقد كُتب لها استمرار الحياة إلى يومنا هذا. وإنّ الباحث الذي يراجع معجم (مقاييس اللّغة) يلاحظ خلوّه من هذه الكلمة. على حين لم تخلوا منها بقيّة معاجم اللّغة العربيّة. والسببُ في ذلك هو أنّ مؤلّف (مقاييس اللّغة) عاد في كلامه إلى أصل وضع كلّ لفظ عربيٍّ ولم يتطرّق إلى الكلام عن زمن نشوئه. وهي ميّزة اختصّ بها عنْ بقيّة المعاجم. ممّا يدلّ على أنّ كلمة (جنّ) لم يعرفها آدم عليه السلام وأتباعه من بعده. بل ظهرت هذه الكلمة خلال عصرٍ من عصور الانحطاط التي كانت قد مرّت على الأمّة العربية قبل الإسلام حيث كانت قد هيمنت على أفكار الناس في تلك الأيام. هذه الظنون التي لا أساس لها من الواقع بشكل من الأشكال.

والذي يهمّنا من هذا التّقديم هو تنبيه الأذهان إلى أنّ كلمة (جن) لا ترجع في تاريخ نشوئها إلى زمن نشوء اللّغة العربيّة بل يعود تاريخها إلى أحد أزمنة الانحطاط التي طرأت على الأمة العربيّة من بعد زمن آدم عليه السلام الذي علّمه اللّه تعالى ﴿ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ والتي أمست

أساساً لوضع الكلمات على مرّ تاريخ هذه الأمة.

فحين انتشرت الوثنيّة والشرك بين العرب الذين انحرفوا عن تعاليم آدم ونوحاً من بعدهما عليهما السلام فكان من مظاهر انحطاط وتخلّف الأمة العربيّة في ذاك الحين أن ابتدعوا كلمة (جنّ) كاسم لمخلوق خاف عن الأعين وتوارثوا هذا المعنى جيلاً بعد جيلٍ إلى أن ظهر الدين الإسلاميّ وأنزل اللّه جلّ شأنه على محمّد بن عبد اللّه (ص) هذا القرآن المجيد الذي اشتمل على هذه الكلمة (جنّ) ولكن ليس بمعناها الجاهليّ وعلى حسب ما توصّلت إليه. ذلك أنّ الجاهليين استعملوا هذه الكلمة دلالةً على اسم جنس. لكنّ القرآن الكريم أوردها كصفة واستعارة فوصف بها شرائح من الناس وغير ذلك ممّا أشرت إليه في مقدّمة هذا الكتاب.

وقد أشرت في المقدّمة أيضاً إلى أنّ كتاب الله العزيز قد نفى صحّة المعنى الوثني الموروث الذي ما تزال عامّة الناس والمقلّدين من علمائهم تقليداً أعمى لكلّ موروث ما يزالون في وقتنا الحاضر يتداولون هذه الكلمة (جنّ) بمعناها الوثنيّ وليس بدلالتها القرآنيّة وعلى حسب ما بيّنته في مقدّمة هذا الكتاب.

﴿ ٱلْجِنّ ﴾ حقيقة وليس خيال

إنّ الذي يطالع كتابي هذا الذي اشتمل على هذا البحث يلفت نظره عنوانه ويدفعه ليتساءل: ما دام القرآن الكريم قد أورد كلمة (الجنّ) في أكثر من ثلاثين آية قرآنيّة، فما معنى أن يتساءل هذا الكاتب هذا السؤال: الجنّ حقيقة أم خيال؟ فهل أنّ هذا الكاتب يُنكر شيئاً ممّا أورده كتاب اللّه العزيز، أم أنّه يريد من تساؤله هذا شيئاً آخر كان يريد أن يُطلعنا عليه؟

وأجيب هذا القارئ باختصار شديد فأقول: أنا مسلمٌ أباً عن جدّ وعالمٌ في الدين ولا يُعقل أن أُنكر حرفاً واحداً من أحرف الكلمات القرآنيّة وهل تستسيغ يا قارئي العزيز أن أُنكر كلمةً كرّرها القرآن الكريم؟ فلا تتعجلّ في الحكم عليّ بل طالع هذا الكتاب من أوّله إلى آخره ومن ثمّ احكم على ما أوردته فيه. وحاول أن تحاورني بعد ذلك ليس بأسلوب الاتّهام والتّكفير ولكن بأسلوب حوارٍ موضوعيٍّ حضاريّ.

وأبادرك السؤال هنا: ما دمت أنت مسلماً وسألتك بماذا تؤمن؟ فستجيب: أؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرّه من اللّه تعالى. وإنّك لن تدخل الجنّ في هذه الإيمانيات. فأقول لك يا عزيزي ألم تلاحظ بأنّ الإيمان بالجنّ لم تدخله أنت نفسك في عناصر إيمانك مع ورود كلمة (جنّ)في كتاب اللّه العزيز ألا لو كان (الجنّ) في حقيقة أمره من المخلوقات التي خلقها اللّه عز وجلّ وأنّه كان لخلقه إيّاها مقصدا جليلا لكان رسول اللّه (ص) قد ضمّ

اسم (الجنّ) إلى الإيمانيات المطلوبة منّا كمسلمين. أمّا ولم يأمرنا بذلك في وقت أمرنا فيه بالإيمان بوجود ملائكة اللّه تعالى يكون السببُ في ذلك هو أنّ (الجنّ) غير موجود من جهة وأنّ كلمات اللّغة العربيّة تحتمل أكثر من معنى ويكون اللّه عز وجلّ قد أورد كلمة (الجنّ) هذه بمعانيها الوصفيّة كما بيّنت ذلك من قبل. على حين أن قولك (أؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) فيه تقريرٌ لأمور لا تحتمل إلاّ معاني واحدة لكل لفظ من ألفاظها. ، وبذلك تكون قد اعترفت يا عزيزي السائل من أول خطوة خطوتها بأن موضوع الجنّ لا يدخل في الإيمانيات المطلوبة من كل مسلم بسبب أنّ كلمة (جنّ) تحتمل أكثر من معنى وكلّ معنى من معانيها متلائماً مع سباقه وسياقه الموضوعي وأتفق معك إلى هذا الحد.

وأنتقل معك خطوة ثالثة فأسألك: هل فكرت في يوم من الأيام أن تُراجع المعجم لتنظر ماذا تعني كلمة (جن)؟ أم أنك ومنذ نعومة أظافرك كنت تسمع بوجود مخلوق يسمّونه (جن) وأنّه لا تراه أعيننا وورد ذكره في القرآن الكريم وتكتفي بما سمعت. وتعتقد بوجود هذا المخلوق الموهوم تقليداً لسواك من الناس؟

وهنا ستجيبني: أنّك ما فكّرت ولا خطر لك أن تراجع المعجم ولا حاولت فهم كلمة (جن) في يوم من الأيام لان كل من حولك كانوا يفهمون من هذه الكلمة وجود مخلوق ناري لا تراه الأعين ويفعل الأعاجيب. وأنّك سلّمت بما يقولون بصورة تقليدية من غير تفكير ولا رويّة.

فأقول لك يا عزيزي القارئ إنّ ربنا جلّ شأنه أنزل كتابه العزيز على محمد رسوله الكريم (ص) بلسان عربيّ مبيّن لقوله تعالى في الآيات من سورة الشعراء: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ وإنّ كلمة ﴿ مُّبِينٌ ﴾ تعني بألفاظ أخرى أنّ لكل كلمة عربيّة واردة في القرآن المجيد دلالاتها التي تبيّن المقصود من استعمالها مكان ورودها. وبدون محاولة الإحاطة بتلك الدلالات، فلا يجوز للمسلم ولا لسواه من الناس أن يفهموا لتلك الكلمة معنى منحوتاً من عند أنفسهم. فإن فعلوا يؤثمون عند اللّه تعالى لكونهم ينسبون لكتاب الله العزيز ما ليس فيه.

فإن أنت اتفقت معي يا عزيزي القارئ فيما ذكرته لك أصبح من واجبك الإصغاء إلى ما قمت به من بحث حول دلالات كلمة (جن). فأول ما ينبغي أن تعلمه بشان اللغة العربيّة هو أنها لغة علمية أسست على قواعد وأصول بخلاف بقيّة لغات العالم الوضعيّة. ولذلك أنزل الله تعالى كتابه العزيز بهذه اللغة الشريفة. هذا وإنّ من خصوصيات لغتنا العربية أنها تتشكل من مجموعات من الكلمات وتشترك كلّ مجموعة منها بمصدر ثلاثي الأحرف اشتقت عنها. وعليه إذا حاول أحدنا فهم مضمون كلمة من الكلمات العربية فيعود إلى مصدرها الثلاثي وما يحمله من معنى ليساعده ذلك على الإحاطة بمعنى الكلمة المقصودة. واستناداً إلى هذا المنطلق القرآني فلنتناول كلمة (جن) مدار بحثنا هذا فهي مشتقّة إما من كلمة (جَنّ) بمعنى سيطر وهيمن كقولك (جنّ الليل). وإما اشتقت من (جُنّ) بمعنى استتر واختفى ومنه اشتقت

كلمة (جنين) وهو المخلوق المستتر في الرحم و(الجنان) وهو قلب الإنسان المستتر في صدره. واستناداً إلى هذا الذي ذكرناه فإنّ كلمة (جن) الواردة في القرآن الكريم لابد وأن تكون قد استعملت على صورة تحمل إما معنى السيطرة والهيمنة وإما معنى الستر والإخفاء لذلك استعمل العرب الوثنيّون قبل الإسلام كلمة (جن) كاسم لمخلوق خاف عن الأعين وتوارث العرب هذا المعنى إلى يومنا هذا. فهل أقر كتاب الله العزيز هذا المعنى الوثني الموروث؟ فهذا هو السؤال الجوهري الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا كيلا ننسب إلى كتاب الله ما ليس فيه.

﴿ ٱلْجِنِّ ﴾ بمعنى الغرباء عن العرب

فلمّا أصل بالقارئ إلى هذا الحد من البيان وأطرح عليه هذا السؤال الأخير يهبّ من فوره ليقول: اجل ألم تطالع آيات سورة الجنّ التي استهلها ربّنا عزّ جلّ بقوله فيها: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ

مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ إلى آخر السورة القرآنية؟.

أقول: هدئ من روعك يا عزيزي فأنت تطرح على بساط البحث ما نحن نبحث عن معناه وهو مدار اختلافنا في موضوع كلمة (جنّ) فلسنا الآن بصدد شرح هذه الآيات الكريمة بل نحن الآن بحاجة لنثبت المعاني التي استعملت بها كلمات (جن) في القرآن الكريم وعلى صورة لا تدفعنا لنحيد عن إطار الإيمانيات المطلوبة منّا من حيث كوننا مسلمين. فلم يأمرنا الله تعالى أن نؤمن بوجود مخلوق خاف عن الأعين واسمه (جنّ) أما كلمات (جنّ) الواردة في كتاب الله العزيز فقد تعرّفنا إلى نسبها في مقدّمة هذا الكتاب وكان من المناسب التّعرف على المعنى الذي استُعملت فيه في سورة الجنّ هذه التي أوردت لي بعضاً من آياتها الكريمة.

ومع ذلك ألخّص لك أدلّة الذين يقولون بأنّ كلمة (جن) قد وردت في هذه السورة بالذات تشير إلى وجود مخلوق آخر غير الإنسان فهي قد استعملت اسم جنس له. فأعظم ما يستدلّون به هو:

أولاً. إنّ تسمية هذه السورة باسم سورة الجنّ يوحي بوجود هذا المخلوق الذي ذكرناه.

ثانياً. وما دام اللّه تعالى قد افتتح هذه السورة بقوله ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ فللدّلالة على أنّ هذا (الجنّ) مخلوق مستقلّ وجوده وخافياً عن أنظار الناس.

ثالثاً. ومادام اللّه عز وجلّ قد نقل لنا عن لسان جماعة هذا المخلوق قولهم ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾. فهذه الألفاظ تدلّ صراحةً على أنّ للجنّ قوى خارقةً يستطيعون معها الارتقاء في الفضاء والإنصات إلى أخبار السماء.

فهذه هي أدلّة الذين يُدافعون عن هذا المفهوم الشائع بين الناس من أنّ كلمة (جن) الواردة في هذه السورة بالذات وردت دلالة على اسم جنس لمخلوق آخر غير الإنسان وليس وصفاً له وعلى حسب ما ذكرته في مقدّمة هذا الكتاب.

وقبل أن أدحض للقارئ الكريم أدلّتهم سالفة الذكر. ألفت انتباهه إلى قول (الجنّ) في هذه السورة ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ أفلا تلاحظ يا عزيزي القارئ بأنّ هؤلاء الجنّ المذكورين يعترفون من جهة أنّهم كانوا مشركين. وأنّ شركهم انحصر في اتّخاذهم للّه تعالى (صاحبةً وولداً)

من جهة ثانية. فهذا القول يعني بألفاظ أخرى أنّ هؤلاء الجنّ كانوا نصارى قبل أن يؤمنوا ومن باب أنّ النصارى هم الذين ابتُلوا بهاتين المصيبتين: أنّهم اتّخذوا للّه تعالى ﴿صَـٰحِبَةً﴾ وهي أمّ المسيح عليه السلام كما اتّخذوا المسيح الناصريّ نفسه ولداً للّه عز وجلّ.

فستقول لي: نعم إنّهم كانوا نصارى كما تدلّ عليه ألفاظ هذه الآية الكريمة. وبعد أن تعترف بذلك آخذ بيدك لأسمعك ما ورد في إنجيل يوحنّا الإصحاح 16/ 12 فقد ورد فيه عن لسان المسيح عليه السلام قوله: (إنّ لي أموراً كثيرةً أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحقّ فهو يُرشدكم إلى جميع الحقّ لأنّه لا يتكلّمُ من نفسه بل كلّ ما يسمعُ يتكلّم به ويُخبركم بأمور آتية.). فإن أنت تدبّرت هذا النص الإنجيليّ تتضح لعينيك الأمور التالية:

أولاً. فهذا النّص الإنجيلي ينبئ عن لسان المسيح عن ظهور نبيٍّ عظيم من بعده. ودع عنك ما يروّج بعضهم من أنّ هذه النبوءة الإنجيليّة تتعلّق بنزول المسيح في آخر الزمان. فهذا التّرويج لا يتّفق مع مُعطيات ألفاظ هذا النص الإنجيليّ. فلو كان المسيح نفسه هو المشار إليه فيه لكان قال وبكلّ سهولة ووضوح (وأمّا متى أعود من عند الآب أرشدكم إلى جميع الحق) وليس أن يقول (متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق). أي لكانت الضمائر الواردة في هذا النصّ الإنجيليّ اختلفت عمّا هي عليه فيه.

ثانياً. وقد أطلقت هذه النّبوءة على النبيّ الذي سيأتي بعد المسيح

أعطته اسم (روح الحقّ) وهو اصطلاح لا ينطبق إلاّ على محمّد رسول اللّه (ص) وإشارة إلى كمال التعليم السماوي الذي سينزل على يديه. فلو كان المراد من هذا القول هو المسيح نفسه لكان المسيح عليه السلام قد ادّعى هذا الادّعاء في زمانه. على حين تصفّح الأناجيل لا يفيد بهذا الادّعاء المشار إليه.

ثالثاً. وأنّ المسيح قال في هذا النص الإنجيليّ (لا يتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّمُ به) وهذه إشارة إلى قول اللّه تعالى في القرآن الكريم بحقّ محمّد رسول اللّه (ص): ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ فمحمّدٌ ما كان يتكلّم بآي الذكر الحكيم من نفسه بل كان ووفقا لمضمون هذه الآية الكريمة كان يوحى إليه بآيات هذا القرآن الكريم ويعلنها على الناس. وهذا مصداق قول المسيح عليه السلام (لا يتكلّم من نفسه بل كلّ ما يسمع يتكلّم به).

رابعاً. والنصّ الإنجيليّ ورد فيه (ويخبركم بأمور آتية) إشارة إلى أنّ الوحي الذي سينزل على هذا النبيّ العظيم الذي هو محمّد (ص) سيتضمّن ضمن آياته (نبوءات غيبيّة) وإنّ القرآن الكريم مليء بالنبوءات السماويّة التي لا مجال لإيرادها في هذا المقام.

وهكذا تكون يا عزيزي القارئ قد أدركت الحكمة التي دفعتني لأورد لك هذا النصّ الإنجيليّ سالف الذكر. وبعد أن أخذت منك اعترافك بأنّ الجنّ الذين ورد ذكرهم في سورة الجنّ كانوا نصارى اتّخذوا للّه (صاحبة وولداً).

فالنصارى يا عزيزي القارئ كانوا ينتظرون ظهور هذا النبي العظيم بعد المسيح. وليس النّصارى وحدهم بل إنّ اليهود أنفسهم كانوا ينتظرون ظهور نبيٍّ مشرّعٍ مثيلٍ لموسى عليه السلام وإن نبوءته وردت في سفر التثنية الإصحاح 18/ 18 وهذا يعني أنّ أمّة موسى بفرعيها كانت تنتظر بعثة محمّدٍ (ص) الذي انطبقت عليه نبوءات كتبهم بصورة واضحة وجليّة.

فإن أنت وعَيت هذه الحقيقة يا عزيزي القارئ فقد مهّدت لنفسك لتعي الحقائق التي تضمّنتها سورة الجنّ. فهذه السورة تكلّمت في حقيقة الأمر عن وفد من نصارى (نصيبين) قدموا إلى مكّة المكرّمة في وقت كان المشركونَ فيه يحذّرون كلّ إنسان يدخلها ممّا ادعاه محمّد رسولَ اللّه (ص) من ادّعاء. ومتهمين إيّاه بالسحر والجنون وغيرها من الألقاب التي نقلها لنا كتاب اللّه العزيز. فلمّا كان الوفد المسيحيّ المشار إليه في آيات هذه السورة كان غريباً عن شبه جزيرة العرب ومن مدينة (نصيبين) بالذات الواقعة شمالي القطر العربيّ السوريّ. فقد حاول أعضاؤه استراق السمع لما نزل على محمّد (ص) من آيات قرآنيّة وما ادّعاه من ادّعاءات للتعرّف على مصداقيّتها وفق نبوءات أناجيلهم وخاصّةً منها نبوءة النصّ الإنجيلي سالف الذكر. ولتحقيق المقصد الذي قدموا لتحقيقه بعد قطع هذه الرحلة الطويلة من (نصيبين إلى مكّة المكرّمة)

فإلى هذه الحقيقة أشار قول اللّه عز وجلّ في هذه الآية الأولى من سورة الجن ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا

﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ فلو كان هؤلاء الجنّ المشار إليهم في هذه السورة مخلوقاً غير الإنسان لكان من السهل جداً عليهم الاجتماع بمحمّد (ص) وعلى صورة لا يدري بها أبو جهل وسواه من رموز الكفر الذين كانوا يخوّفون الناس من الاجتماع بمحمّد(ص).

ثمّ إنّ فعل ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ يعني أصغى وحسب والسامع اسم فاعل. (محيط المحيط) فإن أنت طالعت تفسير سورة الأحقاف لابن كثير رحمه اللّه خلال تفسيره للآية التاسعة والعشرين منها حين فسّر قوله تعالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وأورد رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عبّاس قوله (أنّهم سبعةٌ من جنّ نصيبين). كذلك أورد ابن كثير رحمه اللّه في نفس المقام روايةً عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال (ما قرأ رسول اللّه (ص) على الجنّ ولا رآهم). فهاتان الروايتان أشارتا وفسّرتا فعل ﴿ٱسْتَمَعَ﴾ الوارد في الآية الأولى من سورة الجنّ. وهو أنّ وفد نصارى نصيبين المشار إليهم ما استطاعوا لقاء محمّد (ص) ولا رآهم حضرته أيضا لكونهم غرباء عن جزيرة العرب من جهة وكان اضطهاد المشركين لمحمّد وأصحابه على أشدّه.

أما إذا تساءلت عن مُعتقد وفد الجنّ المذكور فإنّ سورة الجنّ نفسها وضّحته لك من خلال ما نقلته عن لسان وفد الجنّ المذكور قولهم في الآية الثالثة: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ وهي عقيدة المسيحيين.

وهنا تسألني يا عزيزي القارئ: فلماذا سمّى اللّه عز وجلّ وفد نصارى نصيبين المذكورين والذين أشار إليهم تفسير ابن كثير (جنّ)؟ أفما كان بالأحرى التصريح بهذه الحقيقة في هذه الآيات؟

أقول: إنّ من عظمة القرآن الكريم أنّ اللّه عز وجلّ أنزله بلسان بليغ تحدّى به الجنّ والإنس. فوصف القرآن الكريم الوفد المذكور بكلمة (الجنّ) ورد وصفهم بهذه الصفة على سبيل الاستعارة لإخفائهم المقصد الذي قدموا إلى مكّة المكرّمة من أجل تحقيقه ولاستتارهم وسكّان نصيبين التي جاءوا منها عن أعين عرب شبه جزيرة العرب في تلك الأيّام لقلة المواصلات في تلك الفترة من الزمان. وقد سبق لي أن بيّنت لك أنّ من معاني كلمة (جن) الغرباء.

وعلى هذه الصورة أكون قد رددت على الذين ادّعوا أنّ كلمة (جن) التي سمّيت بها سورة الجنّ قد استعملت اسما وليس وصفا. فلو كانت اسما لمخلوق خاف عن الأعين لكان هؤلاء الجنّ قد اجتمعوا برسول اللهّ (ص) وأظهروا عليه أنفسهم.

ولننطلق الآن من معطيات الآيتين اللتين أوردتهما أنت من سورة الجنّ والوارد فيهما بحق الجنّ قولهم ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ أي أنهم آمنوا بالقرآن الكريم وأصبحوا مسلمين بعدما كانوا مشركين ومتخذين لله تعالى (صاحبةً وولداً) فإيمانهم هذا يطرح علينا سؤالاً كبيراً ومهماً وهو: هل أنّ رسالة محمد رسول الله (ص) تستسيغ إيمانهم بها إن كان هؤلاء الجن مخلوقات غير بشر؟ ذلك أنّ الآيات الكريمة الواردة في هذا القرآن الكريم قد حددت إطار رسالة محمد (ص) وهو أنّه مبعوثٌ إلى

الناس كافة وحدهم وكما أثبتّ ذلك في مقدّمة هذا الكتاب ولم يطالب اللّه عز وجل غير الناس التسليم بهذه الإيمانيات المطلوبة من كلّ مسلم ولا بالعمل على معطياتها. وعلى سبيل المثال فقد فرض الله عزّ وجلّ على المؤمنين أن يطيعوا الله وأن يطيعوا رسوله الكريم وأن ينصروه وأن يعملوا على جميع ما أنزله اللّه تعالى عليه من تعاليم في كتابه العزيز. أي أنّ الإيمان وحده لا يكفي بل لابد من نصرة رسول اللّه وتأييده والدّفاع عنه وعمل الصالحات المطلوبة من هذا الإنسان الذي آمن فهل أنّ الجنّ المذكورين في سورة الجنّ التزموا بهذه الحقيقة ونصروا رسول اللّه وأيّدوه وجاهدوا في سبيل اللّه وراحوا يعملون الصّالحات على شاكلة زمرة المؤمنين من الناس إن هم كانوا من جنس غير جنس النّاس؟ ألم يخطر ببالك يا عزيزي القارئ هذا السؤال الهام والجوهري والذي فرض نفسه علينا فرضاً بما يتعلّق بهؤلاء الجنّ الذين أسلموا وفق دلالات الآيات من سورة الجنّ؟ أم أنك تتلو آيات هذا القرآن العظيم ولا تتدبر ما تتلوه وتأخذ من معانيه ما يتبادر لذهنك سواء أكان هذا المعنى هو المقصود أو لم يكن هو المقصود من كلام ربّك عزّ وجلّ؟

أما أنا فألتزم بتدبر آيات هذا القرآن العظيم بمنهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره كيلا ينطبق علي هذا الذّم الوارد في قوله تعالى من الآية (82) من سورة النساء التي قال اللّه تعالى فيها ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ وقوله تعالى في الآية (24) من سورة محمد(ص) ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.

فان نحن تقصّينا الآيات التي حددت إطار الرسالة المحمدية نلاحظ قول اللّه تعالى في الآية (21) من سورة البقرة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ فاللّه جلّ شأنه يخاطب في هذه الآية الكريمة بكلمة ﴿ ٱلنَّاسُ ﴾ معرّفة بأداة التّعريف التي تفيد معنى الاستغراق ولتشمل جميع البشر على اختلاف ألوانهم وألسنتهم ومشاربهم ووحدهم من دون الجنّ وبدليل أنه جلّ شأنه قال في الآية التي بعدها ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي أنّ جميع ما في هذا الكون المادي من أشياء فهي مخلوقة ومسخرة للإنسان وحده ولا يشاركه في ذلك مخلوق آخر هو (الجنّ) الذي زعم وجوده الوثنيون من العرب الجاهليين وهكذا يكون اللّه عزّ وجلّ قد حدد إطار الرسالة المحمدية في هاتين الآيتين الكريمتين ولم يشمل إطار الرسالة المحمّديّة مخلوقاً آخر يسمّونه (جنّ).

وتعال معي أيّها القارئ العزيز أيضاً إلى الآية (158) من سورة الأعراف التي تحمل نفس هذا المفهوم وهذا الإطار ولكن بألفاظ أخرى. فقد قال تعالى هناك ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ وما دام خطاب هذه الآية الكريمة موجه إلى رسول الله (ص) ليبلغ الناس جميعاً بأنه

رسول اللـه إليـهم. ومـا دام اللـه تعـالى قـد قـال فـي هـذه الآيـة الكريمـة مصرّحاً له بأن للّه ملـك السـماوات والأرض فمعنـى ذلـك أن اللّـه جـلّ شـأنه حـدد إطـار الرسـالة المحمدية بالنـاس جميعـاً واخـرج مـن الإطـار المذكور كونه (ص) مكلفاً بتبليغ مخلوق آخر يسمّونه (جنّ).

وبعد أن ذكرتك يا عزيزي بآيات ربك ستقف متسائلاً فـي حديـث نفسك: إن ما سمعته من كلام ربي واضح الدلالات في موضوع تحديـد إطار الرسالة المحمدية فكيف يقول الله تعالى مـن جهـة ثانيـة وفـي سـورة الجنّ خاصةً بأنـه ﴿ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ إلـى مـا نـزل مـن آي الذكـر الحكيم وقالوا ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ وفي وقت ما كان هـؤلاء الجـنّ كمخلـوق آخر غير الإنسان ما كانوا مكلّفين بالإيمان بدين الإسلام؟فهل أنّ لكلمـة (الجنّ) المذكورة في هذه الآيات من سورة الجنّ معنى آخر غير ما فـهمناه من هذه الكلمة؟ فهذا سؤال هامّ لابد من الإجابة عليه. والجـواب علـى سؤالك هذا أوردته لك من قبل حين نبّهتك إلـى أنّ القـرآن الكريـم كـان يورد كلمة (جنّ) بمعنى وصفيّ وليس كاسم جنس. ومـا دام اللّـه تعـالى قد قال بحقّ (الجنّ) الذين ذكرتهم سورة الجنّ قولهم (آمنّا بـه) والإيمـان بالإسلام مختصٌّ بالناس وحدهم فمعنى ذلك أنّ (الجـنّ) هـؤلاء الذيـن تكلّمت عنهم سورة الجنّ هم بشر وقد كـانوا وفـداً مـن نصـارى نصيبيـن ولم يكونوا مخلوقاً آخر غير الناس وبذلك يرتفع هـذا التضـادّ الظـاهريّ الذي تساءلت عنه.

فمن هذا المنطلق وهذا الفـهم أعـد يـا عزيـزي القـارئ تـلاوة آيـات

سورة الجنّ فستلاحظ ويتجلّى لعينيك أنّ آيات السورة تتكلّم عن بشر وليس عن مخلوق غير البشر. ففي الآية السادسة قال تعالى على لسانهم ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ فكلمة ﴿ رِجَالٌ ﴾ استعملت هنا لكلا الطرفين وليس لطرف واحد. وفي الحقيقة لا تستعمل كلمة رجال إلاّ للبشر. فلا يقال رجال من الملائكة ولا أن يقال رجال من الدواب ولا غير ذلك. فكلمة رجال مختصّة بنوع الإنسان فقط. وما دام قد استُعملت للإنس والجنّ هنا في وقت واحد فهذا يعني أنّ الإنس والجنّ المتكلَّم عنهم هم بشرٌ جميعهم. وليس طرف منهم بشر والطرف الآخر غير بشر.

واقرأ يا عزيزي القارئ نص الآية الثامنة قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ فلا يخدعنّك قولهم ﴿ لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾ فالسماء ليست سقفاً بالإمكان لمسه بل هو فضاء لم يُعرف له آخر حتّى اليوم. وهذه قرينة تنقل فعل (لمس) من دلالته الحقيقيّة إلى دلالته المجازيّة. ثم إنّ عمليّة (اللّمس) تكون باليد ليُعرف مسّ الشيء (معجم محيط المحيط) فالسماء ليست سقفا حتّى تُلمس باليد. ويكون اللّه عز وجلّ في هذه الحالة قد استعمل فعل ﴿ لَمَسْنَا ﴾ على سبيل الاستعارة وأنّه تعالى استعملها بمعناها المجازيّ وإشارة إلى مملكته اللّه تعالى السماويّة وتكون بالتالي كلمة ﴿ شُهُبًا ﴾ قد استعملت هي بدورها على سبيل الاستعارة أيضاً وبمعناها المجازي وقد أشير بها إلى البراهين الدامغة التي تضّمنتها آيات هذا القرآن المجيد بصدد نفي اتّخاذ اللّه تعالى (صاحبةً وولدا). فأصحاب العقائد الباطلة

كانوا قبل نزول القرآن المجيد يعتمدون على التنجيم وغيره للوصول إلى أمور غيبيّة فلمّا أنزل اللّه تعالى هذا الكتاب القرآن الذي لم يفرّط تعالى فيه من شيء أمست حججه وبراهينه شهباً تُبطلُ عقائد المبطلين. وعليه فلم يكن المراد من كلمة ﴿ شُهُبًا ﴾ شهب السماء المعروفة. إذ لا يجوز فهم مضامين الآيات القرآنيّة بما يخالف الحقائق العلميّة في هذا المجال وسواه من المجالات. ذلك أنّ الشهب المعروفة لا علاقة لها بهذا الموضوع فكلمات هذه الآية الكريمة وردت على سبيل الاستعارات كما ذكرت وإنّ هذه الآية الكريمة مصاغة بصياغة بيانيّة معجزة. ولست هنا بصدد تفسير سورة الجنّ ويكفي أنّي أعطيت القارئ مفاتيح فهمها.

تلخيص مضمون الحلقة الأولى

فإلى هنا تنتهي هذه الحلقة الأولى من هذا البحث وأرى أنّ من واجبي أن ألخّص لك يا عزيزي القارئ ما تضمّنته هذه الحلقة الأولى من تحقيق. فلقد نبّهتُك فيها إلى تاريخ نشوء هذه الكلمة (جنّ) كما نبّهتك إلى أنّي مسلم يستحيل أن أنكر كلمة الجنّ الواردة في كتاب اللّه العزيز. ولكني في بحثي هذا أُنكر المعنى الوثنيّ المتداول لكلمة (جنّ) ولا أنكر المعاني التي أوردها اللّه جلّ شأنه بها. فهي قد استعملت في كتاب اللّه تعالى بمعاني وصفيّة وليس بدلالتها على اسم جنس. ومن ثمّ طرحت وعلى لسانك تساؤلاً يختصّ بمعنى كلمة (جن) الواردة في سورة الجنّ. وهناك ذكّرتك أوّلاً بأنّ إطار رسالة محمّد رسول اللّه

(ص) قد تحدّد في هذا الكتاب العزيز بالنّاس كافّة وحدهم ولم تشمل رسالته (ص) مخلوقاً آخر اسمه (جن). وأخذت موافقتك على ذلك ومن ثمّ دفعتك لتتساءل عن المعنى الحقيقي لهذه الكلمة (جن) والواردة في سورة الجن. وقد أجبت عليك وأثبت لك بأنّ المقصود من (الجن) المذكورين في سورة الجنّ هم وفد نصارى مدينة نصيبين الواقعة على الحدود السوريّة التركيّة وإنّ آيات سورة الجنّ قد صيغت صياغةً بلاغيّةً معجزةً وبحيث يكون ما يتبادر لذهن القارئ من تلك الآيات هو غير ما أريد من مضامينها وهذا إعجازٌ قرآنيٌ لم يستطع أحدٌ مواجهة تحدّيه منذ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا. وعلى كلّ حال فقد أثبتّ لك في هذه الحلقة الأولى أنموذجاً استقيته لك من سورة (الجنّ) وقد وضّحت لك من خلاله كيف أورد اللّه عز وجلّ في هذه السورة كلمة (الجنّ) بدلالتها الوصفيّة على الناس الغرباء عن شبه جزيرة العرب التي بعث اللّه تعالى في أمّ القرى التي هي مكّة المكرّمة سيّد أنبياء اللّه تعالى ورسله وهو محمّد المصطفى صلّى اللّه عليه وسلّم. فهذه هي خلاصة هذه الحلقة الأولى من حلقات هذا البحث.

الحلقة الثانية

دلالة كلمة (جنّ) على زعماء القوم

ولا أكتفي بالمثال الذي وردت فيه كلمة (جنّ) بمعنى الغرباء بل سأقدّم لك ياعزيزي القارئ مثالاً أورد اللّه عز وجلّ فيه كلمة (جنّ) بمعنى آخر وهو دلالته على الملوك والأمراء وزعماء العشائر والزعماء السياسيّين وأمثالهم من الأشخاص الذين تتوفّر فيهم صفة السيطرة والهيمنة على أتباعهم من عامّة الناس. وهذا المعنى قد أفاده المصدر الثلاثي (جنّ) الدالّ على معنى السّتر والسيطرة. فأنت تقول: جنّ الليل بمعنى هيمن على الأرض وسيطر وبما أنّ زعماء الأقوام ينتخبون أصلاً ليقوموا بإدارة شؤون رعيتهم وليصبحوا أولوا الأمر فيهم، فصاحب الأمر والنهي يهيمن ويسيطر على من هو تابع له ويطيع أمره، وبذلك جاز استعمال كلمة (جنّ) لأولي الأمر من الناس وكما هو وارد في القرآن الكريم في هذا المثال الذي سأقدّمه لك. علماً بأنّ معجم (محيط المحيط) ورد فيه أنّ كلمة جنّ تستعمل في مقابل كلمة (إنس) وتكون هذه الكلمة (إنس) تدلّ على عوام الناس وأتباعهم كلّما وردت في آية كريمة مقابل كلمة (جنّ).

فأنت يا عزيزي إذا رجعت إلى معجم (محيط المحيط) تلاحظ أنّه وتحت فعل (أنس به) كتب يقول: الإنس هم البشر أو خلاف الجنّ، وإذا قلت: فلان إنسٌ لفلان فمعناه صفيّه وخاصته، . وعليه يصح إطلاق

كلمة (إنس) وصفاً للرعيّة من الناس ووصف تابع لزعيم من الزعماء.

فهذه الحقيقة اللغوية كانت تعمل وراء تسميّة زعماء الأقوام (جنّاً) وتسمية رعيتهم (إنساً) في كتاب الله العزيز. فإن أنت تلوت يا عزيزي القارئ قول ربنا عز وجل في الآية (56)من سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ فقد يذهب ظنّك إلى أنّ المقصود من كلمة (جنّ) الواردة في هذه الآية الكريمة هو ذاك المخلوق النّاري الذي تصور الوثنيّون في شبه جزيرة العرب وجوده تحت الأرض، وهو المعنى الذي ما يزال عالقاً في أذهان عقول العرب المسلمين المقلّدين تقليداً أعمى لما توارثوه. فقد يتبادر لذهنك ذلك الظنّ المخالف للمعنى الحقيقي لكلمة (جن) الواردة هنا في هذه الآية الكريمة، أما وقد شرحت لك أعلاه مصدر هذه التسميّة المذكورة. فقد عاد من الواجب عليك أن تعلم بأن الله عزّ وجلّ قد أراد بكلمة(جن) في هذه الآية الكريمة، طبقة حكّام الأقوام وأولي الأمر منهم على مرّ الزمان.

فلقد أعلن اللّه عز وجلّ في هذه الآية الكريمة على الملأ وبكل قوة بأن أولئك الحكام وإن أصبحت لهم السيطرة على شعوبهم، فلا تعني ميّزتهم تلك أنها حرّرتهم من عبوديّتهم لله تعالى، بل إنهم بصفتهم الجديدة كأولي أمر وحكام للشعوب، فإن من واجبهم تذكّر أن الله عز وجل قد خلقهم لعبادته.

أما قوله تعالى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾؟ فقد ورد في معجم (محيط المحيط): تقول عبد الله تعالى، ومعناه طاع له وخضع لأمره وذلّ بين يديه والتزم العمل على شرائع دينه المنزل لتهذيبه، واعتقد بوحدانية الله وأنه لا شريك لله تعالى في ملكه لهذه السماوات والأرض. ونخلص من هذا المعنى إلى أنّ من واجب أولي الأمر في كلّ مكان من سطح هذه الكرة الأرضية أن يكونوا عباداً لله تعالى بهذه المفاهيم التي دلّ عليها قول ربّهم عزّ وجلّ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وإنّ هذا المعنى المذكور يفرض على طبقة الحكام أن يتصفوا بصفات ربهم خلال قيامهم بتصريف أمور رعيتهم وأن يحكموا بينهم بالعدل. وإلى هذه الحقيقة أشار الله جلّ شأنه في الآية (58) من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ فقوله تعالى في الشطر الأول من هذه الآية الكريمة قد قصد به ألاّ ينتخب الرعية حكامهم بدافع الخوف أو الرشوة، بل إنّ مهمة الانتخاب هي بمثابة أمانة في عنق كلّ مواطن وتفرض عليه انتخاب الشخص المؤهل للحكم خلقياً وثقافياً، وأما في الشطر الثاني من هذه الآية الكريمة فقد وجه الله تعالى خطابه إلى الحكّام الذين تنتخبهم شعوبهم فأمرهم وقال ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾.

فأمعن نظرك يا عزيزي القارئ في هذا المعنى العميق والواسع الذي بيّنته لك تفسيراً لقوله تعالى من سورة الذّاريات ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه الآية التي تدبّرتها بمنهجية القرآن

الكريم وأصول تفسيره. وقارنه بما توارثته من معنى لكلمة (جنّ) فتلاحظ أنك حرمت نفسك من بركات جميع هذه الدلالات الآنفة الذكر وقزّمت في الوقت نفسه دلالة هذا الكلام الإلهي المعجز والمصاغ صياغة بلاغية والذي لا يُدرك إلاّ بعد تدبّره بهذا الأسلوب من التدبّر.

أدلّة مصداقيّة معنى الزعماء

وأنا لا أكتفي بهذا الشرح الآنف الذكر، بل أقدم لك الأدلة المستنبطة من داخل مضامين هذه الآيات من سورة الذاريات والتي يثبت من خلالها مصداقية المعنى الذي شرحته لك من قبل، وإليك هذه الأدلة:

الدليل الأول. أولم تلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أن ربّك الذي كرمك وجعلك أشرف مخلوقاته، قدّم على ذكرك كلمة (الجنّ) في هذه الآية الكريمة من سورة الذّاريات وقال ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟ فلو كان المقصود من كلمة (جنّ) هنا مخلوقاً نارياً اعتقد الوثنيّون بوجوده، فما كان من مبرر ليقدّم الله عزّ وجلّ ذكره على ذكر ﴿ٱلنَّاسِ﴾ هؤلاء الذين كرّمهم اللّه تعالى في كتابه العزيز، أما إذا أخذت بالمعنى الذي بيّنته لك فلا يصبح لتقديم هذه الكلمة (جن) وبمعنى الزعماء على كلمة ﴿ٱلْإِنسَ﴾ المقصود بها هنا رعيّة هؤلاء الحكّام أيّ حرجٍ كان.

الدليل الثاني. والدليل الثاني الذي يثبت مصداقية المعنى الذي

ذهبت إليه. هو أنّ الله عزّ وجلّ قد أمر رسوله الكريم (ص) في الآية التي سبقت قوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وقال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. ففعل ﴿ ذَكِّرْ ﴾ معناه وكما ورد في المعجم: ذكّر الناس أيّها المؤمن وعظهم واجعلهم يذكرون أوامر ربّهم عزّ وجلّ. ثمّ إنّ كلمة ﴿ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ هي اسم للتذكير وللعبرة، ويصبح معنى قوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هو أن الله عز وجل، قد أوجب على رسوله الكريم وعلى كل من يصبح قيادياً في صفوف المؤمنين أن يذكرهم ويعظهم ويجعلهم يذكّرون بأوامر ربهم عز وجل.

فلو كان المقصود من كلمة (جنّ) الواردة في هذه الآية محلّ البحث مخلوقاً آخر غير الناس فقد كان من واجب محمد رسول الله (ص) أن يقوم بوعظ وتذكير المخلوق الظّني الموهوم (الجنّ) بأوامر ربهم عز وجلّ، خصوصاً تلك الفئات منهم الذين آمنوا بعدما كانوا مشركين ومتّخذين للّه (صاحبةً وولدا)، فهل أوردت صحف التاريخ بأنّ محمداً(ص) قد أدى هذه الأمانة وقام بوعظ الجنّ وتذكيرهم بربّهم إن كان (الجنّ) الذين ذكرتهم سورة الجنّ مخلوقاً آخر غير الإنسان؟ وما دام هذا لم يحدث فلزم الاعتقاد بان كلمة (جنّ)الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ أقول لزم الاعتقاد بأن المقصود من هذه الكلمة هنا هو هذا المعنى الذي سبق لي أن بينته للقارئ العزيز من قبل وهو دلالتها على زعماء الأقوام.

فهذان دليلان ضمنيّان من ضمن هذه الآيات الكريمة ويثبتان مصداقية المعنى الذي ذهبت إليه. فإن شئت يا عزيزي بعد هذا الشرح والتدليل جميعه أن تظل معتقداً بأن كلمة (الجنّ) الواردة في هذه الآيات المقصود منها وجود مخلوق ناري اعتقد بوجوده الوثنيون الجاهليون فأنت حرّ أن تعتقد بعد هذا البيان كلّه ما تشاء، ذلك أنّ كلّ نفس بما كسبت رهينة.

دلالة ﴿ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ على الغرباء

ولربما تفكر بما قلته لك طويلاً وتعود تسألني من جديد وتقول: ما هو المعنى وما هو المقصود في هذه الحال من قوله جلّ شأنه في الآيات(29) وما بعدها من سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

أجيب وأقول: إنّ المقصود من هذا النّفر من (الجن) المذكورين في هذه الآية الكريمة، وحسبما أورده صاحب كتاب (فتح البيان)

المشهور، كانوا يشكّلون وفداً من اليهود الذين كانوا يقطنون أفغانستان وذلك في مجلّده الثامن صفحة 355 إذ من المعلوم أن ملك بابل بختنصّر الذي هاجم فلسطين وسبا الأسباط اليهود الاثنا عشر إلى العراق وقام بهدم هيكل سليمان. فقد ضاقت أرض العراق بهم فمنهم من هاجر إلى أرض فارس ومنهم من هاجر إلى أفغانستان وعلى حسب ما يثبت ذلك من تاريخ أفغانستان نفسه وهي حقيقة كنت قد وضّحتها في مؤلفي (هل مات المسيح على الصليب) وباقتباسات من كتب المؤرخين الأفغان أنفسهم.

والمهم في الأمر هو أن اليهود الذين هاجروا إلى أفغانستان كانوا ينتظرون بعثة رسول مشرّع من بلاد العرب واستناداً إلى نبوءة موسى عليه السلام الواردة في الإصحاح 18/ 18 من سفر التثنية والتي قال موسى عليه السلام فيها:

(أقيم لهم نبيّا من وسط أخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلّمهم بكلّ ما أوصيه به)

فاستناداً إلى معطيات هذه النبوءة المذكورة فقد كان يهود المهجر في أفغانستان خاصة ينتظرون بعثة محمد العربي (ص). فلمّا وصلتهم أخبار إدعاء محمد بن عبد الله النبوّة انتخبوا من جانبهم نفراً مندوبين عنهم وأرسلوهم إلى مكة المكرمة للتحقيق في صدق نبوة هذا الرسول العربي، فهذا النّفر من يهود أفغانستان هم الذين أشير إليهم في هذه الآيات الكريمة من سورة الأحقاف وحسبما ذكر ذلك صاحب مؤلف (فتح البيان) في المجلد الثامن منه.

أما لماذا استعمل القرآن المجيد لهذا النفر من يهود أفغانستان كلمة (جنّ)؟ فإنّ اشتقاق هذه التسمية هنا جاءت من المصدر الثلاثي (جنّ) بمعنى استتر واختفى. فأهل أفغانستان كانوا بالنسبة لعرب شبه جزيرة العرب (جنّ) أي غرباء مستترين عن أعيُن العرب لبعدهم عنهم ولعدم مخالطتهم إيّاهم في ذاك التاريخ ولندرة وجود المواصلات آنذاك، فيهود أفغانستان كانوا مستترين ومختفين عن أنظار سكان شبه جزيرة العرب زمن بعثة محمد بن عبد الله (ص) ولذلك صحّ أن يسميّهم القرآن الكريم ﴿ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ على سبيل الوصف والاستعارة وإنّ كلمة ﴿ نَفَرًا ﴾ تطلق على سبعة من الرجال حسبما أورده معجم (محيط المحيط) وإنّ رواية ابن كثير أوردت أنّهم كانوا سبعة رجال. وبالإضافة إلى ما ذكرناه فبإمكاننا أن نستنبط أدلة ضمنية مستقاةً من هذه الآيات الكريمة نفسها وتثبت مصداقية المعلومة التي أوردها مؤلف (فتح البيان)، وإلى القارئ الكريم هذه الأدلة:

أدلّة تثبت معنى الغرباء

الدليل الأول: إنّ قول الله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يحمل هذا الكلام الإلهي بمجمله دليلاً قاطعاً يثبت بأن كلمة (الجنّ) هنا لم يقصد بها مخلوق آخر غير الإنسان. وذلك لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ ﴾ هذا القول الذي يعني دفعنا إليك (محيط المحيط). وهل يدفع

الله جلّ شأنه مخلوقاً آخر لا علاقة له برسالة الإسلام إلى رسول الله (ص) ليستمع إلى آيات الكتاب المنزل عليه وليصبح من المؤمنين به؟ إلا إذا كان المقصود هنا من كلمتي ﴿ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ سبعة أشخاص غريبين عن شبه جزيرة العرب وليسوا عربا من شبه جزيرة العرب وعبّر اللّه تعالى عنهم بقوله نفراً من الجنّ؟

الدليل الثاني: وإن ما يؤكد ما ذكره مؤلف (فتح البيان) هو أن النّفر المذكورين كانوا يشكلون وفداً من رجال الدين اليهودي ومندوبين عن قومهم للتحقيق في أمر صدق هذا الكتاب السماوي المنزل، وذلك بدليل قوله تعالى بعد ذلك ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ فقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ ﴾ محذوف مضافة وتقديره: فلمّا قضى ما جاء أفراد هذا الوفد من أجل تحقيقه وقضي ما تحققوا من مصداقيته. ولّوا أي عادوا ورجعوا إلى قومهم الذين انتدبوهم للقيام بهذه المهمة الدّينية ﴿ مُّنذِرِينَ ﴾ أي يبلّغونهم بترغيب وترهيب ما توصّلوا إليه. هذا على اعتبار أنّ كلمة ﴿ مُّنذِرِينَ ﴾ مشتقّةٌ من أنذر فلانٌ قومه بمعنى أعلمهم بما حقق فيه وحذّرهم من عواقب الكفر وعدم الإيمان بهذا الكتاب وبهذا الرسول فهذا التحذير قد حدث قبل اتخاذهم موقفاً حاسماً منه. علماً بأنّ كلمة المنذر اسم فاعل (محيط المحيط).

الدليل الثالث: وإنّ قول الله تعالى في الآية الثانية: ﴿ قَالُوا يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ فقولهم ﴿ سَمِعْنَا ﴾ معناه أدركنا (محيط المحيط) وقولهم ﴿ مِنۢ

بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ المقصود منه من بعد كتاب موسى. وقولهم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يقصد أنّ هذا الكتاب القرآن أنزله الله تعالى مصدقاً لما بين يديه من نبوءات التّوراة التي كانت قد أنبأت عن نزول هذه الشريعة من بعد موسى، وإنّ أهمّ وأوضح تلك النبوءات هي نبوءة سفر التثنية 18/ 18 والتي سبق لي أن أشرت إليها من قبل، وعليه فانّ هذا (النفر من الجنّ) كانوا عبارة عن عدد من اليهود المكلّفين من قبل قومهم بالتحقيق في أمر صدق المدّعي العربي محمّد بن عبد اللّه (ص) وبالإيمان برسالة الإسلام التي بعث الله تعالى جلّ شأنه محمداً (ص) لنشرها على العالم بأسره إن تبيّن لهذا النفر صدق رسالة هذا النبيّ العربي الذي ذهبوا للتحقيق في صدق نبوّته.

الدليل الرابع: وإن قولهم ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فكلمة ﴿ٱلْحَقِّ﴾ هي أحد أسماء الله الحسنى، ومن معانيه: العدل والأمر المقضي والصدق، (محيط المحيط) وهذه المعاني تشعرك يا عزيزي القارئ بأنّ الوفد المشار إليه قد تحقق من صدق ما أنبأت به نبوءة سفر التثنية، ومن انطباق نبؤها على بعثة محمد رسول الله (ص) وعلى صدق رسالة الإسلام أيضاً. وأنّ أفراد هذا الوفد عادوا إلى بلادهم وبشّروا قومهم بصدق رسالة الإسلام وتقبّل قومهم من أسباط اليهود المهاجرين في أفغانستان هذا الدين الجديد وهو المشار إليه بالطّريق المستقيم.

الدليل الخامس: وإنّ قولهم في الآية الأخيرة ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ فتعني هذه الأقوال صراحة أنّ أولئك النفر من الجنّ المذكورين وقومهم كانوا مكلّفين بالإيمان بالدين الإسلامي وهم بالتالي كانوا بشراً وأحد الأقوام التي كانت تقطن على سطح هذه الكرة الأرضية وليس الأمر كما ظنّ أصحاب العقول التقليدية من أنّ هذا النفر من الجنّ كانوا مخلوقاً آخر غير الإنسان ويقطن باطن الأرض.

وعليه فما عليك يا عزيزي القارئ إلاّ أن تمعن نظرك في جميع ما ذكرته لك وتستفتي عقلك وقلبك ولتدرك بأن كلمة (الجنّ) الواردة في هذه الآيات الكريمة من سورة الأحقاف قد قصد بها هذا الإنسان نفسه ولم يُقصد بها مخلوقاً آخر سواه.

تلخيص مضمون الحلقة الثانية

وختاماً لهذه الحلقة الثانية إليك تلخيص ما أوردته فيها. فقد شرحت لك في هذه الحلقة الثانية دلالة كلمة (جنّ) وفي مقابل كلمة (إنس) وهي المعاني التي أورد اللّه تعالى بها الآية ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ واستنبطت للقارئ الكريم أدلّةً من ضمن هذه الآية الكريمة أثبتت من خلالها مصداقيّة المعنى الذي ذهبت إليه. ومن ثمّ انتقلت بك يا عزيزي القارئ فشرحت لك الآيات من سورة الأحقاف

التي استهلّها اللّه تعالى بقوله ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ فاقتبست لك ما أورده مؤلّف كتاب (فتح البيان) المشهور والذي وضّح بأنّ هذا النفر من الجنّ كانوا وفداً يهودياً يمثّل أسباط يهود أفغانستان الذين كانوا هناك بعد أن هاجروا من العراق بعد سبي ملك العراق بختنصّر إيّاهم. فقد كان قومهم قد انتدبوهم للتحقيق في صدق نبوّة محمّد (ص) وصدق الدين الإسلاميّ وقد عادوا مؤمنين مصدّقين به وتقبّل أهل أفغانستان الإسلام ديناً على أيدي الوفد المذكور والمشار إليه وهي حقيقةٌ تاريخيّة يثبتها تاريخ أفغانستان نفسها. وزدت على ذلك بأن استنبطت عدّة أدلّة ضمنيّة من تلك الآيات نفسها من سورة الأحقاف والتي أثبتت من خلالها مصداقيّة المعاني التي بيّنتها للقارئ العزيز شرحاً لمضمون تلك الآيات الكريمة. فهذه هي خلاصة هذه الحلقة الثانية من حلقات هذا البحث.

الحلقة الثالثة

ولا بدّ أنّك قد لاحظت يا عزيزي القارئ كيف أنّي أثبت لك في الحلقتين الماضيتين بأن القرآن العظيم قد وصف زعماء الأقوام بصفة (الجنّ)، وأنّه سمّى أتباع هؤلاء الزعماء (إنساً) وذلك في سورة الذاريات ومن ثمّ أوردت لك من سورة الأحقاف الآية التي قال تعالى فيها ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وقد وصف اللّه تعالى فيها زعماء القوم بصفة (الجنّ) وبمعنى الزعماء الغرباء عن شبه جزيرة العرب لكونهم وفداً من يهود أفغانستان وسأورد لك الآن يا عزيزي جميع الآيات الكريمة التي تضمنت هذين المعنيين المذكورين.

فأبدأ بقول اللّه تعالى في الآية (112) من سورة الأنعام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله تعالى أورد في هذه الآية الكريمة لفظي ﴿ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ مجتمعين وبدلالتهما اللغوية التي تعني الناس في كلا الحالين وكما سبق لي أن بينته سابقاً. أي أنّ كلمة (الإنس) أوردها جلّ شأنه لوصف شريحة من الناس هم الرّعيّة منهم. كما أورد كلمة (الجنّ) لوصف شريحة أخرى من الناس وهم زعماؤهم وحكّامهم. ولم يقصد جنس مخلوق آخر ناريّ الماهيّة والذي اعتقد الوثنيون الجاهليون بوجوده قبل الإسلام.

دلائل ضمنيّة تدل أنّ ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾ هم الزعماء

هذا وإن ألفاظ هذه الآية الكريمة نفسها تحمل هي وما قبلها وما بعدها الدلائل القاطعة التي تثبت مصداقية هذا المعنى الذي ذهبنا إليه. وإلى القارئ العزيز هذه الأدلة الضمنية التي اشتملت عليها هذه الآيات من سورة الأنعام:

الدليل الضمني الأول: فلقد وضّح الله جلّ شأنه في هذه الآيات الكريمة أنّه يتكلم عن أعداء الأنبياء وليس عن أعداء أشخاص غيرهم. فمن هم أولئك الأعداء الألدّاء الذين عادوا محمّداً المصطفى (ص)؟

إنّ الأعداء المشار إليهم في هذه الآية الكريمة كانوا زعماء قريش وأتباعهم إضافةً إلى زعماء اليهود وأتباعهم وبالإضافةً إلى زعماء المسيحيين وأتباعهم. وتساءل معي ياعزيزي القارئ: ما هي الصفة التي وصف الله جل شأنه هؤلاء الفرقاء من الزّعماء وأتباعهم؟ الجواب ورد من خلال قوله تعالى ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾.

ولنتساءل من جديد: ما هي دلالات كلمات ﴿ شَيَٰطِينَ ﴾، ﴿ زُخْرُفَ ﴾، و﴿ غُرُورًا ﴾؟ ومن باب أنها كلمات وردت بلسان عربي مبين. فلا يجوز أن نفهم كلمة ﴿ شَيَٰطِينَ ﴾ بمفهومها العامي فنقع حينئذٍ في متاهات وجود كائنٍ شيطاني وكائنٍ جنّي. وعلى شاكلة ما اعتقده المقلّدون.

فقد أورد (محيط المحيط) ووافقه (معجم المقاييس) أن النون في كلمة

(شيطان) إذا اعتبرناها أصلية فمعناها الوجود الهالك المحترق والبعيد عن الرحمة وعن الحق لكونه عات ومتمرّد. أما إذا كانت نونه زائدة فكلمة (شيطان) على وزن فعلان ومعناه الهالك وممنوع من الصرف. فإذا قلت يا عزيزي: شطن صديقي عنّي، فالمعنى أنّ صديقي خالفني في وجهة نظري ونيّتي، وعليه فالشيطان هو كلّ عات ومتمرّد من إنس أو جنٍّ أو دابّة. وتقول هذا بئرٌ شطون والمعنى أنّه بعيد القعر. ورجلٌ شاطن أي خبيث.

وعليه يكون المقصود من كلمة ﴿ شَيَٰطِينَ ﴾ الناس العتاة والمتمردون والبعيدون عن الحق والرحمة من زعماء وأتباع قريش، والعتاة والمتمردون والبعيدون عن الحق والرحمة من زعماء وأتباع اليهود والعتاة والمتمردون والبعيدون عن الحق والرحمة من زعماء المسيحيين.

وإنّ هذه الدلالات جميعها اختصرها الله عز وجلّ وأفاد بها من خلال قوله تعالى ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ وأورد اللّه تعالى ذلك كلّه مُصاغاً بصياغة بلاغية معجزة أيضاً

ونتناول الآن كلمة ﴿ زُخْرُفَ ﴾ فهي مشتقة من زخرفَ حيث تقول إنّ عدوّي يزخرف ما يقوله ومعناه أن عدوّي يموّه كلامه بالأباطيل والكذب. فيحسّن كلامه ويزيّنه ليوهم أنّه يتكلّم الصدق، على حين أنه يكذب فيما يقوله.

ـ أما كلمة ﴿ غُرُورًا ﴾ فقد اشتقّت من قولك غرّ فلانٌ فلاناً بمعنى أنه خدعه وأطمعه بالباطل. (محيط المحيط)وهكذا وبهذه الصياغة

البلاغية المعجزة يكون الله جلّ شأنه قد تعرّض في كلامه إلى زعماء جميع الأديان وأتباعهم فوصفهم بكونهم عتاةً ومتمردين على خالقهم وبعيدين عن الحقّ والرحمة. فإذا تحدّثوا فيما بينهم تحدّثوا بالأكاذيب والأباطيل المموّهة بألفاظ منمّقة ليوهم بعضهم بعضاً أنّهم يتكلمون حقائق وصدقاً، على حين أنّهم يتحدّثون كذباً وزوراً والقصد من ذلك أن يخدع بعضهم بعضاً وليبتعدوا عن طريق الحق والإيمان والصراط المستقيم الذي جاء به أنبياء الله الكرام. ولتلاحظ يا عزيزي القارئ كيف راح الله عزّ وجلّ يقول ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ لتعود هذه الجملة قرينةً ودليلاً ضمنياً يؤكّد أنهّ تعالى لم يقصد من كلمة ﴿ شَيَـٰطِينَ ﴾ إلا البشر وحدهم ولم يقصد بقوله هذا مخلوقاً آخر غير الإنسان. فالقارئ الذي يغفل عن دلالة هذه الجملة ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ يتوهّم من خلال جملة ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ ما توهمه العرب الجاهليون من وجود مخلوقات من الشياطين. حال أنّ الله عزّ وجلّ لم يستعمل كلمة ﴿ شَيَـٰطِينَ ﴾ في هذه الآية الكريمة كاسم جنس، بل أوردها كوصف لزعماء وأتباع مختلف الديانات في العالم.

وعلى هذه الصورة يكون قول الله تعالى ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ قد شكّل الدليل الضمني الأوّل الذي اشتملت عليه هذه الآية الكريمة والذي يثبت منه مصداقيّة ما ذهبت إليه من معنى.

حقيقة معنى (إبليس وشيطان)

وبهذه المناسبة أُلفت نظر القارئ العزيز إلى أن الله عـزّ وجـلّ دأب في كتابه العزيز على استعمال كلمتين: الأولى كلمة (إبليس) ليصف بها الكافر وهو في المرحلة الأولى من كفره والتي تمثّل قنوطه من رحمة السماء النازلة. والكلمة الثانية هي كلمة (شيطان) وليصف بها الكافر وهو في مرحلته العدوانية الثانية من كفره والتي يُحارب خلالها هذا الكافر فئة المؤمنين. وقد وضّحت هذه الحقيقة التي لفتّ النظر إليها وبيّنتها مُعطيات الشطر الأول من قصّة آدم القرآنية الوارد في الآيات الأوائل من سورة البقرة. فإن تدبّر القارئ الكريم الشطر الأول من قصة آدم الوارد في سورة البقرة فسيلاحظ بأن الله عزَ وجل قال في الآية (34) هناك: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾. فاللّه جلَ شأنه أطلق في هذه الآية الكريمة على هذا الإنسان الذي رفض الخضوع لرسالة آدم عليه السلام صفة (إبليس). فكلمة (إبليس) هذه هي صفة وليست اسم شخص. فهي اشتقت من قولك أبلسَ الرَجل ومعناه أنّه يئس من رحمة الله وحزن. وهذا الوصف ينطبق على الإنسان الذي كفر برسالة آدم الذي بعثه الله عزَ وجلَ كأول نبيَ مرسل إلى هذا الإنسان. والدليل على كون كلمة (إبليس) هنا صفةً وليست اسماً ذاتياً، هو أنَ الله عزَ وجلَ أورد واو الإضافة الدالّة على معنى الحال لدخولها على الفعل الماضي (كان) وكان مخبراً عن هذا الإنسان الذي وصفه بصفة (إبليس) قال بحقّه ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ولم يكن من المؤمنين برسالة آدم

عليه السلام. وليلاحظ القارئ الكريم كيف أنَ الله عزَ وجل استعمل من جديد كلمة (شيطان) واصفاً من خلالها المرحلة العدوانيَة التي انتقل إبليس إليها ليقاوم آدم ورسالته فقال الله تعالى بحقه ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾. قال الله تعالى هذا بعد آية واحدة من الآية السابقة هذه والتي قال تعالى فيها ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. ودليلي الذي يثبت كون هاتين الصفتين (إبليس والشيطان) لذات واحدة هو أنَ خطاب الله تعالى الذي كان موجَهاً إلى آدم وزوجه ورد بصيغة التثنية في هذه الآيات الثلاث التي أوردناها. على حين أنَ صيغة التثنية هذه انقلبت إلى صيغة جمع بعد قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾ ولقد راح اللّه تعالى يقول بعد ذلك: ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ فلولا أن كان هذا الذي كفر برسالة آدم بشراً فما كان ليصحّ الانتقال من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع هذه وليشمل الخطاب الإلهي آدم وعدوَه معا. هذا إذا فرضنا المحال من أنَ إبليس أو الشيطان كانا من جنس غير جنس آدم الإنسان. فهذه حقيقة يدركها الضالعون في علوم اللغة العربية.

وعلى هذه الصورة أكون قد استقيت للقارئ العزيز الدليل الضمني الأول من الآيات التي أوردتها له من سورة الأنعام والتي أطلق

الله جلَ شأنه فيها كلمة (جن) على زعماء الناس كما أطلق فيها كلمة (إنس) على عوام الناس المنقادين لهؤلاء الزعماء. فمن شاء الاستزادة من المعلومات في موضوع حقيقة وصف الذي كفر بآدم عليه السلام بهاتين الصفتين فليراجع مؤلفي (نشوء الإنسان وتطوره). فهو متوفّرٌ في المكتبات العامة وخصوصاً مكتبة الأسد الوطنية المشهورة.

الدليل الضمني الثاني: ونستقي هذا الدليل الضمني الثاني من الفقرة الأخيرة من نفس هذه الآية (112) من سورة الأنعام. فالملاحظ هو أنَ الله عزَ وجل أتى بفاء الاستئناف وأنهى هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾. ففعل ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ الذي أورده تعالى في هذه الفقرة الأخيرة اشتقَ لغةً من قولك فرى وافترى فلان على فلان الكذب افتراءً ومعناه اختلقه. وورد في الكليات: الافتراء هو الكذبَ العظيم ومعنى افترى: افتعل واختلق مالا يصحّ أن يكون. والفرية تعني القذف والكذب (محيط المحيط). وعليه فالسؤال هنا: من هؤلاء الذين ﴿ يَفْتَرُونَ ﴾ وماذا يفترون؟فستجيبني يا عزيزي وتقول: إن الذين يفترون هم الذين صرّحت بهم هذه الآية الكريمة وهم أعداء الأنبياء والمؤلفون من شياطين الإنس والجنّ. وأنّهم يفترون ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ وهو المشار إليهم في هذه الآية الكريمة أيضاً.

فاقول لك: لقد دللتني يا عزيزي القارئ على ما نحاول فهم دلالاته. ولذلك تضطرني لأرجع بك إلى حيث ابتدأ الله عزَ وجلَ موضوع هذه الآية التي نحن بصددها. فإن أنت عُدت إلى الآية (106) تلاحظ بأن الله تعالى راح يخاطب رسوله الكريم ويقول له فيها:

﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۚ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ فلتلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ مضمون هذه الآية 106 يدلّك على حقيقة شياطين الجن والإنس الذي نهى الله تعالى رسوله الكريم عن الالتفات إليهم من خلال قوله تعالى في الفقرة الأخيرة من الآية 112 من سورة الأنعام وقال ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ .

والآن وبعد هذه البيان تعال تدرّج معي خطوةً خطوة :

أولا. فأنت تلاحظ كيف أنّ الله عز وجلّ قد نهى رسوله الكريم وقال ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ فمن هم أولئك المشركون الذين قصدهم تعالى في هذا النّهي؟ الجواب هم الذين عبدوا الأصنام لاعتقادهم بوجود عدد من الآلهة . على حين نبّه تعالى قبل هذا النهي وقال ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي أنّه تعالى كان قد قصد من هذا النهي مشركي مكّة وما حولها .

ثانيا. كذلك لا حظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله تعالى نهى المؤمنين في هذه الآية الكريمة وقال ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهذا النّهي متعلّقٌ بمشركي مكّة وما حولها خاصّة أيضاً أولئك الذين كانوا يسبّون المؤمنين ويعادونهم ويضطهدونهم وحسبما روت لنا صفحات التاريخ.

وعليه فإنّ سباق الآية 112 من سورة الأنعام كان يتكلّم عن مشركي شبه جزيرة العرب وليس عن مخلوق آخر غيرهم. وهكذا يكون المقصود من كلمات ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أعداء اللّه وأنبيائه من زعماء القوم المشركين الذين سمّاهم جلّ شأنه (شياطين الجن) وأتباعهم وقد سمّاهم اللّه تعالى (شياطين الإنس). ومنبّهاً في الوقت نفسه إلى أنّ أحاديث هؤلاء وهؤلاء الذين يتحدّثون بها لا تخرج عن كونها ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ بمعنى أنها كانت أحاديث نابعة من روح التمرّد والغرور ومنمّقةً بالظنون والأباطيل.

فإن أنت تفحّصت الآيات التي وردت بعد هذه الآية 112 التي نحن بصددها فستنتهي إلى نفس النتيجة التي توصّلت إليها من آيات السباق وهو أنّها تتكلّم عن نفس المشركين وليس عن مخلوق آخر سواهم. لذلك تلاحظ كيف انتهى اللّه تعالى بعد جميع الذي أورده إلى القول في الآية 123 من سورة الأنعام هذه فقال ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ وقد اعتبر اللّه تعالى بذلك أكابر المشركين الذين سماهم من قبل ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ اعتبرهم (أكابر المجرمين) في تلك القرى وهم الذين يمكرون بالإسلام ورسوله الكريم، فتدبّر.

آيات أخرى ورد ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾ فيها بمعنى الزعماء

وألفت نظرك يا عزيزي القارئ إلى آيات أخرى وردت فيها كلمتا (الإنس والجنّ) بمعنى الزعماء ورعيّتهم. ففي الآيات **128/ 129/ 130** من سورة الأنعام نفسها قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾.

فالملاحظ من خلال هذه الآيات الكريمة أنّ اللّه تعالى أورد كلمة ﴿ جَمِيعًا ﴾ ضمن قوله ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ فإن نحن راجعنا معجم (محيط المحيط) فقد ورد فيه أنّ كلمة (جميع) تعني جماعة الناس. وقد استعملت هنا للتأكيد على اجتماع جماعات الناس جميعهم يوم الحشر وليس معهم أحدٌ من مخلوق آخر سوى الناس.

فتدرك يا عزيزي القارئ من خلال هذا المعنى المشار إليه بأنّ كلمتي ﴿ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ الواردتان في هذه الآية الكريمة قد وصف اللّه تعالى بهما شريحتين من الناس سمّاهما ﴿ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ ولم يورد هاتين الكلمتين كاسم جنس لهما ولا دلالة على وجود مخلوقين متميّزين. وعلى هذه الصورة يكون اللّه تعالى قد نبّهك إلى هذه الحقيقة

في مستهلّ هذه الآية الكريمة. وقد فعل هذا لتدرك أيضاً بأنه تعالى عندما خاطب وقال ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾ يكون قد قصد في خطابه هذا زعماء الأقوام ورعيّتهم ومن باب أنّ كلّ زعيمٍ منهم قد حاول في حياته استقطاب أكبر عدد من الرّعيّة حوله لترسيخ دائرة زعامته على الرعيّة.

ولاحظ يا عزيزي أيضاً كيف أنّ اللّه تعالى عندما قال ﴿ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَا ﴾ فقد أورد تعالى على لسانهم كلمة ﴿ ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٍ ﴾ وقد ورد في معجم (محيط المحيط) أنّ فعل ﴿ ٱسۡتَمۡتَعَ ﴾ يعني انتفع بعضنا من بعضنا الآخر. وهذا المعنى يشرح وبشكلٍ يقينيٍّ ظاهرة الروابط الحزبيّة التي تربط زعماء الأحزاب بأفراد أحزابهم فهؤلاء ينتفعون بعضهم من بعضهم الآخر. وتشرح ظاهرة الروابط العشائريّة التي تربط أفراد القبيلة بشيخ قبيلتهم فهم ينتفعون بعضهم من بعضهم الآخر. وتشرح ظاهرة طبقة الحكّام والعوام المحكومين التي تربط بين أولي الأمر وعامّة الناس فكلا الطرفين ينتفع بعضهم من بعضهم الآخر في كلّ مكان من عالمنا. وإلاّ فأروني في أيّة بقعة من كرتنا الأرضيّة يستمتع الجنّ بالإنس أو يستمتع الجنّ بالإنس؟ فهذه الدلالة توضّح بشكلٍ جليّ بأنّ كلمتي ﴿ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾ قد أوردهما اللّه جلّ شأنه في هذه الآية الكريمة يصف من خلالها هاتين الشريحتين من الناس: طبقة الزعماء والحكّام منهم وطبقة عوام الناس والرعيّة من أتباعهم.

ولا حظ معي أيضاً يا عزيزي القارئ ما استهلّ اللّه تعالى به الآية الثالثة وقال ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ﴾ فقد أشار اللّه تعالى من خلال قوله تعالى ﴿ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ إلى أنّ رسول كلّ قوم يكون من جنسهم ولا يكون من جنس مخلوق آخر غير جنسهم. أي أنّ اللّه تعالى يبعث للبشر رسلاً من جنس البشر. ويبعث لغير البشر رسولا من جنسهم. ويكون كلّ رسول مسؤولا عن أمّته التي هي من جنسه. ولا يكلّف جنسٌ بالإيمان برسل جنسٍ آخر بعثوا إلى جنس غير جنسهم.

وما دامت رسالة محمّد (ص) قد كانت موجّهةً إلى الناس قاطبةً فإنّ هذه الحقيقة تفيد بأنّ المقصود من كلمتي (الجن والإنس) في هذا الخطاب الإلهيّ قد قصد به زعماء الناس ورعيّتهم ليس إلاّ. ولم يُقصد به مخلوقين. وإلاّ يحدث اختلاف وتضاربٌ بين دلالات هذه الآيات الكريمة التي وضّحت هذه الحقائق آنفة الذكر.

أمّا الفقرة الأخيرة من هذه الآية الكريمة وهي قوله تعال ﴿ وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ فإنها تتضمّن دليلاً بيّناً وقاطعاً على أنّ المقصود من (الجنّ) هم زعماء القوم وأنّ المقصود من (الإنس) هم أتباعهم ورعيّتهم. فهم جميعهم قد شهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين بما أنزل اللّه عز وجل على رسله الكرام.

تلخيص مضمون الحلقة الثالثة

والآن إذا أردت تلخيص ما بيّنته لك في هذه الحلقة الثالثة من هذا البحث أقول: أثبتّ لك يا عزيزي القارئ أنّ كلمة (جنّ) قد استعملت في مقابل كلمة (إنس) في جميع ما أوردته لك في هذه الحلقة الثالثة من آيات كريمة واستنبطت لك أدلّة ضمنيّة ممّا أوردته من آيات كريمة أثبتّ من خلالها مصداقيّة ما ذهبت إليه من معنى وهو أنّ كلمة (الجنّ) قد أوردها اللّه جلّ شأنه في هذه الآيات الكريمة تعبيراً عن شريحة طبقة الزعماء والملوك وأولي الأمر من الناس. ولم يقصد جلّ شأنه من هذه الكلمة (جنّ) مخلوقاً آخر غير الناس. فهذه هي خلاصة هذه الحلقة الثالثة من هذا البحث.

الحلقة الرابعة

وهكذا أكون قد أثبتّ للقارئ الكريم من خلال ما ورد في سورة الذاريات والأحقاف والأنعام أنّ اللّه تعالى أورد في هذه السور جميعها كلمتي (إنس وجنّ) وصفاً لزعماء الكفر وأتباعهم وأحاول في هذه الحلقة الرابعة إثبات نفس هذه الحقيقة وذلك من خلال ورود نفس هذا المعنى في السور التالية: الإسراء والأعراف وهود والرحمن وفصّلت.

سورة الإسراء ومعنى كلمة ﴿ ٱلْجِنّ ﴾

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف راح اللّه عز وجلّ في الآية 88 من سورة الإسراء يتحدّى ويقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ وقد صاغ اللّه عز وجلّ هذه الآية الكريمة صياغة بلاغيّة معجزة فقصد من كلمة (الجنّ) الواردة فيها زعماء الناس وقادتهم وقصد من كلمة (الإنس) الواردة فيها أتباعهم ورعيّتهم. وقدّم كلمة الإنس على كلمة الجنّ لكون الخطاب موجها إلى الأكثرية في هذا التحدّي الإلهي. على حين أنّ اللّه تعالى كان قد قدّم كلمة الجنّ على كلمة الإنس في سورة الذاريات لأنّ اللّه تعالى كان يُطالب فيها زعماء الناس قبل رعيّتهم بالخضوع للّه تعالى خالقهم وعبادته والامتثال لأوامره.

ثانياً. ولاحظ يا عزيزي القارئ أيضاً قول اللّه تعالى في الآيتين 118/ 119 من سورة هود حيث قال ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

فخلاصة مضمون الآية الأولى هو أنّه لولا أن اقتضت مشيئة اللّه تعالى وتقديره أن يميّز الإنسان بهذا العقل وبحرّية إرادته واختياره لكان قد جعل الناس أمّةً واحدةً وعلى شاكلة ما هو عليه حال جماعات الحيوانات التي تعيش عيشة غريزية فهذا هو معنى الفقرة الأولى من هذه الآية الأول وهي قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ فهذه صياغة بلاغيّة قد صيغت بها هذه الفقرة من الآية ومحذوف منها ما نبّهت إليه.

وإنّ اللّه تعالى حين قال في الفقرة الأخيرة ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فقد أراد تعالى من قوله هذا أنّ عدم استعمال الناس لعقولهم وإرادتهم استعمالاً صحيحاً تجعلهم لا يبرحون مختلفين فيما بينهم وغير متّفقين وعلى جميع المستويات.

وقد استثنى اللّه تعالى من هؤلاء الناس الذين ﴿لَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ فئة المؤمنين وقال ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ أي أنّ اللّه تعالى قد استثنى مما ورد في هذه الآية الأولى جميع المؤمنين باللّه وبرسله وبكتبه وباليوم الآخر من وصمة العار اللاحقة بهذا الإنسان

الذي لا يستفيد من هبة العقل التي وهبه اللّه تعالى إيّاها ولا من حريّة الإرادة وتقرير المصير الممنوحة له.

وأمّا قوله تعالى ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فهو تعالى يعني أنّه كان قد أوجد هذا الإنسان وأبدعه على غير مثال سابق من بعد أن خلق جميع أنواع الحيوانات الغريزية، فأبدعه متميّزاً بميّزة العقل والإرادة وحريّة الاختيار صوناً له من أن يكون غريزيا في تصرّفاته فلا يقلّد تقليداً أعمى ولا يطيع إطاعة عمياء والغرض من ذلك أن تساعده هذه الميّزات جميعها على التّعرّف على ربّه وليطلب محبته وقربه ورضوانه عن طريق الإيمان بربّه والعمل على ما ينزله تعالى من تعاليم سماويّة هي في صالحه. وليستحق رحمة اللّه عليه التي كتبتها تعالى لفئة المؤمنين منهم.

وأما دلالة الفقرة الأخيرة التي قال تعالى فيها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ففيها الإشارة إلى أنّ جميع النّاس الزعماء منهم والأتباع والذين لا يستعملون عقولهم ولا إرادتهم الحرّة ولا يؤمنون بل يكذّبون رسل اللّه الكرام فإنّ جميع هؤلاء سيكون مصيرهم إلى جهنّم وبئس القرار ولكونهم لا يستعملون عقولهم وإرادتهم استعمالا صحيحا ويقلّدون بعضهم بعضاً تقليداً أعمى ويطيعون زعماءهم إطاعة عمياء. (راجع تفسير في ظلال سورة هود) لزيادة الشرح. فالمهمّ هو أنّ كلمة (الجنّ) الواردة في هاتين الآيتين قد قصد منها طبقة زعماء الناس وحكامهم وليس مخلوقاً آخر غير الناس وكنت أثبت أن إطار رسالة محمّد (ص) تشمل الناس ولا تشمل

مخلوقا آخر سواهم وأنّ كلمة (الجنّ) يوردها تعالى على الدوام كصفة وليس كاسم. وإنّ هذه الكلمة وردت هنا صفة وليس اسما ذاتيّا.

سورة الأعراف ومعنى كلمة ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾

وراجع يا عزيزي القارئ قول اللّه تعالى في الآية 38 من سورة الأعراف تلاحظ بأنّ اللّه تعالى قد خاطب الكفار فيها وقال ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾.

إنّ حرف ﴿ مِن ﴾ من قوله تعالى ﴿ مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ حرف يفيد معنى التّفسير والبيان إشارة إلى أنّ الأمم التي خلت من قبلكم كانت مؤلّفةً من (الجنّ) وهم زعماء الأمة. ومن (الإنس) وهم رعايا وأتباع أولئك الزعماء. فإن أنت راجعت يا عزيزي القارئ سباق هذا الكلام الإلهيّ تلاحظ أنّه يدور حول الإنسان وليس حول مخلوق آخر سواه. ففي الابتداء خاطب اللّه تعالى الناس وقال ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ وقد تكلّم

تعالى في هذه الآية التي نحن بصددها عن مصير كلّ من خالف مضمون الآية التي أوردناها ولم يلتزم بأوامر ربّه عز وجلّ. ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله عز وجلّ راح في الآيتين 178/ 179 يقول ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾. وقد أورد الله تعالى في هذه الآيات أيضاً كلمة (الجنّ) ليصف بها زعماء الكفار وأورد كلمة (الإنس) ليصف بها أتباع أولئك الكفّار. علماً بأني سبق لي أن نبّهت إلى أنّ الله عز وجلّ حين تكلّم في الآيات الأوائل عن وقود النار فقد ذكر هناك وقال ﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ ولم يذكر (الجنّ) كوقود. على حين أنّ ذكر في هاتين الآيتين من سورة الأعراف وقال ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ الأمر الذي يدلّ على أن كلمة الجنّ الواردة هنا وردت وصفا لشريحة من الناس وليس اسما لمخلوق آخر سواهم.

ثالثاً ـ وبنفس المعنيين المذكورين ورد قول الله تعالى في الآية 25 من سورة فصّلت السجدة ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ فلقد ورد حرف الجرّ ﴿ مِن ﴾ هنا أيضاً يفيد التّفسير والبيان وليفيد بأنّ الأمم التي خلت من قبل كانت

مؤلّفة من زعماء الكفر ومن أتباعهم. فإن راجعت يا عزيزي القارئ آيات السباق تلاحظ أنّها كانت تدور حول الناس وليس حول مخلوق آخر سواه.

ثم إنّ كلمة ﴿ قُرَنَآءَ ﴾ الواردة في الآية اشتقّت من قرن الشيء بالشيء ومعناه شدّه إليه ووصله به (محيط المحيط) فالقرين هو الكافر الذي يعادي اللّه عز وجلّ والذي سمّاه تعالى (شيطانا) ومن شاط بمعنى أنّ مصيره إلى جهنّم وإلى الاحتراق بالنار.

سورة الأحقاف ومعنى كلمة (جنّ)

ثمّ إنك إذا راجعت يا عزيزي القارئ الآية 18 من سورة الأحقاف تلاحظ قول اللّه تعالى فيها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ وإنّ حرف الجر ﴿ مِن ﴾ الوارد في هذه الآية الكريمة هو أيضاً يفيد التّفسير والبيان وليصبح معنى الآية أنّ الأمم التي خلت من قبلهم كانت مؤلّفةً من زعماء الكفر ومن أتباعهم وأعوانهم من عامّة الناس. وهذا المعنى سبق لي أن ضربت عليه بعض الأمثلة. ولا حاجة هنا للدخول في التفاصيل.

وأخيراً فبإمكانك يا قارئي العزيز تطبيق هذا المعنى الذي دللتك عليه حتى الآن والمتعلّق بكلمتي ﴿ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ على جميع الآيات الكريمة الواردة في سورة الرّحمان والوارد فيها هاتان الكلمتان

المذكورتان فالخطاب في آيات سورة الرحمان موجّه أصلاً إلى زعماء الكفر المعاصرين من أعداء الإسلام خاصّة وإلى أتباعهم أولئك الذين يعيثون في أيّامنا هذه في الأرض فساداً وكانت سورة الكهف قد أنبأت عن ظهورهم من قبل ولا مجال في هذا المقام لشرح ذلك لضيق المقام وبإمكان القارئ مراجعة مؤلّفي (في ظلال تفسير سورة الكهف) للتوسّع في فهم هذا الموضوع المتعلّق بهؤلاء الكفّار الذين يوجّه اللّه تعالى إليهم خطابه وإنذاره أيضاً.

وبعد أن وضّحت للقارئ العزيز ما وضّحته آنفا ألخّص للقارئ العزيز مضمون هذه الحلقة الرابعة فأقول: لقد أوردت لك فيها آيات من عدّة سور هي سور الإسراء وهود والأعراف والسجدة والأحقاف والرحمان وأثبتّ لك من خلالها أنّ هاتين الكلمتين ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قد أوردهما اللّه عز وجلّ في الآيات المذكورة وصفاً لشريحتين من الناس ولم يورد هاتين الكلمتين ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ للدلالة على وجود مخلوق آخر غير الناس. وهكذا أكون قد أثبتّ هذه الحقيقة وهذا المعنى المشار إليه في جميع هذه الحلقات الأربعة الماضية. لذلك أنتقل بالقارئ العزيز إلى حلقة خامسة لأشرح له فيها معنى آخر أورده اللّه تعالى لهذه الكلمة (جنّ) غير المعاني سالفة الذكر.

الحلقة الخامسة

والآن أحاول إطلاع القارئ العزيز على معنى آخر ورد استعماله في بعض آيات القرآن الكريم لكلمة جن خاصة. إذ يصحّ إطلاق كلمة (جنّ) على الناس الأجانب والغرباء عن شبه جزيرة العرب ومن باب أنهم يظلّون في خفاء عن أعينهم ولا يختلطون بهم إلا لماماً، ولا يظهرون إلا حين التعامل معهم وتكون كلمة (جنّ) بهذا المعنى مشتقةً من فعل(جُنّ) والذي يعني أنّه اختفى عن الأنظار وهو معنى سبق لي أن قدّمت مثالاً عليه من قبل أيضا.

الملك سليمان والمقصود من كلمة ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾

وهذا المعنى الثاني لكلمة (جنّ) تضمّنته الآيتان 12/ 13 من سورة سبأ واللتين قال اللّه تعالى فيهما: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾.

فاعلم يا عزيزي القارئ أنّ مفسّري أمتنا الإسلامية القدماء رحمهم اللّه لم يُدركوا معاني هاتين الآيتين الكريمتين على حقيقتهما

وقد فهموهما بما تبادر منهما لأذهانهم ولم يتدبّروهما بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

وأهمّ سؤال يخطر ببال الباحث بعد تلاوته هاتين الآيتين الكريمتين هو: مَن كان هؤلاء الجنّ المذكورين في هاتين الآيتين الكريمتين؟

أقول في الإجابة على هذا السؤال الهام إن أمامك وسيلة واحدة لمعرفة هؤلاء الأجانب والغرباء عن موطن النبي سليمان عليه السلام والذي أطلق الله عز وجلّ عليهم هذه الصفة ـ الجنّ ـ. وهذه الوسيلة هي أن تعود إلى ما تواتر وأخبر به كاتب سفر أخبار الملوك الأول في الإصحاح الخامس منه وهو أحد أسفار ما يسمونه ـ العهد القديم ـ لدى اليهود والمسيحيين. فموضوع هاتين الآيتين الكريمتين المذكورتين يعود إلى بناء مكان العبادة الذي بناه سليمان عليه السلام والمشهور باسم هيكل سليمان. وإنّ كاتب السفر الذي ذكرته لك قد تكلّم بإسهاب عن بناء هيكل سليمان وعمّن بناه وعن مواطن الذين بنوه وعن الأمور البارزة في البناء المذكور. فإن تطابق ما رواه الكاتب المشار إليه مع ما أوردته هاتان الآيتان من حقائق ومعالم تعود لمكان العبادة الذي بناه سليمان عليه السلام تكون يا عزيزي القارئ قد تعرّفت إلى ـ الجنّ ـ المقصودين في هاتين الآيتين الكريمتين. وهذا الأسلوب في فهم هاتين الآيتين استندت فيه إلى أصل تفسيريٍّ وهو أنّ مضامين جميع الآيات العائدة لأمور تاريخيّة ينبغي تفسيرها وفهمها على ضوء المعطيات التاريخيّة وليسَ على ماً يتبادر منها لأذهان القارئين. فهذا هو ما يقتضيه تفسير الآيات ذات المضامين التاريخية. فلا يجوز تفسيرها بما يخالف المعطيات التاريخية.

والحقيقة هي أنّ الكلام في هاتين الآيتين الكريمتين من سورة سبأ يدور مضمونه حول بناء بيت العبادة الذي بناه سليمان عليه السلام وهو أمرٌ تاريخي نصّت عليه مراجع تاريخ بنائه الإسرائيلية . . إنما ورد مضمون هاتين الآيتين الكريمتين مصاغاً صياغةً بلاغيةً معجزةً يتبادر منها لذهن القارئ أموراً خلاف ما تضمّنته ولا يفهمها الباحث المتدبّر إلا إذا تدبّرها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره .

ولا بدّ أنّك تعلم يا عزيزي القارئ بأنّ اليهود اشتهروا بالمغالاة فيما يروونه وفيما ينسبونه إلى رجالات تاريخهم فالأحرى بهم والحال هذه أن يوضحوا لنا موضوع هؤلاء (الجنّ) الذي ساعدوا في بناء بيت العبادة الذي بناه سليمان عليه السلام . لذلك كان من واجبنا مراجعة ما كتبوه في شأن بناء بيت العبادة المذكور ونتساءل من هذا المنطلق :

من هم هؤلاء (الجنّ) الذين بنوا بيت عبادة النبيّ سليمان وفق معطيات هؤلاء اليهود؟ وللإجابة عن هذين السؤالين نعود إلى ما كتبه الكاتب اليهوديّ في السفر الذي ذكرناه . فهو كتب يقول : (وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت ملكه . وأحصى سليمان سبعين ألف رجل يحملون الأثقال وثمانين ألف رجل يقلعون الحجارة في الجبل وثلاثة آلاف وستمائة رجل يُشرفون عليهم .)

أي أن سليمان شكّل ورشة عمل لبناء بيت الله الذي شاء إنشائه ، وإن كانت هذه الأرقام الواردة في هذا النص مُبالغاً فيها وعلى عادة كُتّاب اليهود .

ولنتابع ما كتبه هـذا الكتاب بشأن الخطوة الثانيـة التـي عمـد إليـها سليمان بعد تشكيله ورشة العمل المذكورة. أضاف الكاتب وقال:

(وأرسل سليمان إلى حوارم ملك صور قائلاً: كما فَعَلتَ مع داود أبي وأرسلتَ له أرزاً ليبني له بيتاً ليسكن فيه، تفعل معي، فإني أبني بيتاً لاسم الرب إلهي لأقدسهُ له وأحرق أمامـه بخـوراً عطـراً ولتنضيـد الخبزِ على الدوام وللمحرقات صباح مساء في السّبوت وفـي رؤوس الشـهور وفي أعياد الرب إلهنا مما على إسرائيل للأبد. والبيت الذي أنا أبنيه بيتٌ عظيمٌ لأن إلهنا عظيمٌ فوق جميع الآلهة فمن الـذي يستطيع أن يبنـي لـه بيتاً والسماوات وسماوات السماوات لا تسعه؟ومَن أنا لأبني لـه بيتاً إلا لأحرقَ أمامه البخّور؟).

وهكذا ومن خلال هذا النـصّ الـذي نقلته لـك يـا عزيـزي القـارئ تكون قد تأكّدت من صحّة الأمور التالية التي سأذكرها لك:

أولاً. أنّ ما بنـاه سليمان عليـه السـلام كـان بيتاً لعبـادة اللّـه تعـالى وليس شيئاً آخر على الإطلاق.

ثانياً. وأنّ مملكة اليهود التـي يتفـاخرون بـها كـانت مملكـة متخلّفـةً غير متحضّرة بدليل النصّ المذكور. حيث كان المجتمـع اليـهودي مجتمعـا عشائريا وأميّون وغير متحضرين في تلك الفترة من الزمان.

ثالثاً. ويتبيّن من النصّ المذكور أنّ سكان الساحل السـوريّ المطـلّ على البحر الأبيض المتوسّط الذي كان يقطنه العرب الآراميّن فقـد كـان الآراميون ذوي حضارة عريقـة فـي تلـك الفـترة الزمنيّـة وكمـا يبـدو مـن

النصّ المذكور أيضا وكانت مدينة (صور) تعجّ بمختلف الصناعات اليدويّة وبالفنّيين المختصّين والمهندسين.

ولنتابع ما كتبه الكاتب اليهوديّ في السفر المشار إليه. قال على لسان الملك سليمان وهو يخاطب ملك صور:

(فالآن أرسل إليّ رجلاً ماهراً في عمل الذهب والفضّة والنحاس والحديد والأرجوان والقرمز والبرفير البنفسجيّ، عالماً في النقش مع الصُنّاع الذين عندي في يهوذا وفي أوشليم والذين أعدّهم داود أبي. وأرسل إليّ أخشاب أرز وسرو وصندل من لبنان لأني أعلم أنّ خدّامك عالمون في قطع الخشب من لبنان. وهؤلاء خدّامي مع خدّامك. فليعدّوا لي أخشاباً بكثرة لأنّ البيت الذي أبنيه عظيمٌ عجيب).

وتُدرك يا عزيزي القارئ من خلال هذا النصّ ما هي الطلبات التي طلبها الملك سليمان من ملك صور الآرامي في لبنان. والتي كان سليمان محتاجاً إليها لبناء بيت عبادته.

وأنتقل بك يا عزيزي القارئ خطوة أخرى الآن كي أطلعك على تفاصيل هذه الصفقة التي عقدها سليمان مع ملك صور. والتي تشابه ما يُعقد من صفقات تجاريّة بين الدول في عصرنا الحاضر. فقد أضاف الكاتب يقول على لسان الملك سليمان:

(وأنا أعطي الحطّابين الذين يقطعون الخشب عشرين ألف كُرّ من الحنطة طعاماً لخدّامك وعشرين ألف كُرّ من الشعير وعشرين ألف بثٍّ من الخمر وعشرين ألف بثٍّ من الزيت.).

وهنا تتساءل: وبماذا أجاب ملك صور على مطالبة الملك سليمان؟ فنلاحظ أنّ الكاتب استطرد يقول:

(فأجاب حورام ملك صور برسالة إلى سليمان يقول: إنّ الربّ من حُبّه لشعبه أقامك عليه ملكاً. تبارك الربّ إله إسرائيل صانع السماوات والأرض الذي أعطى داود الملك ابناً حكيماً صاحب فهمٍ وبصيرة ليبني بيتاً لملكه. والآن فقد أرسلت رجلاً ماهراً صاحب فهم اسمه - حورام أبي - وهو ابن امرأة من بنات دان وأبوه رجلٌ من صور عالمٌ في عمل الذهب والفضّة والنحاس والحديد والحجر والخشب والأرجوان والبرفير البنفسجيّ والكتّان الناعم والقرمز وصناعة كلّ نقشٍ ومخترعٌ كلّ مشروعٍ يُعرضُ عليه، مع صُنّاعك وصناع سيدي داود أبيك. ةالآن فليرسل سيدي إلى خدّامه الحنطةَ والشعير والزيت والخمر مما تكلّم به. ونحن نقطع الخشب من لبنان بحسب كلّ حاجتك ونرسله إليك على أطوافٍ في بحر يافا. وأنت تُصعده إلى أورشليم.).

ونستنتج من هذا الذي أرسله ملك صور تلبيةً لطلب الملك سليمان الأمور التالية:

أولاً - نستدلّ من الكلمات الدبلوماسيّة المنمّقة التي اشتمل عليها جواب ملك صور أنّ لبنان ومتمثّلةً في شخص ملكها أنّها كانت مملكةً متحضّرةً وأنّ مملكة سليمان لم تكن على ذاك المستوى من التحضّر المشار إليه.

ثانياً - وأنّ ملك صور رضي بعروض الصفقة التجاريّة المعروضة

عليه وطالب الملك سليمان بتنفيذ ما نصّت عليه تلك الصفقة التجاريّة.

ثالثاً ـ وأنّ ملك صور بعث بالمهندس الذي وعد بإرساله لمقابلة الملك سليمان والتخطيط لبناء البيت.

رابعاً ـ وأنّ ملك صور تعهّد بإرسال الأخشاب المطلوبة على طوّافات إلى ميناء مدينة يافا. على أن يقوم عمّال مملكة سليمان بنقلها من مدينة يافا إل مدينة القدس.

والآن وبعد أن وصلت بالقارئ العزيز إلى هذا الحدّ من البيان كان من واجبي أن أطلعه على تلك الإنجازات التي قام بها المهندس اللّبنانيّ والتي تتفق مُعطياتها مع مُعطيات الآيتين الكريمتين من سورة سبأ المذكورتين أعلاه. لذلك نتابع ما أورده الكاتب التوراتيّ وقال:

(فبدأ في البناء في الشهر الثاني في السنة الرابعة لتولّي سليمان عرش مملكته. وكانت الأسس التي وضعها سليمان لبناء بيت اللّه ستّين ذراعاً طولاً وعشرين ذراعاً عرضاً والرواق من أمام عشرين ذراعاً طولاً على محاذاة عرض البيت. ومائة وعشرين علواً. ولبّسه من الداخل بذهب خالص. والبيت العظيم لبّسه خشب سرو ثمّ لبّسه ذهباً حسناً وجعل عليه نخيلاً وسلاسل ورصّع البيت بحجارة كريمة للزّينة. وكان الذهب من ذهب فروائيم. ولبّس البيت ذهباً عوارضه وأعتابه وجدرانه ومصاريعه. ونقش كروبين على الجدران. وصنع بيت قُدس الأقداس على محاذاة عرض البيت فكان عشرين ذراعاً طولاً وعشرين ذراعاً عرضاً.).

ولا أطيل عليك يا عزيزي القارئ الحديث بل أنقل لك ما أقدم

المهندس اللّبناني المذكور على صنعه داخل بيت العبادة المشار إليه. وبمقتطفات ممّا ورد في الإصحاح السابع من السفر التوراتي المذكور. فقد أضاف الكاتب يذكر ما صنعه المهندس اللبناني وقال:

(أشباه ثيران... عشرة أحواض خمساً منها عن اليمين وخمسةً عن اليسار... القدور والمجارف والكؤوس... القواعد والأحواض التي على القواعد والبحر الوحيد والثيران الاثني عشر التي تحته والقدور والمجارف والمناشل. وصنعها المهندس من نحاس مصقول سبكها الملك في بقعة الأردنّ في أرض خزفيّة بين سكّوتوصريده..).

فإن أنت أمعنت نظرك يا عزيزي القارئ فيما نقلته لك من إنجازات المهندس اللبنانيّ التي قام بإنجازها في بيت العبادة الذي شيّده الملك سليمان وقارنت ذلك كلّه مع ما ورد في الآيتين الكريمتين من سورة سبأ اللتين ورد فيهما قول اللّه تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾.

أقول: إن أنت قارنت ما بين النصّين المذكورين تدرك بأنه لا يوجد أيّ خلاف بينهما من حيث الجوهر لكنّك تميل في الوقت نفسه للأخذ بما تضمّنه قوله تعالى من حقائق لكون ذلك أقرب إلى المعقول والمنطق. فأنت تشعر من خلال ما نقلته لك أنّك تتطلع على ذكر أشياء يتطلّبها معبدٌ دينيّ يقينا في ذاك الحين. فالمعابد كانت قديماً بحاجة إلى أحواض مائيّة وقدور راسيات مملوءة بالمياه وإلى تماثيل تزيّن المعبد من داخله. ولا تنس يا عزيزي القارئ بأني أثبتّ لك في الوقت نفسه أنّ

الذين بنوا معبد الملك سليمان كانوا عرباً ومن مملكة الآراميين في لبنان. لذلك تلاحظ كيف أنّ اللّه عز وجلّ قد استعار كلمة (جنّ) تعبيرا عن العرب الآراميين الذين بنوا بيت العبادة للملك سليمان. بمعنى أنّه تعالى وصف الفينيقيين بكلمة (جنّ) لكونهم غرباء عن مملكة سليمان عليه السلام. وقد اشتقّ تعالى هذه الكلمة من فعل (جُنَّ) أي اختفى عن الأنظار. وأثبتّ لك في الوقت نفسه أنّ شعب مملكة سليمان كان ما يزال بدائيّاً وغير متحضّر وفي وقت كانت فيه مملكة لبنان متحضّرة وتزهو بصناعاتها المزدهرة وبالفنّيين المختصين أيضا.

وهكذا أكون قد لفتّ نظرك يا عزيزي القارئ إلى الفارق الكبير الذي كان يميّز كلّ شعب من شعوب ذينك المملكتين المتجاورتين مملكة الفينيقيين ومملكة سليمان التي تأسست بعد غزو بنوا إسرائيل الأراضي الفلسطينيّة قبل ذاك التاريخ بعدّة عقود من الزمان وبذلك فلم تعد تستغرب ذلك إن أنت عرفت بأنّ بني إسرائيل كانوا قبل ذلك عبيداً في مصر وتابعين لحكم الفراعنة فكانت نفسيّتهم نفسيّة عبيد من هذه الجهة. فلمّا غزوا الأراضي الفلسطينيّة واستولوا على مساحات واسعة منها فقد ظلّوا في مناوشات وقتال مع أهل فلسطين الأصليّين لكونهم مستعمرين. ولم يختلط بنوا إسرائيل مع من جاورهم من الأقوام لكونهم كانوا عنصريّين في تفكيرهم وفي نظرتهم إلى مَن جاورهم من الأقوام.

وإنّ ما يهمّني من جميع ما نقلته لك يا عزيزي القارئ هو أنني

أثبتّ لك من خلال هذا الذي قدّمته لك بأنّ لكلمة (جنّ) في القرآن الكريم معنى آخر غير معنى الزعماء وأتباعهم وهو معنى الأجانب والغرباء عن الأرض. وقد وَصف اللّه عز وجلّ بهذا المعنى الفينيقيين الغرباء عن مملكة سليمان عليه السلام فأشار بهذا الوصف إلى شعب لبنان العربيّ الآراميّ في ذاك الحين وفي هذه الآيات الكريمة من سورة سبأ. وعليه فإنّ بُناة بيت عبادة سليمان لم يكونوا مخلوقاً آخر غير الإنسان. بل كانوا بشراً ومن لبنان خاصّة.

وألخّص لك يا عزيزي القارئ ما بينته لك في هذه الحلقة الخامسة فأقول: لقد وضّحت لك يا عزيزي القارئ في هذه الحلقة الخامسة معنى وصفيّاً ثانياً لكلمة (جنّ) وصف اللّه عز وجلّ بها الأجانب الغرباء عن مملكة سليمان عليه السلام وذلك في الآيتين من سورة سبأ الواردتين في هذه الحلقة الخامسة. الغرباء الذين قاموا بتشييد مكان العبادة الذي بناه الملك سليمان عليه السلام. قمت بذلك من خلال الرّجوع إلى النصوص التوراتية المعاصرة المتعلّقة ببناء بيت العبادة المشار إليه. والمقارنة بين مُعطياتها ومعطيات الآيتين المذكورتين من سورة سبأ المذكورتين في هذه الحلقة الخامسة.

الحلقة السادسة

وأنتقل بك يا عزيزي القارئ في هذه الحلقة السادسة لأدلّك على معنى ثالث لكلمة (جنّ) أوردته آيات القرآن الكريم. فالمعلوم من معاجم اللّغة العربية أنّ الحيّة البيضاء كحلاء العين التي تظهر في الدّور القديمة والتي لا تؤذي على وجه العموم قد سمّاها العرب (جان) وسببُ تسميتهم إيّاها بهذا الاسم هو أنها تظل مختفية عن أعين أصحاب الدور في أحد ثقوب جدرانها ولا تظهر لأعينهم إلا في بعض المناسبات التي تجذب هذه الحية إلى خارج مخابئها. وقد نقلت لنا معاجم اللغة هذه التسمية التي ذكرناها ومن باب أن(الجان) اسم فاعل واسم جمع لهذه الكلمة (جان).

كلمة (جنّ) بمعنى الحيّة

وقد أورد القرآن الكريم كلمة (جان) هذه كاسم جنس وبالمعنى السالف الذكر وذلك في الآيتين 9/ 10 من سورة النمل حيث قال الله عز وجل مخاطبا نبيه موسى عليه السلام في سنوات بعثته الأولى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله عز وجل أورد في هذه الآية

الكريمة كلمة (جان) اسماً للحيّة البيضاء كحلاء العين وقد أتى تعالى بكاف التشبيه في هذه الآية الكريمة لتشبيه العصا وهي تهتز كأنها حيّة بيضاء تراءت لعيني موسى فولى من خوفه منها ـ مدبرا ـ أي مديرا ظهره للعصا وهاربا؟

كلمة (جنّ) بمعنى ـ رجل الكهف.

واستناداً إلى هذا التشبيه المذكور فقد عاد يصحّ استعارة كلمة ـ جنّ ـ لإطلاقها على كل جسم يظل في أغلب الأحيان مختفيا عن الأنظار. وبهذا المعنى نفسه فقد وصف الله عز وجل وعلى سبيل استعارة هذه الكلمة ـ جنّ ـ أقول قد وصف اللّه تعالى إنسان ما قبل التاريخ بهذه الصفة المذكورة وبشكلٍ عامّ.

ولربّما أفاجئك يا عزيزي القارئ بهذا المعنى الجديد وبهذا الطرح الذي طرحته والمتعلّق بإنسان ما قبل آدم عليه السلام. فهو طرح ما سبق لك أن طالعته في أيّ كتاب من كتب التراث والتفاسير. الأمر الذي يضطرّني لأقوم بتفصيل هذا المجمل لأدخلَ إلى قلبك كلّ الاطمئنان ولكي لا أدعك مشوّشاً.

فاعلم يا عزيزي القارئ بأنّ المفسّرين القدماء رحمهم اللّه أوهموا الناس من خلال تفاسيرهم بأنّ القرآن الكريم يدّعي بأنّ آدم هو أوّل مخلوق من البشر. ومتأثّرين في فهمهم المذكور بمعطيات سفر التكوين التوراتيّ. حال أنّ كتاب اللّه العزيز لم يأت بهذه المعاني التي طرحوها والتي تتنافى ومُعطيات العلم الحديث.

فلقد أعلن القرآن الكريم في سورة آل عمران بأنّ آدم عليه السلام كان أوّل نبيٍّ بعثه اللّه العزيز لهداية وتهذيب قومه الذين كانوا يقطنون الكهوف وذلك لأنّه كان قد مضى على وجود البشر على سطح هذا الكوكب الأرضيّ عدّة ملايين من السنوات من قبل بعثة آدم الذي كان أوّل نبيّ بعثه اللّه عز وجلّ لتهذيب أولئك البشر.

فإن أنت عُدت إلى الآية 33 من سورة آل عمران تلاحظ بأنّ اللّه تعالى قال فيها بصراحة تامّة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والمعنى أنّ آدم كان على شاكلة من ذكرهم اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة من أنبياء اللّه الكرام كان بشراً واصطفاه ربّه من بين البشر الذين وجدوا في وزمنه نبياً ورسولا وإلى قومه. وعليه فإنّ آدم كان نبيّاً ولم يكن أوّل مخلوق بشر.

ونأت إلى ما ذكرته من أنّ اللّه تعالى وصف إنسان ما قبل التاريخ بصفة (جنّ) لاستتاره في تلك الأحايين في أعماق الكهوف. فهذه حقيقةٌ كشف عنها علم المستحاثات الحديث الذي نشأ منذ منتصف القرن التاسع عشر. وهو علمٌ اعتمد على القيام بحفريات في أمكنة عديدة من العالم وقد عثر العلماء بنتيجة ذلك على عظام وجماجم لإنسان يرجع تاريخه إلى عدّة ملايين من الأعوام. وقد ألّفت كتاباً باسم (نشوء الإنسان وتطوره) توسّعت فيه وشرحت حقيقة علم المستحاثات المشار إليه وبيّنت الحقائق التي أثبتها هذا العلم المذكور وكشفت الغطاء عن الآيات القرآنية التي تتّفق معطياتها مع ما كشف عنه هذا العلم

الحديث . وبإمكان القارئ مراجعته إن شاء للتوسّع في هذا الموضوع .

والذي ثبت لعلماء المستحاثات من خلال تلك الحفريات التي قاموا بها هو أنّ الإنسان وُجد على سطح كرتنا الأرضيّة قبل آدم بملايين السنوات فأمضى ما اصطلحوا عليه مصطلح (عصور الإنسان الحجريّة) حيث كان البشر في تلك العصور الحجريّة لا يعرف بناء المساكن ولا التّهذيب ولا الحضارة ولذلك كان يقطن في أعماق الكهوف وأكسبه ذلك صفة (جنّ) لبقائه طويلاً مستتراً عن الأعين في الكهوف وقد أطلق عليه علماء أوروبا مصطلح (رجل الكهف) **CAVE MAN** كما استعمل القرآن الكريم له اسم (الجنّ) مستعيرا هذه الكلمة لوصف حاله التي كان عليها زمن بعثة آدم عليه السلام وليس كاسم جنس له .

وأختصر لك هنا فأقول : إن علماء عصرنا قسموا تاريخ الإنسان إلى قسمين : قسم ما قبل التاريخ المعروف ، والقسم الثاني يتعلق بتاريخ الإنسان الذي يدرّسونه في المدارس والجامعات . فالقسم الأول أطلقوا عليه تاريخ العصور الحجرية وهو القسم الذي استعار القرآن الكريم له كلمة (جنّ) بسبب أن البشر كانوا زمن عصورهم الحجرية يقطنون الكهوف في مختلف أرجاء المعمورة ولقد اصطلح علماء عصرنا لبشر ما قبل التاريخ مصطلح (رجل الكهف) وهذه ترجمته عن اللّغة الإنكليزية وإنّ هذا المصطلح تقابله هذه الكلمة المستعارة لتسميته وهي كلمة (جنّ) الواردة في سورة الحجر والمشتقة من فعل (جُنّ) بمعنى اختفى عن الأنظار واستتر . هذا ولقد أثبت علم المستحاثات أنّ البشر

القديم كانوا يختبئون ويستترون في الكهوف خشية أن تهاجمهم وحوش البرية وهم في العراء.

وبعد أن أصغيت يا قارئي العزيز إلى هذه الخلاصة ستسألني: من أين استقيت معلوماتك هذه وفي وقت لا نجد في هذه التفاسير التي بين أيدينا شيئا من هذه المعلومات التي طرحتها وطلعت بها علينا آنفا؟ فأجيبك على سؤالك وأقول: لو كان العلاّمة الفخر الرازي رحمه اللّه وهو مؤلف التفسير الكبير المؤلف من ـ 32 ـ مجلّداً. أقول لو وُجد في زماننا هذا واطّلع على ما اطلعنا عليه من علوم حديثة وحقائق لكان اتفق معي رحمه الله فيما فهمته من تلك الآيات الأوائل من سورة الحجر والتي حملت في مضامين آياتها هذه الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث. فالعلامة الفخر الرازي رحمه الله الذي وُلد في عصر لم يكن لهذه العلوم فيه من وجود. فما كان أمامه إلا أن يستقي تفسيره للآيات من سورة الحجر هذه إلا على ضوء معطيات ما أشاعه أهل الكتاب من قصص خلق الله تعالى لهذا الإنسان. وعليه فلا ينبغي لك أن تستغرب يا عزيزي القارئ هذا الفهم الذي أطرحه حول مضامين هذه الآيات المذكورة ومستندا فيه إلى هذه المعطيات العلمية المعاصرة. فهي لا تقلل من شأن مفسري أمتنا الإسلامية رحمهم الله بل تؤكد حقيقة أن الله عز وجل قد أنزل هذا القرآن العظيم ليفيد به البشر في كل زمان ومكان وهذا إعجاز ما بعده من إعجاز. فإن نحن تمسّكنا بالموروث من التفاسير فكأننا نكون قد حجّمنا علوم وأحكام هذا الكتاب السماوي المعجز وخصصناه بفترة ظهور الإسلام وحسب. فإن

كنت ياعزيزي القارئ مسلما فهل ترضى بهذا التحجيم أم أنك مع الانفتاح والتقدّم؟

والآن وبعد هذا التقديم أدلك يا عزيزي القارئ على الآيات من سورة الحجر والتي أورد الله عز وجل فيها كلمة - ٱلْجِنّ - على سبيل الاستعارة وليصف بها إنسان ما قبل التاريخ وفي عصوره الحجرية خاصّةً التي سبقت بعثه أول نبي وهو آدم عليه السلام. فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف استهل الله عز وجل سورة الحجر بقوله تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾.

فأحرف المقطعات - الٓر - هي في حقيقتها وكما أثبتّ ذلك في مؤلّفي (فنّ الاختزال في القرآن الكريم) أحرف اختزال ومختزلة من كلمات (أنا الله أرى) أي لا يغيب عن ناظري شيء. ولاحظ أيضا وجود إشارة - وقف - على آخر هذه الأحرف المقطّعة - الٓر - . وحكمة الوقوف هذه أنك مطالب يا عزيزي القارئ بتدبّر ما ورد قبل إشارة الوقف هذه أي أن تتدبّر مدى سعة رؤية الذات الإلهية في هذا المقام. بسبب أنّ اللّه تعالى سيطلعك على أمور تاريخية غيبية، ستحيط بها علماً في الوقت المناسب وتتعلّق بمدى سعة رؤيته تعالى للأشياء. وقد لفت اللّه تعالى نظر الذين كفروا بهذا الكتاب المقدس إلى هذه الأمور التاريخيّة قبل اليوم بأربعة عشر قرن من الزمان حتّى إذا ظهر

علم المستحاثات الذي تكلّمت عنه آنفاً وتبيّن لهؤلاء الكفّار بأنّ القرآن الكريم قد كشف عن وجه هذه الحقائق التي توصّل إليها علماؤه يتحسّرون في صدر الإسلام فإذا علموا بذلك يتمنّون لو كانوا مسلمين. ولذلك قال اللّه تعالى في الآية التاسعة من هذه السورة:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.

وقد راح الله جل شأنه يخبرنا بعد ذلك عن إبداعاته التي أبدعها في هذا الكون المادي. إلى أن قال ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ فمن خلال قوله تعالى في هذه الكلمات الأخيرة ﴿ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ فقد قسم جلّ شأنه تاريخنا نحن البشر إلى قسمين: اصطلح للقسم الأول كلمة ـ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ـ أي المتقدّمين زمانيا ومعبّراً بذلك عن البشر خلال عصورهم الحجرية. واصطلح للقسم الثاني من تاريخنا كلمة ـ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ـ أي المتأخّرين زمانيا ومعبّراً بذلك عن البشر المعروف تاريخهم باسم بشر ما بعد التاريخ أو ما بعد انتهاء العصور الحجرية. وإن هذا التقسيم التاريخي لتاريخ هذا الإنسان والذي اصطلحته هذه الآيات القرآنيّة هو نفس التقسيم العلمي التاريخيّ الذي تعارف عليه علماء عصرنا ويُدرّسونه في المعاهد العلمية في كلّ مكان أيضا.

ولاحظ كيف أنّه ما إن فرغ الله عز وجل من توجيه أنظارنا إلى

حقيقة هذا الإبداع الإلهي وإلى هذا التقسيم المتعلّق بتاريخ وجود هذا الإنسان والذي قسّمه تعالى إلى دورين رئيسيين إلاّ وتوجه الله عز وجل ليوجه أذهاننا إلى الفارق الرئيسي ما بين إنسان ما قبل التاريخ وما بين إنسان ما بعد التاريخ فقال اللّه جل شأنه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾. فالمفسرون القدماء رحمهم الله تعالى الذين تأثروا في عصرهم بالآراء التوراتية والذين لم يدركوا حقيقة ما وضحته لك يا عزيزي القارئ حتى الآن فقد ذهب ذهنهم إلى أنّ اللّه تعالى قد تكلّم في هاتين الآيتين الأخيرتين عن مخلوقين هما : ﴿ ٱلْإِنسَـٰنَ وَٱلْجَآنَّ ﴾ حال أن الله عز وجل قد تكلّم في هاتين الآيتين الأخيرتين عن مخلوق واحد هو الإنسان وليس عن مخلوقين. فأورد اللّه تعالى كلمة ـ ٱلْجَآنَّ ـ هذه ليصف بها بشر ما قبل التاريخ أي ليصف بها المتقدّمين من البشر زمانيّا والذين أمضوا عصورهم الحجريّة. أما كلمة ـ ٱلْإِنسَـٰنَ ـ فعبّر بها عن البشر الذين وُجدواما بعد انتهاء العصور الحجرية ومنذ زمن بعثة آدم عليه السلام والذين كانوا طلائع تاريخ الإنسان الحاليّ. والذين نُعدّ نحن في عدادهم. وعليه فإنّ كلمة ـ ٱلْجَآنَّ ـ في مصطلح القرآن الكريم والوارد ذكرهم في الآيات من سورة الحجر هم ـ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ـ أي بشر زمن العصور الحجرية ، أما كلمة ﴿ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴾ في مصطلح القرآن الكريم والوارد ذكرها في سورة الحجر فهم ـ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ـ أي البشر الذين جاؤوا بعد انتهاء عصور البشر الحجريّة. وبهذا الفهم نكون قد فسرنا هذه الآيات الكريمة على ضوء الحقائق العلمية التي كشف عنها العلم الحديث والتزاماً بقول ربّنا عزّ وجلّ ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾.

ونكون بذلك قد ضربنا صفحاً عن التفسير المتأثر بالأفكار اليهودية التوراتية التي بثها سفر التكوين من العهد القديم في أذهان مفسّري أمّتنا القدماء.

وهنا تستفسر مني يا عزيزي القارئ عن حكمة إيراد اللّه تعالى لهذين المصطلحين (ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ و ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ) تعبيراً من جانبه تعالى عن دوري ما قبل التاريخ وما بعده ؟وهو سؤال يدخل في صلب هذا الموضوع الذي أكتب عنه في هذه الحلقات بعنوان ـ الجن حقيقة أم خيال؟ ـ ولذلك فإن هذا يدفعني للإجابة على سؤالك هذا بجواب مفصّل نوعاً ما فأقول:

لقد ثبت لدى علماء التاريخ وعلماء المستحاثات في زماننا المعاصر بأن إنسان العصور الحجرية ما قبل التاريخ لم يكن صاحب تهذيب ولا صاحب حضارات ، بل كان يعيش في الكهوف عيشة هي أقرب منها لحياة التوحّش منها إلى حياة المدنيّة والحضارة.

فهذه حقيقة كشف عنها العلم الحديث وهو علم المستحاثّات، الأمر الذي دفع اللّه جل شأنه ليشير إليها من خلال استبداله كلمة ـ إنسان ـ بكلمة ـ (بشر) ـ وذلك حين انتقل تعالى ليخبرنا عن كيفية قيامه بتهذيب وتحضير إنسان العصور الحجرية وأنسنته ولإبعاده عن حياة التوحش التي كان يحياها أيام سكناه في الكهوف. ذلك أن كلمة ـ إنسان ـ تعبر عن هذا المخلوق البشر الذي تطورت جميع زوايا حياته اليومية ، وأصبح مهذبا ومتمدنا يأنس إلى وجود خالقه كما يأنس إلى

التعامل مع بني جنسه . أي أنّ كلمة إنسان أمست مؤلفة من معنيين : الأوّل أُنسي ويعبّر عن أُنس هذا البشر مع الله جلّ شأنه بعد تهذيبه بتعاليم آدم عليه السلام . والمعنى الثاني يعبّر عن أنس هذا البشر الذي هذّبه آدم مع عباده .

فهذه هي حقيقة تسمية هذا البشر باسم إنسان . وأما كلمة ـ بشر ـ فقد وضحها مؤلف معجم مقاييس اللغة وكتب يقول بأن كلمة ـ بشر ـ تدل على ظهور شيء مع حُسن وجمال من حيث شكله وتدل في الوقت نفسه على أن هذا الشيء لا يدخل في جنس الحيوانات المتوحشة لمخالفته طريقة توحشها لكنّه في حقيقته هو أقرب إلى التوحش منه إلى الأنسنة ولذلك فإن كلمة ـ بشر ـ تستعمل مقابل كلمة ـ إنسان ـ أي أن هذا المخلوق الإنسان كان بشرا في عصوره الحجرية القديمة بمعنى أنه كان إنسانا هو أقرب إلى حياة التوحش منه إلى حياة المدنيّة والتحضّر .

وبعد أن شرحت لك يا عزيزي القارئ كلمتي ـ إنسان وبشر ـ أحاول إطلاعك الآن على مضامين هذه الصياغة البلاغية المعجزة التي صيغت بها الآيات التالية من سورة الحجر هذه والتي تضم تلك الحقائق التاريخية المتعلقة بتاريخ هذا الإنسان .

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أن الله عز وجل ما إن فرغ من تقسيم تاريخ هذا الإنسان بنفس التقسيم العلمي المعاصر إلا وراح يقول : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ فالإنسان الذي يقرأ هاتين الآيتين وحدهما يتبادر لذهنه أن الله عز وجل تكلم فيهما عن مخلوقين

وليس عن مخلوق واحد هو الإنسان. أما إذا ربطنا بشكلٍ موضوعيٍّ ما بين هاتين الآيتين الكريمتين وما بين التقسيم التاريخي المشار إليه من قبل والذي وضّحته الآيات التي قبلها والتي قسّمت تاريخ الإنسان إلى - المستقدمين - الذين يمثلون البشر في عصوره الحجريّة. وإلى - ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ - الذين يمثّلون تاريخ هذا الإنسان منذ بعثة آدم وحتى يومنا هذافإن عملية الرّبط الموضوعي هذه والنابعة من وجود تسلسل موضوعي بين آيات جميع السور القرآنية ، تدفعنا لندرك لا محالة بأن الله تعالى راح يطلعنا في هاتين الآيتين سالفتي الذكر على حقائق التكوين النفسي لإنسان ما قبل التاريخ وحقائق التكوين النفسي للإنسان الحالي والذي يمتد تاريخه إلى قرابة عشرة آلاف عام على وجه التقريب واستكمل المؤرخون التّعرّف على تواريخ ستة آلاف عام من المدّة المذكورة وهم يستمرون في تقصي آثار الأربعة آلاف عام الأخرى. ومن منطلق أن شكل إنسان ما قبل التاريخ وما بعده ظلّ على حاله ولم يطرأ عليه أي اختلاف جذري. وإن كلّ ما حدث من اختلاف بينهما يعود إلى الأحوال النفسية التي فرّقت ما بين البشر المستقدمين وما بين البشر المستأخرين.

وأزيدك علما فأقول وأنا أشرح مضمون قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ أقول لاحظ يا عزيزي القارئ كيف استهل الله تعالى هذه الآية الكريمة بحرف العطف ﴿ لَقَدْ ﴾ الدال على ابتداء كلام جديد معطوف مضمونه على ما سبقه من بيان.

وبعد هذا الاستهلال أورد اللّه جل شأنه فعل ـ خَلَقْنَا ـ ليس دلالة على ابتداء خلق اللّه تعالى لهذا الإنسان بل أورد الله تعالى فعل ـ خَلَقْنَا ـ هنا بمعنى أبدعنا ، وإن قرينة ذلك هو قوله تعالى بعد ذلك ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ فلو كان الله جل شأنه كان يتكلّم عن خلق جسم الإنسان لكان قد استعمل كلمة ـ تراب ـ تلك الكلمة التي كان قد أوردها في الآيات والسور التالية : ـ 59 آل عمران/ 37 الكهف/ 5 الحج / 20 الروم/ 11فاطر / 67 غافر، تلك الآيات التي سأورد لك نصوصها في الحلقة السابعة .

وهكذا تعود تدرك يا عزيزي القارئ أنّ ما كان تبادر لذهنك من تلاوة الآيتين المذكورتين حين تلوتهما مقطوعتين عن سباقهما وسياقهما الموضوعي لم يكن هو المعنى المقصود منهما . وأنّ اللّه تعالى راح يتكلّم في هاتين الآيتين الكريمتين عن التركيب النفسي لبشر ما قبل التاريخ والتركيب النفسي لإنسان ما بعد التاريخ وليوضّح تعالى للقارئ الفرق الجوهريّ الذي أحدثته بعثة النبي آدم عليه السلام في تركيب الإنسان النفسيّ من تأثير إذ قلبت تعاليم آدم هذا البشر الذي كان يعيش عيشة شريعة الغاب وأقرب منه إلى التوحّش منه إلى التهذيب . قلبته إلى إنسان تهذّبت مشاعره وأخلاقه وبدأ يؤسّس الحضارات المعروف تاريخيّا والتي توالت إلى يومنا هذا .

وقبل أن أنتقل إلى الحلقة الجديدة أرى أن ألخّص لك يا عزيزي القارئ ما بيّنتُه لك في هذه الحلقة السادسة فأقول : لقد بيّنت لك يا

عزيزي القارئ معنى ثالثا لكلمة (جنّ) أورده القرآن الكريم فوصف به إنسان ما قبل التاريخ المعروف. وقد أورد اللّه تعالى هذا المعنى في الآيات من سورة الحجر التي أوردناها والتي قسّم تعالى فيها تاريخ الإنسان إلى قسمين: ما قبل وما بعد تاريخه المعروف ولقد وصف اللّه تعالى البشر القديم بصفة (الجنّ) لكونهم كانوا يسكنون الكهوف ولا يعرفون السكن خارجها ووصفوا بهذه الصفة من باب استتارهم في الكهوف. وهذه حقيقة وضّحها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنٍ من الزمان على حين أنّ علم المستحاثات الذي اكتشف هذه الحقيقة يرجع تاريخه إلى منتصف القرن التاسع عشر فقط. وعلى هذه الصورة تكون حكمة ابتداء هذه السورة بالأحرف المقطّعة ـ الر ـ والتي قلت أنها تعني أنا اللّه أرى تكون قد تجلّت تلك الحكمة من خلال هذا الكشف التاريخي وتقسيم تاريخ البشر إلى مستقدمين وإلى مستأخرين ويكون اللّه عز وجلّ قد أقنعنا بأنّه لا يغيب عن ناظره شيء على مرّ الزمان.

فأعظم يا عزيزي القارئ بهذا المعنى الذي بيّنته لك في هذه الحلقة السادسة لأنّه يُثبت بأنّ هذا القرآن المجيد منزلٌ من جانب اللّه تعالى علاّم الغيوب.

الحلقة السابعة

وكنت أخبرتك يا عزيزي القارئ في الحلقة السادسة بأنّ اللّه سبحانه وتعالى قد أورد فعل ﴿ خَلَقْنَا ﴾ ضمن قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ بمعنى أبدعنا وما قصد تعالى الكلام في هذه الآية الكريمة عن التكوين العضويّ للإنسان بل قصد الكلام عمّا أحدثه من تبديل في التكوين النفسيّ للبشر بعد أن بعث نبيّه آدم عليه السلام. وبدليل أنّ اللّه تعالى عندما يتكلّم عن خلق الإنسان عموماً ينبّه إلى أنّه خلقه من تراب وليس من حمأ مسنون ولا من صلصال كالفخّار وسأورد للقارئ العزيز تلك الآيات التي تؤكّد مصداقيّة ما ذكرت.

آياتٌ دالّة على خلق الإنسان من تراب

الآية الأولى. فلقد قال اللّه تعالى في الآية ـ 59 ـ من سورة آل عمران ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾. فلاحظ كيف أورد اللّه تعالى هنا كلمة ﴿ خَلَقَ ﴾ حين تكلّم عن خلق جسم الإنسان وأن هذا الخلق قد حدث من تراب.

الآية الثانية. كذلك قال اللّه تعالى في الآية ـ 37 ـ من سورة الكهف ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ فأورد اللّه تعالى هنا أيضاً كلمة

﴿ خَلَقَ﴾ تعبيراً عن خلقه لجسم هذا الإنسان ومشيراً من خلال قوله المذكور إلى اعتبار أنّ التراب ابتدأ المرحلة الأولى من مراحل خلق جسد هذا الإنسان. ولم يخلق اللّه جسد هذا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ولا من صلصال كالفخّار.

الآية الثالثة. ولقد قال اللّه تعالى في الآية ـ 5 ـ من سورة الحجّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾.

وبذلك يكون الله تعالى قد أورد كلمة ـ الخلق ـ في هذه الآية الكريمة متعلّقاً بخلق جسم الإنسان ولقد عدّد اللّه تعالى فيها مراحل تكوين الجنين في بطن أمّه والملاحظ أنّه لم يرد ضمن هذه المراحل التي يمرّ بها خلق جسد الإنسان في بطن أمّه قوله تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ لو كانت هذه الألفاظ تمثّل مرحلة خلقٍ جسمانيّة.

الآية الرابعة. ولقد قال اللّه تعالى في الآية 20 من سورة الرّوم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ ويتبيّن من قوله هذا أنّه تعالى أورد فعل ـ الخلق ـ وكلمة التراب دلالة

على أنهما يشيران إلى أول مرحلة من مراحل خلق اللّه تعالى لجسم هذا الإنسان.

وهذا يعني أنّ خلق اللّه لجسم الإنسان لم يكن من صلصال من حمأ مسنون ولا من صلصال كالفخّار. وأنّه لا علاقة لمضمون ذلك بالتكوين الجسدي بل بالتكوين النفسيّ لهذا الإنسان.

الآية الخامسة. ولقد قال اللّه تعالى في الآية ـ 11 ـ من سورة فاطر: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾. فأورد تعالى فعل ـ خَلَقَكُم ـ وكلمة ـ تُرَابٍ ـ دلالة على المرحلة الأولى من مراحل خلق جسد هذا الإنسان. وفي هذا تأكيد على مصداقيّة ما ذكرته حتى الآن.

الآية السادسة. ولقد قال اللّه تعالى في الآية ـ 67 ـ من سورة غافر: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وقد أورد اللّه تعالى فعل ـ خَلَقَكُم ـ في هذه الآية الكريمة دلالةً على أنّ المرحلة الأولى لخلق الإنسان كانت من ـ تُرَابٍ ـ. وهل يعقل بعد هذا التكرار والتأكيد على أنّ المرحلة الأولى لخلق جسد هذا الإنسان كانت من تراب. والتي لم يتخللُها جميعها كلمة ـ صَلْصَالٍ ـ فهل يُعقل أن يكون اللّه تعالى قد قصد هنا ضمن قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن

صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أنّه خلق متعلّقٌ بخلق جسد هـذا الإنسان؟ إلا أن يكون قوله تعالى ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ قد قصد به الكلام عن تكوين الإنسان النّفسيّ وبتعبير بلاغيٍّ استعار فيه جلّ شأنه كلمات ـ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ـ لتأدية ما قصده من بيان؟فهل تناسى اللّه جلّ شأنه جميع تلك الآيات التي أوردتها لك يا عزيزي القارئ وليأتي ويقول في سورة الحجر بما يتعلّق بخلق جسد هذا الإنسان ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾؟ كلاّ ثمّ كلاّ بل لا يُعقل أن يصدر عن اللّه تعالى مثل هذا التناقض في الأقوال. فلو فعل الله جلّ شأنه هذا لكان تناقض مع نفسه مع ما أوردناه من آيات كريمة وحاشا أن يصدر عن اللّه تعالى شيء من ذلك التناقض.

ولا ينبغي أن نذهب بعيداً عن الحقيقة يا عزيزي القارئ فمن المعلوم أنّ العلم الحديث قد أثبت مصداقيّة ما صرّحت به تلك الآيات التي أوردتها لك أعلاه وهو أن جسد الإنسان مخلوقٌ من تراب وليس من صلصال من حمأ مسنون. إذ تبيّن للعلماء أن الإنسان يتغذّى مما تنبته هذه التربة الأرضيةً وأن هذا الغذاء يتحوّل إلى نطفة، ولا محّل في هذه الدورة الطبيعية لمرحلة الخلق من دور عبّر تعالى عنه بكلمات ﴿ صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وإنّ هذا كلّه يدفع الباحث ليرى وليميل إلى الاعتقاد بأنّ المقصود هنا من الخلق ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾ أنّه لا يتعلق بمراحل الخلق الجسدية، بل يتعلق بموضوعٍ آخر حدده تسلسل الآيات الموضوعيّ من سورة الحجر وعلى حسب ما بيّناه سابقاً وهو الكلام عن التكوين النفسي لهذا الإنسان.

لا شكّ أنّ مفسّري أمتنا الإسلامية القدماء رحمهم اللّه تعالى لم يحاكموا مضامين هذا الموضوع كما حاكمناه ولم ينتبهوا إلى ما انتبهنا إليه خصوصاً وأنهم ظنوا أن آدم عليه السلام كان أول من خلق الله تعالى ممّن سماهم اللّهّ تعالى من مخلوقاته إنساناً. على حين أني أثبت في مؤلفي ـ نشوء الإنسان وتطوره ـ أنّ آدم كان أول نبيّ وليس أول إنسان. وأنّ ما ذهب ذهن المفسرين القدماء إليه إنّما حدث بسبب تأثرهم بالأفكار اليهودية التوراتية ولعدم تدبّرهم قول ربهم عز وجلّ الذي أوردته الآية ـ 33 ـ من سورة آل عمران وهو قول اللّه تعالى فيها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وإنها لآيةٌ صريحةٌ يُفهم منها أنّ عمليّة اصطفاء الله تعالى للأنبياء نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران كانت عمليّة اصطفاء واحدة وهو انتقاؤهم من بين الناس الذين عاصروهم.

وبألفاظ أخرى فإنّ البشر كانوا موجودين في أنحاء العالم زمن بعثة آدم عليه السلام وقبله وإنّ اللّه عز وجلّ قد اصطفى آدم من بينهم وعلى شاكلة ما اصطفى غيره من الأنبياء. فلا ينبغي أن يستغرب أحدٌ من القراء إذا أسمعته هذه المعلومة التي تخالف ما ورثه من علمٍ عن آبائه وأجداده ومن خلال كتب التراث التي هي بين يديه. فإن هو استغرب هذه المعلومة التي أثبتّها بنصوص قرآنيّة أطلعته عليها يكون متّصفاً بجمود العقل وبالتقليد الأعمى للموروث لديه.

وبالإضافة إلى ذلك كلّه فقد كان ينبغي على القارئ أن يراجع

معاجم اللّغة العربيّة ليطّلع على فعل ـ خلَقَ ـ وأنّه لا يحمل معنىً واحداً يتبادر إلى الذهن. بل إنّ فعل ـ خلَقَ ـ يحمل أكثر من معنىً وتحدّد قرائن كلّ معنىً من معاني فعل ـ خلَقَ ـ الواردة في الآيات الكريمة.

فأنت تقول يا عزيزي القارئ: خلق الله الأديم وتعني قدّره قبل أن يقطعه. وإذا قلت إني خلقت هذه اللوحة الفنيّة تقصد أنك أوردت فعل ـ خلقت ـ بمعنى أبدعتها على غير مثال سابق. أما إذا قلت خلق عدّوي الإفك فتعني أنّ عدوّك افترى الكذبَ. وأمّا إذا قلت خلقت هذا العود فتعني من ذلك أنك سوّيته. وهكذا يستعمل فعل ـ خلق ـ إذا أتبعته بحرف الجّر (من) دلالة على بدء خلق شيء من الأشياء كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ إلى جانب ما أوردناه من معاني آنفاً فبعد هذا التوضيح كلّه والذي أ ثبّت لك من خلاله بأن كلمة ـ خلَقَ ـ لها عدّة معاني وعدّة استعمالات، وأن خلق الإنسان من صلصال من حمإ مسنون يستحيل أن يكون القصد منه التّعبير عن مرحلةٍ من مراحل خَلقِ جسد هذا الإنسان.

فبعد هذا كلّه أكون قد ساعدت القارئ ليتفق معي بأنّ قول اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة من سورة الحجر ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾. قد قصد به تعالى الكلام عن طبيعة هذا الإنسان وليس عن مرحلة من مراحل خَلق الله تعالى لجسد هذا الإنسان فنحن نميل إلى هذا الفَهم دفعاً لحدوث أيّ تعارض ما بين دلالة هذه الآية الكريمة وما بين دلالات جميع الآيات الستة التي تكلّمت عن مراحل خلق جسد هذا الإنسان.

تفسير آية ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ﴾ ..

فلمّا أصل بالقارئ إلى هذا الحد من البيان أضطرّ أن أتدبّر لك يا عزيزي القارئ هذه الآية وأفسّر قول اللّه تعالى فيها ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وبالاستناد إلى دلالات ألفاظ وتراكيب الآية المذكورة ووفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

فالظاهر من هذا النّص ورود حرف الجر ﴿ مِن ﴾ الثانية فيه بيانية لتفسّر ما بعدها الذي ورد كعطف بيان. وأما كلمة ـ صَلْصَلٍ ـ فقد اشتقت من قولك: صلصل الشيء ومعناه صوّت. فالصلصال هو الطين الحر المخلوط بالرّمل والمشويّ والذي أصبح كالفخار إذا قرعتَ عليه بأصابعك يردّد صدى هذا القرع عليه، لكنّه لا يكون هذا الصلصال قد انقلب بعد إلى خزف. فهذا هو المعنى الذي أورده معجم ـ (محيط المحيط) ـ وأما قوله تعالى بحقّ هذا الطين الصلصال أنّه ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

فقد وردت هذه الصيغة كعطف بيان وضّحت حقيقة هذا الطين على أنّه طينٌ تغيّر لونه واسود من طول مجاورته الماء ـ تفسير البيضاوي ـ و ـ محيط المحيط ـ .

فهذا المعنى الحرفيّ الذي توصلنا إليه إذا أخذناه مقطوعاً عن سباقه وسياقه الموضوعيّ، نتفق حينئذ مع ما أورده المفسّرون القدماء من معان تفسّر هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.

لكنّ منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره تفرض علينا ألاّ يقيّدنا هذا المعنى الحرفيّ الذي توصّلنا إليه بل أن نفهم مضمون هذه الآية الكريمة وفق موقعها من التسلسل الموضوعي لآيات سورة الحجر. علما بأنّي كنت قد نبّهتك يا عزيزي القارئ إلى أنّ الله تعالى قسّم تاريخ البشر في سباق هذه الآية الكريمة إلى ـ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ـ وهم البشر من سكان الكهوف وفي زمن عصورهم الحجرية. وإلى ـ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ـ وهم هذا الإنسان المعروف من تاريخه أكثر من ستة آلاف عام وأنّ هذا التقسيم هو نفس التقسيم التاريخيّ المعاصر لتاريخ البشر والمستند إلى حقائق ثابتة لا تقبل التأويل.

وما دام سباق هذه الآية الكريمة هو ما ذكرناه وأشرنا إليه وما دام من الثابت علمياً أنّ تكوين جسد إنسان ما قبل التاريخ وما بعده كان واحداً وأنّه لا اختلاف فيه. فهذه قرنيةٌ قويّةٌ تدفعنا لنفهم من مضمون هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ أنه جلّ شأنه قد راح يتكلم فيها عن هذه الصّفة الطبيعية لطبيعة إنسان ما بعد التاريخ وأنّه تعالى أورده على سبيل الاستعارة. وبمعنى أنّ اللّه تعالى كان قد أبدع هذه النفس البشرية على استعداد لتلقي تعاليم السماء بصورة طبيعيّة لذلك فهي أشبه بالصلصال من حمأٍ مسنون إذا قرع الإنسان عليه يسمع صدى هذا القرع المشار إليه. فإن نحن أخذنا بهذا المفهوم لا يعود هناك من تناقض ما بين هذا النوع من الخلق ومع خلق الإنسان من تراب. فالخلق من تراب يتعلّق بالتكوين الجسديّ للإنسان. والخلق من صلصالٍ من حمأ مسنونٍ يتعلّق

بتكوين طبيعة ونفسيّة هذا الإنسان الذي لبّى صوت السماء بعد بعثة النبيّ آدم عليه السلام. خصوصاً وأنّ أداة التعريف المعرّفة بها كلمة ـ ٱلْإِنسَـٰنَ ـ الواردة في هذه الآية الكريمة قد أشارت إلى إنسان ما بعد بعثة آدم وهو التاريخ المعهود في أذهاننا والمتعلّق بإنسان المستأخرين الذين تهذّبوا على أيدي أنبياء اللّه الكرام.

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله عز وجلّ راح بعد ذلك يخبرنا عن تكوين طبيعة هؤلاء البشر الذين اصطلح على تسميتهم ﴿ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ والذين كانوا يعيشون في الكهوف قبل بعثة أول نبيّ إليهم وهو آدم عليه السلام.

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أتى اللّه تعالى بعد ذلك بواو العطف وعطف وقال: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾.

وعليه فالجانّ الذين ذكرتهم هذه الآية الكريمة هم بشر ما قبل التاريخ الذين عاشوا ملايين السنين في الكهوف والذين استعار اللّه تعالى لتسميتهم هذه الصفة ـ ٱلْجَآنَّ ـ بسبب ما اتصفوا به وما اشتهروا به وهو الاختفاء في الكهوف وعدم ظهورهم إلا طلباً للماء والغذاء. وهي الحقيقة التي أثبتها علم المستحاثات وكما وضّحت ذلك في مؤلّفي ـ نشوء الإنسان وتطوره ـ .

والآن وبعد أن أثبتّ لك يا عزيزي القارئ من معطيات الآيات القرآنيّة نفسها بأنّ خلق اللهّ تعالى لهذا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون لم يتعلّق بخلق جسد هذا الإنسان ولكن يتعلّق بتكوين طبيعته

النّفسيّة وهو أنّه جُبل على التجاوب مع صوت السماء إذا ما أنزل اللّه تعالى عليه تعاليم سماوية جديدة. فعُدت أنت مضطرا لتسألني يا عزيزي القارئ عن المقصود من خلق الجان ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾.

ولزم أن تسألني هنا وتقول فما هو المقصود بهذه الألفاظ ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾؟ فأجيبك وأقول:

أورد معجم (محيط المحيط) أنّ كلمة ـ ٱلسَّمُومِ ـ اشتقت من قولك: سمّت الريح والمعنى أنها أحرقت. فالسّموم هي الحر الشديد النافذ في المسام. هذا وإنّ العامّة تقول: سمّني كلام فلان بمعنى أغضبني غضباً أليماً. وإنّ سموم الإنسان هي: فمه ومنخاره وأذناه وبما أن الله عز وجلّ كان قد وصف طبيعة إنسان القسم الثاني من الناس ـ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ـ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ ومعبّراً عن طبيعته بأسلوب الاستعارة. فإنّ الله عز وجلّ جاء يصف في هذه الآية الكريمة التي قال فيها ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ فإنّه ليصف بالمقابل طبيعة البشر القديم والعائد إلى القسم الأول ـ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ـ وبأسلوب الاستعارة أيضاً ولينبّه أذهاننا إلى أنّ طبيعة البشر القديم حين كان في عصوره الحجرية كانت طبيعة متوحّشة وكأنّها خلقت ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ أي أنّ كلّ فردٍ من أفراد البشر القديم كان يشتعل غضباً لأتفه الأسباب.

وكأنّ اللّه جلّ شأنه ومن خلال وصف الإنسان القديم بهذه الصفة المستعارة قد قال بألفاظٍ أخرى بأن البشر في عصوره الحجرية كان

متوحشاً وبعيداً عن التمدن والتهذيب وهي حقيقة كشف عن مصداقيتها علم المستحاثات الذي أشرت إليه من قبل أيضاً. إذ لم يعثر العلماء في الكهوف على آثار دالّة على معالم تمدن ولا على معالم تهذيب كان قد تركها البشر في عصور تواريخه الحجريّة.

وهنا ينبغي لك يا عزيزي القارئ أن تنتبه إلى أنّه ورد حرف الجرّ (من) في كلتي الآيتين المذكورتين لم يستعمل فيهما بمعنى واحد بل وردت ﴿ مِن ﴾ في الآية الأولى بمعنى ابتداء الغاية ووردت ﴿ مِن ﴾ في هذه الآية الثانية لتفيد البيان وذلك في قوله تعالى﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾.

فإلى هنا أكون قد شرحت لك يا عزيزي القارئ دلالات هذه الآيات التي أوردناها من سورة الحجر.

فإن كنت قد استوعبت ما شرحته لك وكنت ممن طالع التفاسير القديمة، تُلاحظ ولا شكّ فارقاً كبيراً ما بين هذه المعاني الجديدة لتلك الآيات الكريمة وما بين ما أورده المفسّرون القدماء رحمهم الله تعالى ذلك أنّ المفسّرين القدماء لم يتفقوا أصلاً على رأي واحد بل ذهبوا في تفسير تلك الآيات مذاهب شتى فمنهم من اعتبر ـ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ـ أهل طاعة الله تعالى وأنّ ـ ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ـ المتخلّفين عن طاعته تعالى ومنهم من أراد بالمستقدمين الصّف الأول من أهل الصّلاة وبالمستأخرين الصّف الآخر منها ومنهم من ذهب ذهنه إلى أنّه تعالى يصف القتال من خلال هاتين الكلمتين ومنهم من ذهب إلى أنّ المقصود من ﴿ ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾

الأموات. وأنّ المقصود من ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ الأحياء منهم كذلك ذهب ذهن بعضهم إلى أنّ المقصود من ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الأمم الخالية وأنّ المقصود من ﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ أمّة محمّد (ص). وأورد المفسّرون بأنّ عكرمة قال: المستقدمون مَن خُلق. والمستأخرون مَن لم يُخلق. وأضاف الفخر الرازي رحمه اللّه على هذه الأقوال المذكورة رأيه الشخصيّ وهو أنّه لا يخفى على اللّه تعالى شيء من أحوالهم إذ يحيط علمه تعالى بالمتقدّمين منهم والمستأخرين في الحدوث والوجود وفي أنواع الطاعات والخيرات وأنّه لا ينبغي أن نخصّ الآية بحالة من الحالات.

وأنا أنبّه القارئ الكريم إلى ثلاثة أمور تعينه على إثبات مصداقيّة ما ذكرته له وبيّنته من معاني الآيات التي أوردتها من سورة الحجر ولتبعده عن التفاسير القديمة للآيات من سورة الحجر:

فالأمر الأوّل هو أن يأخذ بعين اعتباره ما استهلّ اللّه تعالى به سورة الحجر من أحرف مقطّعات هي ﴿الٓر﴾ فهي أحرف اختزال تشير إلى شموليّة رؤية اللّه تعالى الواسعة التي تشمل كلّ شيء في هذا الكون القديم منه والحديث.

والأمر الثاني هو أنّ يفكّر هذا القارئ ويتساءل في حديث نفسه عن حكمة قوله تعالى ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ ولا يجد تفسيراً لهذا القول إلاّ إذا اعتقد بأنّ الآيات من سورة الحجر هذه سيطلعه ربّه من خلالها على حقائق تأخذ بألباب الباحثين وتدفع الكفّار ليتمنّوا لو كانوا مسلمين.

والأمر الثالث هوأن يتساءل أيضاً عن حكمة قول اللّه تعالى أيضاً بعد ذلك ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ وأنّه جلّ شأنه لم يورد هذا الوعد في هذا المقام إلا بسبب أهمّية ما تحمله الآيات الكريمة من سورة الحجر من حقائق ذات أهمّية كبيرة تتجلّ للعيان في المستقبل يوم تحدث في العالم من متغيّرات على أيدي الكفّار وتمتّ إلى هذه الحقائق بصلة من الصلات .

وختاما لمضمون هذه الحلقة السابعة ألخّص لك يا عزيزي القارئ ما أوردته فيها فأقول : لقد أتيت لك بنصوص من الآيات الكريمة التي نصّت على أنّ اللّه تعالى قد خلق هذا الإنسان في الأصل من ﴿ تُرَابٌ ﴾ وقد نبّهت في الوقت نفسه إلى أنّ العلم الحديث أثبت مصداقيّة ما طرحته تلك الآيات القرآنيّة التي أوردناها .

وعليه فلا يجوز أن نفهم فعل ﴿ خَلَقْنَا ﴾ الوارد في قول ربّنا عزّ وجلّ في هاتين الآيتين من سورة الحجر على أنّ المقصود منه نفس معنى الخلق الوارد في تلك الآيات كيلا نضرب الآيات بعضها مع بعض . بل أن نعتبر المعنى المذكور في تلك الآيات قرينةً دالّةً على أنّ اللّه تعالى قد أورد فعل ﴿ خَلَقْنَا ﴾ في الآيتين المذكورتين بمعنى أبدعنا وإشارةً لوصف طبيعة ونفسيّة كلّ قسم من أقسام الإنسان القديم والإنسان الحديث الذي نحن أحد أفراده . والذي ابتدأ تاريخه منذ بعثة آدم عليه السلام . وعلى هذه الصورة نكون قد أعطينا الآيتين المذكورتين المعنى الذي يتّفق مع سباقها وسياقها الموضوعيّ . وإنّه لمعنى لم ينتبه إليه من سبقنا من مفسّري أمتنا الإسلاميّة رحمهم اللّه .

الحلقة الثامنة

لقد كنت لفتّ نظر القارئ الكريم في أواخر الحلقة السابعة إلى أمور ثلاثة تضمّنتها الآيات الأوائل من سورة الحجر. وكان الغرض منها التّمهيد من جانب اللّه تعالى لبيان حقائق علميّة لم يتوصّل إلى معرفتها أيّ إنسان قبل إنزال هذا القرآن المجيد. فلو كان المفسّرون القدماء في أمتنا الإسلاميّة قد أحاطوا علماً بهذه الحقائق الثلاثة التي مهّد اللّه تعالى بها لموضوع سورة الحجر إحاطة تامّة ولولا أن كانوا قد وقعوا تحت تأثير الأفكار الإسرائيليّة لكانوا قد أقدموا على ما أقدمت عليه من محاكمات واستنتاجات. ولعلّ ما كشف عنه علم المستحاثات الحديث من حقائق قد ساعدني هو بدوره في هذا المجال. والمهمّ في الأمر هو ضرورة أن تستفيد يا قارئي العزيز من كلّ ذلك فتدع عنك التفاسير الموروثة التي فسّرت الآيات التي أوردتها لك من سورة الحجر بتفسير مخالف لمضامينها وأن تأخذ بهذا الفهم الذي شرحته لك فهو يحمّل سلاح الدفاع عن المعتقدات الإسلاميّة دفاعاً علميّاً ومنطقياً ويثبت لكلّ باحث سعة رؤية اللّه تعالى للأشياء قديمها وحديثها بشكلٍ واضحٍ لا لبث فيه.

واعلم يا عزيزي القارئ أنّك إذا أخذت بالمعاني التي بينتها لك تكون قد أثبتّ وجود تسلسل موضوعيّ ما بين آيات هذا القرآن الكريم. وأنّك عُدت تفهم تلك الآيات الكريمة على ضوء معطيات العلم الحديث إلى جانب أن تكون قد أدركت معالم صلاحيّة هذا

الكتاب المقدّس لكلّ زمان ومكان . ومتذكراً أيضاً بأنّ هذا القرآن الكريم قد صيغ بصياغة بلاغيّة معجزة تحدّى بها الإنس والجان . فلغة القرآن الكريم ليست لغة عاديّةً ولكنّها لغةٌ عربيّة اللسان واشتملت على جميع فنون اللّغة العربيّة أيضاً لذلك يحتاج متدبّرها أن يتدبّرها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره وليس أن يأخذ من معانيها ما يتبادر منها لذهنه .

فإن أنت تذكّرت هذه الأمور الثلاثة وطالعت آراء القدماء بمنظارها تُلاحظ يقيناً أنهم فسّروا هذه الآيات الكريمة بتلك الآراء المتعددة ليس لقصور فهمهم بل لأن زمن تفسير تلك الآيات الكريمة ما كان قد حان بعد أما وقد كشف علم المستحاثات في زماننا عن وجود الإنسان منذ ملايين السنين وأنّ علماء التاريخ قسّموا تاريخ هذا الإنسان إلى ـ المستقدمين ـ وهم البشر في عصورهم الحجرية ما قبل التاريخ0 كما قسّموا تاريخه إلى ـ المستأخرين ـ وهم البشر ما بعد التاريخ أي ما بعد بعثة آدم عليه السلام الذي كان أول نبيّ بعثه الله تعالى وليس أول البشر كما زعم ذلك كاتب سفر التكوين اليهودي . فما دام العلم الحديث قد كشف عن هذه الحقائق فقد كان من واجب المؤمن أن يفهم تلك الآيات عل ضوء معطيات العلم الحديث ليثبت كون هذا القرآن الكريم قد أنزله ربنا عز وجلّ لكل زمان ومكان وليباهي به الكفار حتى يتمنوا لو كانوا مسلمين بهذا القرآن العظيم ودينه .

أمّا إن شئت يا عزيزي القارئ أن تأخذ بآراء القدماء فالرأي رأيك لكن تذكّر أنّ المفكّرين من معاصريك سيعتبرونك رجعياً وتقليدياً وبعيداً

عن تدبّر كتاب الله العزيز. أي أنك والحال هذه ستشبه الأمم الذين رفضوا ما أنزل الله تعالى عليهم من قبل من علوم تُصلح أحوالهم وقالوا إنّا وجدنا آباءنا على ملّة وإنّا على آثارهم لمقتدون.

هذا وإنني من خلال ما وضّحته لك من دلالات تلك الآيات الكريمة أكون قد حققت الأمور التالية:

أولاً: أثبت لك وجود تسلسلٍ موضوعي ما بين تلك الآيات الكريمة.

ثانياً: فسّرت لك الآيات القرآنية على ضوء معطيات حقائق العلم الحديث.

ثالثاً: كذلك أثبت لك من خلال جميع ما ذكرته لك بأنّ هذا القرآن المعجز صالحٌ لكل زمانٍ ومكان.

حقيقة التكوين النفسيّ المشار إليه

وأنت يا عزيزي وبعد كل ما سمعته ستظلّ مترجرجاً حيال معنى ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ وحيال معنى ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾.

وقد يكون سبب رجرجة فهمك ضعفك في علم البيان الذي يشتمل على تشابيه واستعارات وكنايات وغيرها من الأمور والقواعد البيانية ومتناسياً أنّ هذا القرآن العظيم قد تحدّى الإنس والجان في جميع فنون اللغة العربية، لذلك كان من واجبنا عند تدبّر آياته الكريمة أن نبحث عن

القرائن الدّالة على تعيين معاني الألفاظ الحقيقيّة والمجازية علماً بأني كنت نبّهتك من قبل إلى القرائن الدالة على أنّ هذين القولين ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ و ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ قد استعملا في الآيتين على سبيل المجاز وليس بمعانيها الحقيقيّة .

ومع ذلك أزيدك علماً بما فهمه الفخر الرازي رحمه الله في هذا المجال والذي لم ينتبه إلى أنّ الله تعالى كان يورد فعل ـ خلَقَ ـ في كلّ موضعٍ من كتابه العزيز بمعنى من المعاني المتعددة لهذا الفعل فهو كتب في تفسيره الكبير ج 19 صفحة 179 يقول :

(والأقرب أنّه تعالى خلقه ـ يقصد آدم ـ أولاً من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار ولا شك أنّه تعالى قادرٌ على خلقه من أي جنس من الأجسام كان بل هو قادرٌ على خلقه ابتداءً وإنّما خلقه على الوجه إمّا لمحض المشيئة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الجنّ لأنّ خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه) .

فإن أنت تفحّصت ما كتبه الفخر الرازي يتبيّن لك أنه لم يدرك دلالاتها الحقيقة واضطّر بذلك ليكتب ما نقلته لك عنه .

أما في عصرنا هذا فلم تعد أقوال وفهم الفخر الرازي والتي نقلناها مهضومةً من قبل المفكرين والعلماء وأصحاب العقول النيّرة وتتنافى ومعطيات العلم الحديث أيضاً .

وهنا تسألني : ما دام الأمر كذلك فلِمَ ورد قولان عن طبيعة

الإنسان وقولان عن طبيعة الجانّ؟ فتارةً قيل بحقّ الإنسان أنه مخلوق من ﴿ صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ وأخرى مخلوق من ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾. وقيل بحقّ الجان أنه مخلوق ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ وأخرى أنه مخلوق من ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾.

فأجيبك وأقول: إنّ القولين بما يتعلّق بطبيعة الإنسان هما من حيث المضمون واحد ولا يحملان مضمونين فالصلصال من حمأ مسنون هو في حقيقته صلصال كالفخّار وأمّا ما يتعلّق بطبيعة الجانّ فالقولان أيضاً وردا بمضمون واحد وليس بمضمونين فقوله تعالى: من نار السّموم لا يخالف قوله تعالى من مارج من نار وقد أخطأ كلّ من فهمَ من قوله تعالى ﴿ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ أنه يعني من نارٍ صافية لا دخان فيها.

ولربّما كان قد أوقع المفسّرين في هذا الخطأ أنّ ما نقله مؤلّف (محيط المحيط) عن معجم (المحيط) قوله فيه (ومارجٌ من نار أي نارٌ بلا دخان) فكلمة ـ مَّارِجٍ ـ لا تعني النّار حتى نقول أنها تعني ناراً بلا دخان ولا أدري كيف أخطأ هذان المعجمان في قولهما المذكور وفي وقت أوردا فيه اشتقاقات فعل ـ مرج ـ بدلالات لا تمتّ للنّار بصلة من الصلات. فقد أوردوا هم أنفسهم أنك إذا قلت: مرِج الشيء بالشيء معناه خلطه به وإذا قلت: مرِج الأمر معناه فسد واختلط واضطرب والتبس وإنّ هذه المعاني جميعها تشعرك بانّ طبيعة الإنسان القديم اختلفت عن طبيعتنا بصورة جذريّة فقد كان البشر في عصوره الحجريّة ملتبس الأفكار ومضطرباً في

تصرفاته وحادّ الطبع ويتصرّف تصرفات تنبع من ردود أفعال ولا تصدر عن اتّزان وتعقّل وهي المعاني التي أفادها وصف اللّه تعالى إيّاهم: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ فتفكّر.

ألا إنّ هذا القرآن المجيد هو من حيث صياغته ومضمونه في غاية الإعجاز، ولم يفرّط الله عز وجلّ فيه في شيء من الأشياء فإن أنت تناسيت هذه الحقيقة واستكنت إلى ما وصل إليك من تفاسير الأقدمين الذين تأثروا بأفكار الأمم من حولهم وخاصةً منهم أفكار أهل الكتاب الذين استندوا إلى ما وصلهم من أفكار كُتّاب العهد القديم والعهد الجديد وحسب اصطلاحهم، إذا أنت استكنت إلى هذا التراث المزيج ممّا أشرت إليه فستظلّ بعيداً عن فهم مكونات هذا الكتاب العزيز المعجز وهو أمر يعود إليك أولاً وأخيراً لكن تذكّر يوم الحساب.

وتذكّر بأنّ هذا المفهوم الوثنيّ لكلمة جِنّ - والذي تبنّاه بعض المفسّرين والقائل بوجود مخلوق خاف عن الأعين وأنه من مارج من نار. تذكّر بأن الله عز وجلّ قد ردّ على أولئك المشركين أيّام إنزاله آيات هذا القرآن الكريم ونفى وجود هذا المخلوق المزعوم نفياً قاطعاً وسأدلّك يا عزيزي القارئ على الآيات الكريمة التي تضمنت هذا النفي المذكور.

آيتان تنفيان المفهوم الوثني لكلمة ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾

الآية الأولى: فآيات سورة الأنعام فنّدت عقائد المشركين من العرب والمشركين من أهل الكتاب حيث قال اللّه تعالى في الآية 92 من

سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ وقد حدّد الله عز وجلّ في هذه الآية الكريمة الجهة التي أمر تعالى رسوله الكريم بالقيام بتبليغهم رسالة هذا الكتاب المبارك والمصّدق للّذي بين يديه فحدّد تعالى تلك الجهة بقوله ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ إشارةً إلى جميع سكّان مكة المكرمة وهم قريش وجميع من حولها وإشارةً إلى جميع سكّان الكرة الأرضية من النّاس أيضاً الذين هم حول مكة عمليا. وبذلك يكون الله عز وجلّ قد حصر رسالة نبيّه الكريم بالناس المؤلّفين من (إنس وجنّ) وفق معطيات آخر سورة من سور القرآن الكريم. وقد كنت وضّحت للقارئ بأنّ المقصود من ذلك طبقتي الحكّام والمحكومين أو الزعماء وأتباعهم ذلك أنّ حرف الجرّ ﴿مِن﴾ الوارد في آخر آية من آيات سورة الناس يفيد التبيين.

وأمّا في الآية100 فقد قال اللّه تعالى فيها ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

فلاحظ يا عزيزي كيف أن الله عز وجلّ عوضاً عن أن يقول وجعل المشركون (الجنّ) شركاء لله تعالى فقد قال عوضا عن ذلك ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ فما هي حكمة هذا التّغيير والتبديل في أسلوب التّعبير عن المعلومة التي شاء تعالى بيانها في هذه الآية الكريمة؟

جواب ذلك هو أنّ فعل (جعل) معناه صنع وصيّر لكنّه تعالى بعد أن أدخل على فعل (جعل) صلة اللّام وقال: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ فقد أجرى تبديلاً في معناه حيث تقول جعل له كذا على كذا وتريد أنّه شارطه به عليه (محيط المحيط) وعليه فقد أصبح معنى ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ أنّ المشركين اشترطوا فيما يردّون به على عقيدة التوحيد الإيمانيّة وجود مخلوق خاف عن الأعين ويطلقون عليه اسم (جنّ) وأنّ هذا الجنّ المزعوم يقوم بخارق الأعمال وعلى شاكلة ما يقوم الله تعالى به من خارق الأعمال.

ومن ثمّ أتى اللّه جلّ شأنه بواو العطف وأضاف يقول ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ فضمير خلقهم يعود وحسب القاعدة النّحوية إلى أقرب الأسماء إليه ليّحل محلّه. وإنّ كلمة ـ الجنّ ـ هي الاسم الأقرب إلى هذا الضمير. وليصبح معنى قوله تعالى ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ أنّ المشركين اعتقدوا في الوقت نفسه أنّ ـ الجنّ ـ المزعوم وجودهم والذي يزعم المشركون بأنهم يقومون بخارق الأعمال يزعمون أنهم مخلوقٌ كمثلهم. فهذا هو معنى قوله تعالى ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ وهو معنىً اتّفق الفخر الرازي رحمه الله معي فيه في تفسيره.

والمهم يا عزيزي القارئ هو أن تعلم بأنّ الله عز وجلّ ومن خلال هذه الآية الكريمة قد أخبرنا بأنّ الاعتقاد بوجود مخلوق يقوم بخارق الأعمال ولا تراه الأعين هو عقيدةٌ وثنيةٌ من عقائد المشركين قبل الإسلام. وقد أخبرنا اللّه تعالى هذا الخبر في صدد نفيه لصحّة هذه

العقيدة التي تمسُّ عقيدة توحيد وجود الله تعالى في هذا الكون. وبدليل أنه تعالى أضاف بعد ذلك يقول ﴿ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ فقرنَ بذلك: أولاً ما بين اعتقاد المشركين بوجود ـ بنين وبنات ـ لله تعالى وما بين اعتقادهم بوجود الجنّ المزعومين ونبّه ثانياً إلى أنّ هذه العقائد الوثنية لا تستند إلى علمٍ حقيقيّ بمعنى أنّه لا تسنُدها حقائق علميّة بل هي عقائد باطلة قائمة على الظنون والتّخيلات ليس إلا.

ولذلك أنهى اللّه تعالى هذه الآية الكريمة بقوله ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ فقوله تعالى ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ يتضمّن تنزيه الذّات الإلهية عن كل مالا يليق به إشارةً منه تعالى إلى أنّ الاعتقاد بوجود مخلوق يقوم بعجائب الأفعال إلى جانب الاعتقاد بوجود ـ بنين وبنات ـ لله تعالى كلّ ذلك من قبيل الأفعال والأشياء التي لا يليق بالله تعالى أن يكون قد فعلها. وعليه فإنّ قوله تعالى هذا يفيد النفي والتّعالي عن كلّ اعتقادٍ باطلٍ وقولٍ فاسد تبنّاه أولئك المشركون

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله تعالى وبعد هذا النفي لهذه العقيدة الوثنية، فقد راح يقول بعد ذلك ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ وعلى هذه الصورة يتبيّن لك يا عزيزي القارئ ومن خلال معطيات هذه الآيات التي أوردتها لك من سورة الأنعام يتبيّن لك الخطأ الذي يرتكبه كلّ مسلمٍ يتبنّى هذه العقيدة

الوثنية التي بثّها المشركون العرب الجاهليّون قبل الإسلام بين الناس، وتأثر بها المفسرون المسلمون القدماء رحمهم الله تعالى من حيث لا يشعرون وفسّروا على ضوء معطياتها الآيات القرآنية الوارد فيها كلمة ـ الجنّ ـ على حين أن الله تعالى لم يورد هذه الكلمة بالمفهوم الوثنيّ الجاهلي، بل أوردها بدلالاتها اللغوية المتعددة والتي تتناسب مع تسلسل المعاني الموضوعيّ للآيات الكريمة في هذا الكتاب العزيز، وعلى حسب ما بيّنته لك حتى الآن فأنا أصحّح لك معلومةً وصلتك خطأ في هذا المجال وحفاظاً على كرامة معطيات هذا القرآن المجيد، وليس تشويهاً لها كما زعم المحامي الحلبي رياض كهيا والسيد سيدو حمو من عفرين. مع احترامي لهذين الأخوين في الإسلام وأنا أشكرهما على كلّ حال على حميّتهما الإسلامية

الآية الثانية وإليك يا عزيزي القارئ دليلاً ثانياً ومن معطيات آية ثانية أوردها الله عز وجلّ في سورة سبأ، ونافياً فيها وجود مخلوق لا تدركه الأبصار والذي سمّاه المشركون باسم ـ الجنّ ـ أي مخفيٌّ عن الأنظار.

فلو أنّك راجعت قول اللّه تعالى في معرض تنديده بالمشركين وذلك في الآية 40 من سورة سبأ، تلاحظه تعالى يقول ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ أي أنّ الله عز وجلّ خاطب في هذه الآية الكريمة ملائكته الكرام الذين لا تراهم الأعين الماديّة التي زوّد تعالى بها وجه هذا الإنسان، خاطب

ملائكته من منطلق عدم وجود مخلوق آخر يتّصف بصفة الخفاء تلك لذلك راح تعالى يندّد بعقيدة وجود مخلوق خاف لا تراه الأعين ومتّصف بصفة الخفاء على شاكلة ما اتصفت به ملائكة الله تعالى من صفة الخفاء. فهو تعالى عمد إلى سؤال ملائكته إشعاراً لنا بهذا الأسلوب غير المباشر بأنّ هذا المخلوق (الجنّ) الذي زعم المشركون وجوده هو زعمٌ باطل.

ولم يكتف الله عز وجلّ بلجوئه إلى هذا الأسلوب للتنديد بعقيدة العرب الوثنيين هذه. بل أسمعنا جواب ملائكته الكرام الذين نفوا وجود مخلوق خاف عن الأعين اسمه ـ جنّ ـ نفياً قاطعاً. وقال تعالى على لسان ملائكته: ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ وما دام أنّ ملائكة الله تعالى قد استهلّوا جوابهم بكلمة ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ ـ فقد نزّهوا الله تعالى عن أن يكون قد خلق مثل هذا المخلوق الموهوم في أذهان العرب الوثنيين. وكأنهم ومن خلال هذه الكلمة ـ سُبْحَـٰنَكَ ـ قد قالوا بألفاظ أخرى كلاّ إنك يا إلهنا لم تخلق في هذا الكون مخلوقاً خافياً عن الأنظار سوانا نحن ملائكتك وجند مملكتك. فكلمة ـ سُبْحَـٰنَكَ ـ والحال هذه قد تضمّنت معنى نفي وجود ـ الجنّ ـ الذي توهّم المشركون وجوده. هذا وحين قالت الملائكة أنت وليّنا من دونهم فقد نفت الملائكة وجود ـ الجنّ ـ المزعوم قيامه بخارق الأعمال أيضاً، وأنّه يُخاوي بعض المشركين ويتولاهم بعنايته وعلى حسب ما يزعم المشعوذون منهم. فالملائكة أثبتوا الولاية لله تعالى وحده. وهكذا فقد أورد الملائكة بعد

ذلك حرف الإخبار ﴿ بَلْ ﴾ وقالوا: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾. وبذلك نسبوا إلى عقيدة المشركين فعل ﴿ يَعْبُدُونَ ﴾ ولم يقصد بهذا الفعل المعنى المتبادر للأذهان منه وهو السجود لله تعالى وعبادته بل أورده تعالى هنا بدلالته اللغويّة. حيث ورد في معجم (محيط المحيط): ـ عَبَد الله تعالى معناه طاع له وخضع وذلّ وخدمه والتزم شرائع دينه ووحّده. وعلى أساس من هذا المعنى فقد قصد اللّه تعالى من قول ملائكته هذا أنّ المشركين الذين زعموا وجود هذا المخلوق ـ الجنّ ـ كانوا يرهبون هذا المخلوق الموهوم ويخشونه إلى درجة العبادة.

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ اللّه تعالى قد أنهى هذه الآية الكريمة بقوله ﴿ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ ويكون اللّه تعالى من خلال قوله هذا قد اطلعنا على أنّ غالبية مشركي الجاهلية اعتقدوا هذه العقيدة الوثنية التي تتنافى وعظمة الله جلّ وعلا وتنتقص من شأنه تعالى وقدراته لذلك أقول: إنّ كلّ مسلم مهما علا شأنه، يقرّ بوجود هذا المخلوق ـ ٱلْجِنّ ـ الموهوم يكون قد اعتقد عقيدةً وثنيّةً غير إسلامية.

وإنّ كلمات ـ الجنّ ـ الواردة في آيات هذا القرآن العظيم إنّما أوردها الله جلّ شأنه بدلالاتها اللغوية وتبعاً لمواضعها من تسلسل الآيات الموضعي، ولم يورد كلمة ـ جنّ ـ بالمعنى الوثني المشار إليه أعلاه. هذا المعنى الذي نفته تلك الآية التي أوردتها من قبل من سورة الأنعام، كما نفتها هذه الآية التي أوردناها من سورة سبأ وعليه فإنّ

الإنسان الذي لا يتدبّر الآيات القرآنية وفق منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره ويأخذ بآراء هذه التفاسير القديمة المحشوّة بآراء ودسائس أهل الكتاب والمشركين، فهو سيدرك خطأه يوم الحساب ولكن بعد فوات الأوان.

ويا عزيزي القارئ لا أظنّك ستتردد بعد الآن في الإصغاء إلى ما ستطالعه من معاني ودلالات معاني كلمة (الجنّ) التي سأطلعك عليها، بعد تقديمي لهذين الدّليلين القاطعي الدّلالة على نفي وجود مخلوق ناري موهوم سمّوه جنّاً ونسبوا إليه خارق الأعمال. وما دمت قد تشجّعت يا عزيزي على الإصغاء إليّ فقد شجّعتني على المثابرة على كتابة حلقات قادمة في هذا الموضوع، وسأورد لك تصحيح ما نسبوه للنبيّ سليمانَ الحكيم.

وقبل أن أنتقل بك إلى الحلقة التاسعة ألخّص لك ما تضمّنته هذه الحلقة الثامنة فأقول: لقد ذكّرتك يا عزيزي القارئ في هذه الحلقة الثامنة بالمناخ الفكري الوارد فيه الآيتان اللتان أخبرنا اللّه تعالى فيهما عن طبيعتي الإنسان القديم والحديث وكيف أنّ طبيعة الإنسان القديم المتوحش كانت أشبه كونها ﴿ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ بمعنى أنّها كانت بعيدة عن التّعقّل وعن محاكمة الأمور وكانت تلتهب غضباً لأتفه الأمور. وكيف أنّ اللّه تعالى صوّر طبيعة الإنسان الحديث على أنّها وكأنّها خُلقت ﴿ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ بمعنى أنّها هُذبت بتعاليم السماء فعادت تصغي إلى ما تسمعه من قبل ربّها بعقلٍ منفتّحٍ

ومنطق سليم. وكيف أنّ الفهم الحقيقيّ لهاتين الآيتين من سورة الحجر كان بعيداً عن إدراك المفسرين القدماء.

ومن ثمّ فقد قدّمت لك يا عزيزي القارئ بعد ذلك آية من سورة الأنعام وآية أخرى من سورة سبأ فشرحتهما لك بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره وأثبتّ لك من خلالهما كيف أنّ اللّه تعالى قد نفى من خلال هاتين الآيتين الكريمتين تلك العقيدة الوثنيّة التي اعتقدها المشركون الذين زعموا وجود مخلوق آخر غير ملائكة اللّه تعالى خافياً عن الأنظار وأطلقوا عليه اسم (جنّ). وكيف أنّ كلمة (جنّ) وردت في الآيتين المذكورتين بمعناهما السلبي وليس بالمعنى الوصفيّ الذي وردت فيه ضمن الآيات الأخرى التي تضمّنتها آيات هذا القرآن العظيم. وإنّ كلّ مسلمٍ يعتقد تلك العقيدة الوثنيّة يبتعد من خلال عمله هذا عن تعاليم هذا الدين الإسلاميّ الحنيف.

الحلقة التاسعة

دليلٌ عقليٌّ ينفي وجود ﴿ ٱلْجِنِّ ﴾ بمفهومه الوثني

فأرى يا عزيزي القارئ أن أمدّك بدليلٍ عقليٍّ إلى جانب الدّليلين اللذين أتيت لك بهما من النّصوص القرآنية المستمدّة من سورتي الأنعام وسبأ وذلك لإثبات بطلان المفهوم الوثنيّ المتوارث قبل أن أشرح لك ما نسبه القدماء إلى النبيّ سليمان عليه السلام. وإنّ دليلي العقلي هذا يدور حول قضيّة متّفق عليها بين جميع المسلمين وعلى اختلاف مذاهبهم. وهو أنّ الله عزّ وجلّ قد أنزل تعاليم هذا القرآن المجيد وفق معطيات الفطرة البشرية وليس وفق معطيات فطرة مخلوق آخر غير الإنسان وسند المسلمين في هذه المعلومة هو قول الله عزّ وجلّ في الآيات ـ 30 / 31/ 32 ـ من سورة الرّوم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. ففعل الأمر (أقِمْ) اشتقّ من أقام الشيء ومعناه أنّه أدام العمل عليه. وقد كنّى اللّه تعالى بكلمة ﴿وَجْهَكَ﴾ في هذه الآية عن الذات. وهذا شبيه

بقوله تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وأمّا اللام المُدخلة على كلمة ﴿ لِلدِّينِ ﴾ فقد وردت بمعنى لام الاستحقاق لوقوعها بين معنى وهو الوجه وذات هو الدّين. وليصبح معنى قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ﴾ أي داوم على العمل وفق تعاليم هذا الدّين لاستحقاق ذلك منك. أما كلمة ﴿ حَنِيفًا ﴾ أي مائلاً عن كلّ ما عداه من التعاليم. والملاحظ أنّ اللّه تعالى بعد أن وجّه أمره سالف الذكر فقد وضّح الحكمة من أمره هذا وقال: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ أي أنّ استحقاق هذا الدّين وتعاليمه منك هذا التوجُّه الكليّ نحوه، ينبع من كون تعاليم هذا الدّين قد أُنزلها اللّه تعالى موافقةً لهذه الفطرة التي ابتدعها الله جلّ شأنه وفطر الناس عليها. فهو تعالى فطر الناس يتحركون في حياتهم اليوميّة وفق مُعطيات هذه الفطرة البشريّة فهذا معنى قوله تعالى ﴿ عَلَيْهَا ﴾ ثم أضاف اللّه تعالى يقول ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ أي أنّ الإنسان مهما تطوّر بعد اليوم فلن تختلّ فطرته في شيء. هذا فإن شاء القارئ الاستزادة من فهم دلالة كلمة الفطرة المقصودة في هذه الآية الكريمة، فليراجع مؤلّفي (نظرية جذور الأخلاق) فقد وضّحت فيه مفهوم الفطرة البشرية والجذور المادّية لتكوينها وبأسلوبٍ علميّ.

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ اللّه تعالى لم يقل بعد ذلك (هذا الدّين القيّم) بل استبدل اسم الإشارة للقريب باسم الإشارة للبعيد (ذلك) وقال ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ وكان قصده تعالى من هذا الاستبدال من الوجهة البلاغيّة هو لإظهار عظمة هذا الدّين الذي أنزل

الله عز وجلّ تعاليمه موافقةً لتكوين فطرة الإنسان البشرية. ولاحظ يا عزيزي أيضاً كيف أنهى الله عز وجلّ الآية بقوله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تدليلا من جانبه تعالى على أنّ أكثرية الناس تجهل في حقيقة الأمر تكوين هذه الفطرة البشرية ومستلزماتها. كما تجهل عظمة تعاليم هذا الدّين الحنيف. وأمّا في الآية الثانية فضمير ﴿إِلَيْهِ﴾ يعود إلى أقرب الأسماء وهو لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ الذي تمثّله تعاليم هذا الدّين الحنيف أي أنّه تعالى قد أمر عباده المؤمنين أن يرجعوا إلى ربهم في كلّ شيء وأن يخشوه وأن يسعوا لتوطيد صلتهم به عز وجلّ فهذا هو معنى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بمعنى إذا صلّيتم، فادأبوا على الدّعاء للفوز بمحبّة الله وبقربه وبرضوانه ولا تكونوا من المشركين.

ولاحظ أيضاً كيف أنّ اللّه تعالى وضّح الناحية المذمومة التي اتّصف بها المشركون من خلال قوله تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وذلك في الآية الثالثة التي قال تعالى فيها ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. أي أنّ الإسلام أسّس تعاليمه على الإيمان بوجود الله الذي لا إله غيره. فهي تعاليم توحّد ولا تفرّق. على حين أنّ الشرك وعبادة الأصنام تفرق ولا توحّد صفوف الأمة.

والمهم من كلّ ما ذكرته لك يا عزيزي القارئ هو أنّ تعاليم الدين الإسلامي توافق الفطرة البشريّة ولا توافق فطرة أيّ مخلوق آخر غيره. وهذا دليلٌ عقليٌّ ينفي وجود مخلوقٍ موهومٍ غير الإنسان.

فبفرض أن وُجد هذا المخلوق الموهوم فلا يكون مكلّفاً بالإيمان برسالة الإسلام. وقد أكدّت الآية ـ 95 ـ من سورة الإسراء مصداقية هذا الدليل العقليّ الذي أشرت إليه.

فلقد قال اللّه تعالى في الآية المذكورة ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ وإنّ معنى هذه الآية الكريمة واضح الدّلالة. فهو تعالى ينفي وجود ملائكة يعيشون على سطح كرتنا الأرضية مطمئنّين إليها كحالنا نحن البشر. ويقول اللّه تعالى أنّه لو كان الملائكة قد خلقوا على سطح هذه الأرض فإنّهم كانوا بحاجة إلى من يهديهم إلى طريق العيش فوق الأرض بسلام بشرع غير شرع الإسلام. ولذلك تابع اللّه تعالى يقول: ﴿ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ أي لكّنا أرسلنا إليهم رسولاً من ملائكة السّماء ليهديهم إلى الطريق القويم.

يستفاد من هذه الآية الكريمة أنّ اللّه عز وجلّ يُرسل إلى كلّ مخلوق رسولاً من جنسه وبشريعة تتوافق مع معطيات فطرته هذا وإنّ النتيجة المستخلصة ممّا تقدم هو أنّه إذا سلّمنا بوجود مخلوق ناري لا تراه الأعين، فتبعاً لنص هذه الآية سالفة الذّكر فإنّ اللّه عزّ وجلّ يرسل لهداية هؤلاء الجنّ المزعومين رسولاً جنيّاً وليس رسولاً آدمياً وبالتالي فلا تتلاءم تعاليم القرآن المجيد مع فطرة المخلوق الناريّ المزعوم. إذ كيف يستطيع جسمٌ ناريٌّ الاغتسال بالماء التي ستطفئه. وكيف يصلّي على سجّادة فيحرقها وهكذا . .

والذي يؤكّد هذه النّتيجة التي توصلنا إليها هو قول الله تعالى في الآية 130 والتي يخاطب فيها الجنّ والإنس معاً ويقول: ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾.

فقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ يؤكّد مصداقية ما استخلصناه آنفاً من أنّ الله تعالى يرسل إلى كلّ مخلوق رسولاً من جنسه.

فإن أنت أخذت يا عزيزي القارئ بالمفهوم الذي نبّهتك إليه من قبل وهو أنّ كلمتي ﴿ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ قد قُصد بهما الحكام والمحكومين أو الزعماء ورعيّتهم فيكون الخطاب في هذه الآية الكريمة موجّهاً إلى الناس وحدهم وليس إلى مخلوقي اثنين. وبدليل أنّ سباق وسياق هذه الآية الكريمة تشعرك بتلك النتيجة التي خرجنا بها من ذلك كلّه وهو أنه بفرض وجود مخلوق ناري خاف عن أعيننا، فإنّ هذا المخلوق لا يكون مكلّفاً بالإيمان برسالة أتى بها رسولٌ من البشر إنما يكون مكلّفا أن يؤمن برسالة أتى بها رسولٌ من الجنّ وحسب. فتفكّر.

حقيقة العلم الذي تلقّاه الملك سليمان

وبعد أن قدّمت لك يا عزيزي القارئ هذا الدليل العقليّ المؤيّد بدلالات أكثر من آية واحدة. أنتقل بك لأوضّح لك ما نسبه المفسّرون

القدماء رحمهم الله إلى جيش الملك سليمان عليه السّلام وعمّا فهموه من الآيات الكريمة التي تحدّثت عنه وعن مملكته وعن جيشه وبصياغة بلاغية معجزة استعصى فهم مضامينها على المتأثرين بأفكار أهل الكتاب في حينه ممّا تسبّب أن نسبوا إلى كتاب الله العزيز مفاهيم هي أقرب إلى الخرافات منها إلى العلم والحقيقة والمعقول.

أولا. ولنبدأ بتلاوة الآيتين **15 / 16** من سورة النّمل اللّتين قال اللّه تعالى فيهما: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.

فيا عزيزي القارئ ما دام اللّه تعالى قد استهلّ قصّة الملك سليمان بهذا الاستهلال فمعنى ذلك أنّ الله تعالى قد جعل مضمون هاتين الآيتين الكريمتين مرجعاً وميزاناً لجميع ما سيقصّه تعالى علينا من قصّة نبيّه سليمان وما جرى له في حياته. وإنّ كلّ من يفسّر الآيات المتعلّقة به عليه السلام خلافاً لمعطيات هاتين الآيتين الكريمتين يكون مخطئاً في فهمه لمضامين الآيات فكأنّ الله عز وجلّ قد وضع من خلال هاتين الآيتين المذكورتين منهاجاً وأصولاً لفهم جميع الآيات المتعلّقة بالنبي سليمان عليه السّلام.

فالملاحظ هو أنّ الله تعالى قد سوّى في عطائه الذي منّ به على هذين النبيّين داود وسليمان وذلك في هاتين الآيتين سالفتي الذّكر.

لذلك كان من واجبنا أن نتساءل بدايةً عمّا أعطى اللّه تعالى داود وسليمان من عطاء مميّز؟

فتلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ هاتين الآيتين اللتين أوردناهما أجابتا على سؤالنا ونبّهت إلى أنّ اللّه تعالى قد أعطى داود وسليمان ﴿ عِلْمًا ﴾ ففضّلهم به على كثيرٍ من عباده المؤمنين الذين كانوا في زمانهما. لذلك كان من واجبنا فهم دلالة هذه الكلمة ﴿ عِلْمًا ﴾.

إنّ كلمة (العلم) اشتقّت أصلاً من علمَ بمعنى عرف خصوصاً وأنه تعالى أورد هذه الكلمة ﴿ عِلْمًا ﴾ مجردةً عن مفعولها فلم يوضّح تعالى للقارئ نوعيّة العلم الذي آتاه داود وسليمان عليهما السلام لكنه أورد في الوقت نفسه كلمة ﴿ عِلْمًا ﴾ منوّنةً على آخرها ليرفع من شأن هذا العلم ومضمونه.

أي أنّ الله عز وجلّ قد جعل من نبيّه داود وسليمان عالمين من أكابر علماء عصرهما وبدون أن يدخل اللّه تعالى في ذكر تفاصيل ذلك العلم وبيان نوعيّته بسببِ أنّ الآيات القادمة ستعطي القارئ فكرةً عن ذاك العلم المذكور والمشارِ إليه في هاتين الآيتين الكريمتين.

ثانياً. وأنتقل بك يا عزيزي القارئ إلى الآية الثانية التي قال اللّه تعالى فيها: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾.

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ خطاب النبي سليمان الوارد في هذه الآية الكريمة قد حدّد مضمون (العلم) الذي تلقّاه سليمان من

جانب ربّه عز وجلّ ودلّ على ذلك قول الملك سليمان ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ وأمّا ما يتعلّق بالعطاء المادّي فقد عبّر الملك سليمان عنه وقال ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾. أي أنّ اللّه تعالى كان قد منّ على نبيّه سليمان بعطائين الأوّل منهما عبّر عنه وقال ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ والثاني منهما عبّر عنه وقال ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾. وعليه فقد تحدّد لنا العطاء الإلهيّ الذي منّ اللّه تعالى به على نبيّه سليمان عليه السلام.

وهنا ينبغي علينا مراجعة ما كتبه كاتب سفر الملوك الثاني في الإصحاح الرابع منه من العهد القديم بشأن ما آتى الله عز وجلّ سليمان عليه السلام من علم أشار إليه القرآن الكريم في الآية سالفة الذكر. وعلى اعتبار أنّ من أصول التفسير أن نراجع المراجع التاريخيّة المتعلّقة بكلّ مضمون قرآنيٍّ متعلّق بأحداث تاريخيّة فنعود إلى مراجعها القديمة لتفسير الآيات وفق معطياتها. وعليه فإننا نلاحظ بأنّ الكاتب الذي كتب سفر الملوك الثاني كتب بهذا الشأن يقول:

(وأعطى الله سليمان حكمةً وفهماً كثيراً جداً ورحبة قلب.. وتكلّم عن الأشجار في الأرز في لبنان إلى الروّفا النابت في الحائط، وتكلّم عن البهائم وعن الطّير وعن الدّبيب وعن السّمك وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته).

فمضمون قوله هذا يعني بألفاظ أخرى أنّ سليمان عليه السّلام حين أصبح ملكاً كان قد ترقّى إلى درجة عالية من درجات علوم:

(الحيوان والنبات) وبفضلٍ خاص من ربه عز وجلّ. والملاحظ هو أنّ الكاتب المذكور لم يورد فيما كتبه بأنّ الملك سليمان كان يتكلّم مع الطّير أو مع غيره كالنمل والنحل.

فإن تساءلنا عن سبب تميّز سليمان الحكيم بهذا العلم الذي تعلّمه من جانب ربه عز وجلّ؟ فالجواب واضحٌ وهو أنّ نبوّته اقتضت أن يؤتيه ربّه الذي بعثه نبيّاً أن يؤتيه الحكمة وأن يعلّمه العلوم المذكورة خصوصاً وأنّه أصبح ملكاً من جهة أخرى. فالنبوّة والملك كانا بحاجة إلى هذا العطاء الإلهيّ الذي منّه الله تعالى على نبيّه سليمان عليه السلام. وليساعده ذلك على إدارة مملكته وإرشاد شعبه وتثقيفهم على أحسن وجه.

وهكذا تكون مُعطيات قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا﴾ قد اتّفقت مع معطيات ما أورده كاتب سفر الملوك الثاني الذي أوردته أعلاه مع الملاحظة أنّ اليهود اشتهروا بالمبالغة في كلّ شيء يعود إلى تاريخهم فلو كان هناك شيء غير طبيعي كان قد تعلمه الملك سليمان من جانب ربّه عز وجلّ لكان هذا الكاتب قد ذكره وأحاطه بهالة من المبالغة والتفخيم.

وبعد أن فرغت من إطلاعك يا عزيزي القارئ على حقيقة ما تضمّنته الآية الأولى التي أوردناها أنتقل بك لأطلعك على ما تبادر لأذهان المفسّرين القدماء رحمهم الله من قوله تعالى ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ فقد أورد الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره الكبير بصدد تفسيره لهذه الآية الكريمة قوله:

(وقالت العرب نطقت الحمامة، فالذي عُلّم سليمان عليه السلام من منطق الطّير هو ما يُفهم بعضه من بعض من مقاصده وأغراضه) وكتب أيضاً يقول تحت تفسير ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ قال:

(فلذلك قلنا إنّ الله تعالى جعل الطّير في أيّامه ـ أي أيام حكم سليمان ـ ممّا له عقل، وليس كذلك حال الطّيور في أيّامنا ـ أي أيام الفخر الرازي ـ وإن كان فيها ما قد ألهمه الله تعالى الدّقائق التي خصّت بالحاجة إليها أو خصّها الله بها لمنافع العباد كالنّحل وغيره).

فإن أنت دقّقت يا عزيزي القارئ فيما أورده الفخر الرازي من فهم للآية سالفة الذكر يتبيّن لك أنّه تبادر لذهنه منها معلومات لا أصل تاريخيّ لها. ولذلك كان من واجبنا أن نتساءل عن مدى صحّة ما ذهب إليه المفسرون القدماء من معنى. وهو الأمر الذي سنبحثه في الحلقة العاشرة القادمة.

وقبل الانتقال إليها ألخّص لك يا عزيزي القارئ ما تضمّنته الحلقة التاسعة فأقول: لقد أضفت لك في هذه الحلقة التاسعة بالإضافة إلى الدليلين القرآنيين اللذين ينفيان وجود مخلوق زعم المشركون وجوده أضفت دليلاً عقليّا مؤيّداً بالآيات القرآنية أيضا. ومن ثم انتقلت فشرحت حقيقة العلم الذي علّم الله تعالى النبي سليمان عليه السلام ودعمت ذلك بمراجع تاريخيّة من هذه التوراة المعاصرة وتتعلّق بنفس موضوع هاتين الآيتين الكريمتين وأترك عمليّة المقارنة والاستنتاج إلى

الحلقة العاشرة إن شاء اللّـه تعـالى . علمـاً بـأنّي نقلـت للقـارئ فـي هـذه الحجلقة ما كتبه العلامة الفخر الرازي رحمه اللّه في هـذا المجـال ليتمكّـن القارئ من معرفة آراء المفسّرين القدماء أيضاً .

الحلقة العاشرة

لا تنس يا عزيزي القارئ بأنّ الفخر الرازي وغيره من المفسرين القدماء قد تبادر لأذهانهم من خلال قوله تعالى وعلى لسان نبيّه سليمان عليه السلام ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ تبادر أنّ اللّه تعالى كان قد علّم سليمان ـ نُطق الطُيور ـ وأنّ الله تعالى وإكراماً لنبيّه سليمان قد أعطى الطّيور عقولاً ونطقاً في زمانه وحرم الطيور من النّطق والعقول من بعده وفي زمن رسولنا الأعظم محمد المصطفى (ص) على حدّ زعمهم فهذا ما أورده الفخر الرازي في تفسيره الذي نقلته لك في الحلقة التاسعة.

على حين تبيّن للقارئ العزيز بأنّ اليهود الذين اشتُهروا بالمبالغات بشأن أمور تاريخهم لم يأتوا على ذكر شيء ممّا ذهب إليه الفخر الرازي في تفسيره. ولذلك سنناقش آراء وفهم المفسرين القدماء بما فيهم العلامة الفخر الرازي رحمهم اللّه تعالى.

فالسؤال الذي يواجهك هنا يا عزيزي القارئ هو: هل قصد ربّنا عز وجلّ من قوله البلاغيّ المعجز وعلى لسان نبيّه سليمان: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ ما فهمه أجدادنا من هذه الكلمات؟

وللإجابةً على هذا السؤال أقول: فمن الوجهة التاريخيّة نقلت لك يا عزيزي القارئ ما ذكره كاتب سفر الملوك الثاني من العهد القديم بحقّ العلم الذي تعلّمه الملك سليمان من جانب ربّه عز وجلّ. وهو

الاقتباس الذي يخلو من هذا المفهوم الذي أورده المفسّرون القدماء.

وأمّا من الوجهة العلميّة فلم يثبت حتى الآن صحّة ما تخيّله العلامة الفخر الرازي في هذا الصدد. فلم يحدث أن انقلب الطّيور في زمان من الأزمنة من طيور غريزيّن إلى طيور عاقلين أصحاب إرادة وتقرير مصير كالإنسان وعليه فإنّ هذا الفهم يخالف إن صحّ قوانين التّطور الطّبيعية من جهة كما يخالف معطيات القرآن المجيد من جهة أخرى. ذلك أنّ الله عز وجل يقول بحق خلقه لهذا الإنسان ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ على حين أنّ الطيور ليست كذلك. لذلك تظلّ الطيور تتحرّك في حياتها بصورة غريزيّة غير عاقلة وعلى مدى الدهر. ومن جهة أخرى فإنّ اللّه تعالى خلق هذا الكون بما فيه وفق قوانين طبيعية وقال ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾.

وعليه فالعلم ينفي هذا المفهوم القديم ولا تستسيغه بقيّة آيات هذا القرآن العظيم. فإن سلّم امرؤ بالمفهوم القديم يضرب آيات القرآن بعضها ببعض ويخالف معطيات العلم، كما يخالف المعطيات التّاريخية التوراتية المعروفة.

﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ ومعناه الحقيقي

ويعاودنا سؤالٌ من جديد: ما هو المفهوم الحقيقيّ لقول اللّه تعالى على لسان نبيّه سليمان: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾؟

وللإجابة على هذا السؤال آخذ بيدك يا عزيزي القارئ إلى ما ورد

في معجم ـ محيط المحيط ـ حيث قال: نطق الرجل ينطق نطقاً معناه تكلّم بصوت وحروف تُعرف بها المعاني ولذلك يقال نطق اللسان وعلى أساسٍ من هذا التعريف فالنّطق مختصٌّ بكلام الإنسان وإسناده إلى غيره مجازٌ ونطقَ الكتابُ معناه بيّن وأوضح وقولك استنطقه معناه كلّمه وطلب منه النّطق والمراد من قولهم (الإنسان حيوان ناطقٌ)هو أن جنان الإنسان تنقش فيه المعاني، ولا تنقش هذه المعاني في الببّغاء ولا في الملائكة والجنّ لفقدان الجنان لديهم جميعهم.

فهذا ما أورده ـ محيط المحيط ـ بشأن كلمة النطق ولكنّ الآية المذكورة لم يرد فيها كلمة (النّطق) بل ورد فيها كلمة ـ ﴿ مَنطِقَ﴾ ـ ومعلومٌ أنّ النّطق يختلف عن ـ المنطق ـ فقد ورد في (محيط المحيط) نفسه: المنطق مصدرٌ واسمٌ لعلمٍ من العلوم المدوّنة ويسّمى بالميزان أيضاً وهو آلةٌ قانونيةٌ تعصم مراعاتها الذّهن عن الخطأ في الفكر، فهو علمٌ عمليٌّ آليٌ كما أنّ الحكمة علمٌ نظريٌ غير آلي وصاحب هذا العلم يسمّى منطقيّ.

فإن أنت استوعبت يا عزيزي القارئ هذا الكلام المعجميّ من أنّ كلمة (النُّطق) يختلف معناها عن كلمة ـ المنطق وأنّ (النّطق) مختصٌّ بكلام الإنسان وأنّ إسناده إلى غيره يستعمل على سبيل المجاز وليس على سبيل الحقيقة وأمّا كلمة ـ (المنطق) ـ هذه الكلمة الواردة في الآية سالفة الذّكر، فهي صيغة مصدر واسمٌ لعلمٍ من العلوم المدوّنة والتي تُدرّس على مقاعد الدرس. فقوله تعالى على لسان نبيّه سليمان عليه

السلام: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ لا يعني والحال هذه ما تبادر منه من معنى لأذهان المفسّرين القدماء، بحال من الأحوال. بل يعني أنّ النبيّ سليمان تعلّم علماً من العلوم ولم يعلّمه ربّه النطقَ بلسان الطّيور.

فإن أنت سلّمت معي يا عزيزي القارئ بهذا المعنى الذي نبّهتك إليه فقد سلّمت بمعنىً لا يخالف معطيات حقائق التاريخ ولا يتنافى مع المعطيات العلميّة المعاصرة ولا يضادّ معاني آيات أخرى من آيات هذا القرآن الكريم وبذلك تكون قد نزّهت كتاب الله العزيز عن هذا الهذيان وتلك الخرافات والمزاعم والادّعاءات التي هي في صالح اليهود من أعداء الإسلام وتشين محمداً المصطفى (ص) سيّد الأنام.

فإن انشرح صدرك يا عزيزي القارئ إلى ما أوصلتك إليه من معنى يفيده قول اللّه تعالى ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ تعود تسألني عن كلمة ـ ٱلطَّيْرِ ـ وتقول: وكيف يكون للطّير قدرةً على النّطق كالإنسان، أم أنّك ستزعم أنّ لهذه الكلمة ـ ٱلطَّيْرِ ـ معنىً آخر غير ما نعرفه من معناه؟

فأجيبك وأقول: ما دامت كلمة ـ مَنطِقَ ـ تعني علم المنطق المعروف فهذه قرينةٌ لغويّةٌ تحول دوننا ودون الأخذ بالمعنى المتبادر لذهننا من كلمة ـ ٱلطَّيْرِ ـ لذلك نراجع للمرّة الثانية معجم (محيط المحيط) فهو اشتق كلمة ـ ٱلطَّيْرِ ـ من طار الطائر إذا تحرك في الهواء بجناحيه فالطائر اسم فاعل وكلّ ذي جناح من الحيوان يجمع على طير وطيور وأطيار وإنّ كلمة الطائر لها أكثر من معنى في اللّغة العربيّة فهي تعني كوكباً كما تعني الدّماغ وما تيمّنت به أو ما تشاءمت به وقد وردت هذه الكلمة

(طائر) بالمعنى المذكور في سورة الأعراف حيث قال اللّه تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾. وتستعمل كلمة (طائر) بدلالات أخرى منها: الحظّ ورزق الإنسان، وعمله الذي عمله وقُلّده وطار عنه من خير أو شر لقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ وتستعمل كلمة (طير) في أمثال العرب فيقولون كأنّ على رؤوسهم الطّير أي ساكنون هيبةً.

وعليه فلا بدّ أنك قد لاحظت يا عزيزي القارئ أنّ من معاني كلمة (طير) الدّماغ في لغة الضادّ ومن باب أنّ دماغ الإنسان يساعد صاحبه على التّخيل والتّحليق في الأجواء بدون أجنحة.

فإن أنت أخذت بهذا المعنى لتفسير قوله تعالى عُلّمنا منطق الطّير فيصبح معناه أنّ سليمان عليه السلام عُلّم علم المنطق الذي كان يساعد دماغه على محاكمة الأشياء وفق أصول علميّة تساعده على التّخيل والوصول إلى نتائج سّليمة من خلال تلكً المحاكمات.

وفي الحقيقة فإنّ علم المنطق قد وضع أحكامه علماء اليونان لتحقيق هذه الغاية التي ذكرناها آنفاً لذلك نقول إنّ تباهي النبيّ سليمان بتعلّمه علم منطق الطّير لا يعني بحال من الأحوال تعلّمه النّطق بلغة الطّيور وهل يستسيغ عقلك يا عزيزيً القارئ أن يكون ملك اليهود سليمان والذي سمّوه سليمان الحكيم فهل يستسيغ عقلك أن يكون هذا النّبي قد تعلّم نُطق الطّيور من دون أن يدري شعبه بهذه الحقيقة؟ فلو كان لهذا الزّعم من حقيقة لدى الشعب الإسرائيليّ لكنت قد لاحظت

اليهود راحوا يتفاخرون بذلك على الدّوام ولكان كاتب سفر الملوك الثاني الذي اقتبست لك منه ما تكلّمه عن سليمان، لكان قد صرّح بهذا الامتياز وتفاخر على حين أنّ أحداً من اليهود ما خطر له أن ينسب للملك سليمان ما نسبه المفسرون القدماء إليه عليه السلام ولا بشكلٍ من الأشكال.

واستناداً إلى ما أوصلتك إليه فإن أنت عُدت تفهم من قوله تعالى ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ ما فهمه المفسرون القدماء رحمهم الله تكون قد خالفت المعنى اللّغوي من جهة، كما تكون قد خالفت معطيات تاريخ سليمان وبدون تقديم أيّ دليل كما تكون قد خالفت معطيات الآية الكريمة السابقة التي استهلّ الله عز وجلّ بها هذا الكلام والتي وضعت لك منهجاً وأصولاً لفهمه، والتي قمت بشرحها لك من قبل وهي: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. هذه الآية التي ساوت ما بين علم داود وما بين علم سليمان فإن زعمت أنّ سليمان كلّم الطير فقد لزم لك أن تنسب ذلك إلى الملك داود أيضاً ولكن من دون تمكّنك من تقديم أي دليل يثبت مصداقيّة ما ادّعيته أنت.

أما أنا فأفهم من قول اللّه تعالى على لسان نبيّه سليمان عليه السّلام ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ ما ذكرته لك من معنى والذي يتناسب مع معطيات الفقرة الأخيرة من هذه الآية الكريمة نفسها وهو قول داود وسليمان: ﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ

ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولا أفهم من القول المذكور امتياز سليمان بميزة لم يؤتها أحدٌ من أنبياء اللّه جلّ شأنه. وبالإضافة إلى ذلك فأنا أفهم من قولهما ﴿فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ تفضيلهما على الذين عاصروهما زماناً وليس تفضيلهما على من يأتي بعدهما. علماً بأنّ اليهود زمن هذين الملكين المذكورين كانوا مؤمنين بوجود الله الأحد لكنّهم كانوا شعب أميّين وأقرب إلى الجّهل منهم إلى العلم. فهذه هي إجابتي على سؤالك الأخير الذي سألتني فيه: هل أنّ لكلمة ـ ٱلطَّيْرِ ـ معنى آخر غير ما نعرفه من معناه؟ علماً بأني سأحاول أن أشرح لك في الحلقة القادمة معنى قوله تعالى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ووفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

لكنّي قبل ذلك سأختصر لك ما تضمنته هذه الحلقة العاشرة فأقول: إنّ كلّ من يطالع تفسير الآيتين المذكورتين من سورة النمل ويراجع في الوقت نفسه كتب قصص الأنبياء الموروثة يلاحظ بأنهم نسبوا للنبي سليمان عليه السلام امتيازات ما نُسبت لغيره من الأنبياء. ومن تلك الامتيازات أنّ النبي سليمان كان يفهم لغة الطيور وأن اللّه تعالى أعطى الطيور في زمنه قدرة على التفكير وشيئاً من العقل. وقد أثبتّ للقارئ العزيز في هذه الحلقة العاشرة من خلال مُعطيات ألفاظ هاتين الآيتين الكريمتين بطلان هذا الفهم الموروث الذي لا تستسيغه ألفاظهما ولا يستسيغه عقل الإنسان ويتنافى مع معطيات العلم الحديث ومع النواميس الطبيعية.

الحلقة الحادية عشرة

والآن وقد فرغنا من الكلام عن العلم الذي تلقّاه الملك سليمان من قبل ربّه عز وجلّ وفرغنا من الكلام عن حقيقة معنى ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ هذه الحقائق التي كانت قد تضمّنتها الآيتان 15/ 16 من سورة النمل أنتقل بك يا عزيزي القارئ إلى الآية التي بعدهما والتي قال اللّه تعالى فيها ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾. وهنا أرجوك يا عزيزي القارئ ألاّ تستعجلني قبل أن أشرح لك هذه الآية الكريمة وتقول: ها أنّ ﴿ ٱلطَّيْرِ﴾ كان أحد فصائل جيش الملك سليمان فلولا أنّ سليمان كان ملمّاً بلغة الطّير فما كان يقدر أن يضمّ إلى جيشه طيوراً فما ردّك على هذا السؤال؟

فأقول لك مرّةً ثانيةً تمهّل ودعني أشرح لك مضمون هذه الآية الكريمة، وستلاحظ كيف أنّ الإجابة على سؤالك هذا ستأتي من نفسها خلال شرحي لها. ولا تدع قول اللّه تعالى ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ ينطبق على تحرّكاتك هذه.

فتعال معي نتدبّر الفقرة الأولى من هذه الآية الكريمة والتي هي ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ بادئ ذي بدء فما هي دلالة فعل حُشر؟

تقول: حَشر الله الناس ليوم الحشر بمعنى جمعهم هذا وإنّ اللام من قوله تعالى ﴿ لِسُلَيْمَـٰنَ﴾ هي لام التّعليل. ويصبح معنى قوله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ أنّ القيادة العسكرية لجيش الملك

سليمان كانت على أُهبة الزّحف تحت قيادة الملك سليمان نفسه نحو مملكة اليمن وفي رحلة تبشيريّة بعقيدة التّوحيد كما سيتّضح ذلك فيما بعد إذ كانت تحكم مملكة اليمن ملكة عُرفت باسم بلقيس وكانت مشركةً تعبد الشمس.

وهنا قد تقاطعني يا عزيزي القارئ وتسألني: ما دام هذا القرآن الكريم لا علاقة له بتاريخ الحملات العسكرية وغيرها من الأمور لكونه كتاباً دينيّاً فما معنى أن يتعرّض الله عز وجلّ فيه لذكر هذا الذي يتعلّق بجيش سليمان عليه السّلام ورحلته المذكورة إلى اليمن؟

فأقول إجابة على هذا السّؤال: ما دام الله عز وجلّ قد صرّح بإعجاز هذا القرآن المجيد وتحدّى به الإنس والجن فإنّ إعجازه المشار إليه يتعلّق بصياغة هذا القرآن من جهة، وبالمضامين التي اشتمل عليها أيضاً والمصاغة بمختلف فنون اللغة العربيّة إظهاراً لعظمة تحدّيه من جهة أخرى. فلا يكتمل إعجاز هذا الكتاب المقدّس إلاّ إذا اشتملت مضامينه أيضاً على جميع ما يشغل ذهن هذا الإنسان بشكلٍ عام. لذلك لا تستغرب يا عزيزي القارئ إن أنت لاحظت تناول كتاب اللّه تعالى موضوع هذه النّاحية التّاريخية من حياة نبيّه سليمان وإخبارنا عنها هنا في هذا المقام وجاءت إجابته تعالى وهي مُصاغةً صياغةً معجزةً ومبيّنةً قيمة العلم الذي أوتيه داود وسليمان عليهما السّلام إيّاه لتمكينهما من تسيير أمور المملكة بشكلٍ صحيح. وهي حقيقة لا بدّ أنّها ستتجلّى لك يا عزيزي القارئ بعد فراغي من الكلام عن قصّة سليمان وأحداثها. .

حقيقة عناصر جيش الملك سليمان

وأعود إلى قول اللّه تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ فقد توصّلنا إلى أنّ قول ربّنا ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ ﴾ معناه أنّ جيش الملك سليمان كان منظّما تنظيماً جيداً وأنّ قيادة الجيش جمعت وحشدت من أجل تنفيذ مشيئة مليكها جميع فصائل جيشه فاصطفوا بشكلٍ نظاميّ. وكانت الغاية من ذلك أن يقوم الملك سليمان باستعراض فصائل جيشه وعلى شاكلة ما نعرفه في أيّامنا هذه. هذا وإنّ اللّه تعالى حين أضاف وقال موضّحاً نوعيّة فصائل جيش نبيّه سليمان عليه السلام. فقد عدّدهم وقال ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾.

وهنا قد تتساءل: فما الداعي لذكر هذه الفصائل وقد كان يكفي أن يقول اللّه تعالى (وحشر لسليمان جنوده فهم يوزعون) فنفهم منه اجتماعهم ووقوفهم صفوفاً ليستعرضهم الملك سليمان؟

أقول: لقد كان لذكر فصائل جيش الملك سليمان مقصداً هامّا وهو أن يعطي اللّه جلّ شأنه القارئ فكرةً عن نوعيّة وأهمّيّة جيش نبيّه ولا يتحقق هذا المقصد إلا من خلال تعداد فصائل جيش سليمان. لذلك كان عليك يا عزيزي القارئ أن تُحيط علماً بدلالات هذه الكلمات الثلاثة ﴿ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ لتتّضحَ لعينيك حقيقة ما ذكرته لك. خصوصاً وأنّ اللّه تعالى أورد حرف الجر ﴿ مِنَ ﴾ قبل ذكر هذه الكلمات الثلاثة لتفيد معنى بيان اختصاصات فصائل جيشه. ولذلك لا

تقاطعني بعد الآن ودعني أتدبّر هذه الآية الكريمة وستحصل على أجوبة جميع ما يعرض لك من سؤال.

فلنتدبّر الفقرة الأخيرة وهي قوله تعالى فيها ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ فالفاء للاستئناف وفعل ﴿يُوزَعُونَ﴾ اشتق من قولك: وزَعَ الجيش ومعناه حبس أوّلهم على آخرهم (محيط المحيط) وليصبح معنى قوله تعالى ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أنّ فصائل ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ قد اصطفّت بصورة نظاميّة وكأنها حُبست جميعها ليقوم الملك سليمان باستعراضها، وعلى شاكلة ما يستعرض الملوك والرؤساء في أيامنا هذه جيوشهم أيضاً.

دلالات الكلمات (جنّ، إنس والطير)

والآن وبعد أن فرغنا من تدبّر المعنى العام لهذه الآية الكريمة وبشكلٍ عام كان ينبغي علينا محاولة فهم دلالات هذه الكلمات الثلاثة (الجن، الإنس، الطّير) والتي كان قد تشكّل منها جيش سليمان الحكيم.

فأبدأ بكلمة (إنس)فقد كنت ذكرت من قبل وحسبما ورد في معجم (محيط المحيط) أن كلمة (إنس) تستعمل في مقابل كلمة (جنّ) ويقصد بها عوام الناس. وقد وردت هاتان الكلمتان هنا بنفس هذا الاستعمال. فعبّر اللّه تعالى بكلمة (إنس) عن كتائب الجند العاديّين المحاربين. وعبّر تعالى بكلمة (جنّ) عن الكتيبة المؤلّفة من أمراء القبائل

التابعة لحكم الملك سليمان. وأمّا الكتيبة الثالثة فكانت هي الكتيبة التي عبّر الله تعالى عنها في هذه الآية بقوله ﴿وَٱلطَّيْرِ﴾ علماً بأنّ الله تعالى أورد هذه الكلمات الثلاثة معرّفةً بالألف ولام العهد.

وتعال نتوسّع الآن يا عزيزي القارئ في بيان وتوضيح حقيقة كلّ ما يتعلّق بهذه الكلمات الثلاثة (إنس وجن وطير). فأنا قلت بما يتعلّق بكلمة (إنس) أنّها تشير إلى كتائب الجند العاديين لكون الجند في صفوف الجيش شأنهم شأن عامّة الرّعيّة في كلّ قطرٍ من أقطار الأرض. فهم يكونون مأمورون ولا يكونون آمرون ولذلك وصفهم الله تعالى في هذه الآية الكريمة بصفة (الإنس).

وأمّا كلمة (الجنّ) فقد كنت ذكرت بأنّ المقصود بها أمراء القبائل التي كانت خاضعةً للملك سليمان. فما هو السببُ الذي دفعني إلى قولي المذكور؟ أقول: لقد دفعني إلى ذلك دافعان: الأوّل هو المعنى الذي توصّلنا إليه في الحلقات الماضية وهو أنّ كلمة (جنّ) إذا وردت مقابل كلمة (إنس) فيشار بها إلى طبقة الزعماء والحكّام والأمراء لهيمنة هؤلاء على أتباعهم ومن اشتقاق جنّ الليل إذا أظلم وهيمنت ظلمته. والدافع الثاني الذي دفعني إلى ذلك هو ما نعرفه من المصادر التاريخيّة وهو أنّ الملوك تعارفوا قديماً على ضرورة أن يشتمل جيشهم على كتيبة مؤلّفة من الأمراء الفرسان ورؤساء القبائل التابعة لكلّ ملك منهم. وكانَ الغرض من ذلك إثبات تبعيّة أولئك الأمراء ورؤساء القبائل للملك الذي يحكم دولتهم. ولذلك كان هؤلاء يخضعون لتدريب

شاقّ وطويل ومتنوّع ليصبح هذا الأمير على أعلى مستويات الفروسيّة. وبما يشبه ما يسمّونه (القوّات الخاصّة) في هذا الزمان.

فهذا الذي ذكرته يشكّل حقيقة تاريخيّة يعلمُها كلّ مؤرّخ من المؤرّخين. وأحاول أن أضرب للقارئ الكريم أمثلة تاريخيّة تؤكّد ما ذكرته له آنفا.

فإن هو طالع تاريخ (وليم) إمبراطور ألمانيا. أو تاريخ (نابليون بونابرت) في فرنسا والملقّب (أكبر) وهو من مشاهير ملوك الهند. وتاريخ (جنكيز خان). فهؤلاء الذين ذكرتهم اشتهروا جميعهم بضمّ كتيبة النبلاء المذكورة إلى كتائب جيوشهم. تلك الكتيبة التي وصفها اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة بصفة (جنّ) للأسباب التي أتينا على ذكرها من قبل. وعلى هذه الصورة أكون يا عزيزي القارئ قد ألقيت من أجلك الضّوء على هاتين الكلمتين (إنس وجنّ) الواردتين في هذه الآية الكريمة.

وأتناول الآن الكلام عن كلمة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ التي تعجّلت من قبل وسألتني عن حقيقة دلالتها فأقول: أرجو من عزيزي القارئ أن يستعيد في ذهنه بادئ ذي بدء معاني كلمة (طير)التي أوردناها سابقاً وخاصّةً منها دلالة كلمة (طير) على دماغ الإنسان الذي يملك مخيّلةً تُعينه على التّحليق بفكره في مختلف الأجواء وبدون أجنحة. وما دامت كلمة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ قد وردت هنا معرّفةً بالألف واللام فيكون المقصود من هذه الكلمة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾ كتيبةً عسكريّةً ثالثة من أصحاب الأدمغة وهم رجال

الاختصاص الفنّي والمؤلّفة من مختلف الاختصاصات التي يحتاجها الجيش حين تصدّيه للعدوّ وتتعلّق بتجهيزات الجيش واستخباراته وغيرها من الأمور. هذا وإنّ اشتمال الجيوش الحديثة المعاصرة على كتيبة الطير المشار إليها أصبح من أهمّ الضروريات.

فلماذا أخذت أنا بهذا المعنى الذي أوردته لكلمة (الطير) في هذا المقام؟ أقدمت على ذلك بسبب أني أثبت من قبل أنّ قوله ﴿ مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ لا يعني لغة الطيور. بل يعني تعلّم علم المنطق. وهي حقيقةٌ باتت تشكّل قرينةً لغويّة بين أيدينا فتحول بيننا وبين الأخذ بالمعنى الحقيقي لكلمة (طير) الذي هو المخلوق ذو الأجنحة والمعروف. فإن نحن تجاهلنا هنا هذه القرينة المشار إليها لا نعود نملك القدرة على الأخذ بما أقدمنا عليه من معنى. ذلك أنّه إن وُجدت كتيبة من الطيور في جيش الملك سليمان فمن هو الذي سيتخاطب مع كل طير منها إلا سليمان نفسه؟؟

فعظمة هذه الصّياغة البلاغية القرآنية المعجزة تنبع من كون أنّ الله عز وجلّ قد عبّر عن جميع هذه الدّلالات التي توصّلنا إليها من خلال آية قرآنية واحدة لم يتجاوز عدد كلماتها سبع كلمات من جهة، كما تبادر منها من المعاني غير المعاني المقصودة بها وهذا إعجازٌ ما بعده إعجاز.

وبعد أن توصّلنا إلى دلالة هذه الآية الكريمة وفق منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره تنتفي من ذهن هذا القارئ الكريم تلك

الخرافات التي ألصقوها بهذه الآية الكريمة تلك الخرافات التي خالفت المعطيات التاريخيّة وخالفت المعقول وأخلّت بمقام هذا القرآن العظيم. فإن سلّم هذا القارئ معي بهذه الدّلالات التي توصّلنا إليها تتوق نفسه للإطلاع على ما جرى بعد استعراض الملك سليمان لجيشه هذا المؤلّف من تلك الفصائل الثلاث المذكورة ومن بعد زحفه بقيادة الملك سليمان نحو مملكة اليمن التي كانت تحكمها الملكة بلقيس في زمنه وأيّام حكمه.

كلمة ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ وحقيقة دلالتها

وننتقل يا عزيزي القارئ لنتدبّر الآية التي بعد الآية الآنفة الذكر والتي اشتملت على كلمة ﴿ نَمْلَةٌ ﴾. فلقد قال الله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

فهذه الآية الكريمة المصاغة صياغة بلاغيّة معجزةً تبادر منها لأذهان المفسرين القدماء ما ليس فيها وقد نسجوا حول ما فهموه منها الأعاجيب. ففي تفسير ابن كثير كتب يقول في تفسير هذه الآية الكريمة: (ولكنّ الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور في الهواء وما تنطق به الحيوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى

﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي مما يحتاج إليه الملك ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ أي الظاهر البيّن للّه علينا. قال الإمام أحمد حدّثنا قتيبة... عن أبي هريرة(رض) أنّ رسول اللّه (ص) قال:

(كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ـ قال ـ فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطلع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار. فقالت لمن في البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ واللّه لنفتضحنّ بداود. فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذي لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب. فقال داود أنت إذا واللّه ملك الموت مرحباً بأمر اللّه. فتزمّل داود حتى قُبضت نفسه حتى إذا فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير: أظلّي داود. فظللت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض. فقال لها سليمان: اقبضي جناحا جناحاً...

وقوله تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ أي وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعني ركب فيهم في أبّهة وعظمة كبيرة في الإنس وكانوا هم الذين يلونه. والجن وهم بعدهم في المنزلة. والطير ومنزلتها فوق رأسه فإن كان حرٌّ أظلّته منه بأجنحتها).

وكتب يقول: (أورد ابن عساكر من طريق اسحق بن بشر عن سعيد بن قتادة عن الحسن أنّ اسم هذه النّملة حرس وأنّها من قبيلة يُقال

لهم بنوا الشيصان وأنّها كانت عرجاء وكانت بقدر الذئب. أي خافت على النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم. ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾ . .

فهذا أنموذج واحد ممّا فهمه المفسّرون القدماء من هذه الآيات المتعلّقة بالنبيّ سليمان عليه السلام. وقد وضّحت لك يا عزيزي القارئ حتى الآن ما فهموه خطأ وأحاول تدبّر هذه الآية أيضاً بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وقبل أن أبدأ بتدبّرها أرى أن ألفت نظر عزيزي القارئ إلى أمرين هامّين:

فالأمر الأول: لنفرض أنّ سليمان تعلّم نطق الطّير وعلى حسب ما ذهب إليه المفسّرون القدماء فالنّمل كما هو معروف لا يعدّ طيراً، بل هو دبيبة تدبّ على الأرض.

والأمر الثاني: هو أنّه من الثابت علمياً وتشريحياً أنّ حنجرة النّمل تخلو من الحبال الصّوتيّة لذلك لا تصوّت بشكل من الأشكال وهذه الحقيقة هي التي دعت العرب ليقولوا بحقّ النّملً (دبيب النّمل) فإن راجع القارئ جميع كتب التّراث اللّغوي فلا يعثر فيها على اسم لصوت النّمل حيث يقال عن صوت العصفور زغردة العصافير أمّا النّملً فيقال عنه دبيب النّمل. وبعد أن نبّهتك إلى هذين الأمرين سالفي الذكر تعود تسألني: ما المقصد الذي ترمي إليه من وراء إطلاعي على هذين الأمرين سالفي الذّكر؟

فأجيبك وأقول: يا عزيزي القارئ حين تفهم من كلمة ﴿ٱلنَّمۡلِ﴾ الواردة في هذه الآية الكريمة تلك الدّبيبة المعروفة باسم النّمل، فإنّك لا تملك دليلاً يؤكّد تعليم الله تعالى نبيّه سليمان نطق النّمل أو دبيبه. كما أنّك تخالف واقع هذه الدبيبة من حيث أنّه لا يوجد لها حبالٌ صوتية لتصوّت بها. وعليه أكون قد نبّهت ذهنك من أوّل خطوة إلى أنّه يستحيل أن يكون المقصود من كلمة ﴿ٱلنَّمۡلِ﴾ في هذا المقام تلك الدبيبة المعروفة وهذه الحقيقة تشكّل قرينةً لغويّةً تحول دوننا ودون الأخذ بالمعنى الظّاهري المعروف لهذه الكلمة في هذا المقام. ذلك أننا نحاول تأويل هذه الكلمة أو نتناولها بمعناها المجازيّ وقبل أن أدلّك يا عزيزي على المطلوب من كلمة (نمل) و (نملة) أرى أن أقتبس لك ما فهمه العلاّمة الفخر الرّازي رحمه الله تعالى من هاتين الكلمتين والموثّق في تفسيره الكبير المؤلف من (32) مجلّداً والذي يعدّ من أهم المراجع التفسيريّة في المجتمعات الإسلامية.

فالفخر الرازي رحمه الله كتب يقول في تفسيره الكبير: (أمّا قوله تعالى ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ فالمعنى أنّها تكلّمت بذلك وهذا غير مُستبعد فإنّ الله تعالى قادر على أن يخلق فيها العقلَ والنّطق... أمّا قوله تعالى ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ فاعلم أنّ النّملة لمّا قاربت حدّ العقل لا جرم ذُكرت بما يُذكر به العقلاء.. أنّ النّملة قالت ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ كأنّها عرفت أنّ النّبي معصوم فلا يقع منه قتل هذه الحيوانات إلاّ على سبيل السّهو وهذا تنبيهٌ عظيمٌ على وجوب الجزم بعصمة الأنبياء عليهم السلام.. أمّا قوله تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ يعني تبسّم

شارعاً في الضّحك . . لأمرين : أحدهما إعجابه بما دلّ من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التّقوى وذلك قولها ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ والثاني سروره بما آتاه الله ممّا لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النّملة وإحاطته بمعناه . . .) .

وهكذا يتبيّن لك يا عزيزي القارئ من خلال ما اقتبسته لك من تفسيريّ هذين العالمين المذكورين أنّهما اعتقدا بأنّ الله عز وجلّ قد تكلّم في هذه الآيات الكريمة عن نملٍ حقيقيٍ وليس عن شيء آخر فلم يخطر ببالهما تدبّر هذه الآيات الكريمة من منطلق أنّ النّمل لا ينطق بصوت معيّنٍ لكي يفهم سامعه معناه ، وأنّ جميع المخلوقات ما عدا الإنسان قد خلقها ربّها عز وجلّ غريزيّة تتحرك بدافع كيانها الغريزيّ وتختلف عن الإنسان العاقل الذي خلقه ربّه حرّ الإرادة والتفكير وتقرير المصير . وأنّ الإنسان وبقيّة مخلوقات الله تعالى قد أخضعها ربّنا جلّ شأنه لقوانين التّطور الخاضعة لربوبيّته وهذه القوانين سُننٌ من سُنن الكون والله يقول : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلاً ﴾ فهو جلّ شأنه قد جزم في قوله هذا وفي وقت يقول فيه عن نفسه أنّه فعّالٌ لما يريد أي أنّ قدرته لا تتنافى مع وجود هذه القوانين الطبيعيّة المسنونة من قبله عز وجلّ فكيف يصحّ قول الفخر الرازي رحمه الله والحال هذه (إن الله تعالى قادر على أن يخلق في النمل الغريزيّ العقل والنطق؟) فهل يريد هذا من ربّه أن يتناقض فعله مع أقواله؟

ثمّ إنّه لم يثبت علمياً ولا تاريخياً بأن وُجدت نملةٌ بحجم الذّئب حتى يصّح ادّعاء المفسّر ابن كثير رحمه الله؟

وعندما تُحاكم في عقلك يا عزيزي ما سمعته منّي بشأن النّمل يعود إلى ذاكرتك بأنّك كلّما مررت بجانب كثيرٍ من النّمل، فلا تشعر بأنّهم يحسبون لك حساباً ولا يخافون أن تدوسهم بقدميك وأنك إن دستهم وقتلت بعضهم فلا يرعبهم ذلك بل يداومون على الدبيب من فوق جثث موتاهم ولا يحوّلون اتّجاه سيرهم هناك فهذه حقيقة تتلمسها أنت يا عزيزي ويتلمّسها كل إنسان يعيش على سطح هذه الأرض وفي منطقتنا بالذّات التي كان الملك سليمان أحد ملوكها فكيف يُعقل أن يكون النّمل قبل عدّة آلاف من السنوات زمن الملك سليمان كان يختلف عن النّمل في زماننا هذا؟

ولربّما تزداد يقينا بصحّة هذه الحقيقة التي أطلعتك عليها وتعاني منها يومياً فتزداد بالتالي يقيناً بخطأ فهم العلاّمة الفخر الرازي والعلاّمة ابن كثير العائد لمضمون هاتين الآيتين المذكورتين، وتسارع لتسألني بلهفة عن المعنى الحقيقي الذي توصّلت إليه من خلال قول اللّه تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ وقبل أن أتدبّر من أجلك هذه الآية الكريمة ألفت نظرك إلى الأمور التالية: **الأول**: أنّه ورد في معجم (محيط المحيط): أنّ النمل اسم جنس لهذه الدبيبة كثيرة الحركة قليلة الأرجل فواحدة النمل تسمى(نملة)

وتطلق على الذّكر والأنثى وتجمع على (نمال) فتقول للمفرد من النمل (نملة) ولم يورد الله تعالى في هذه الآية الكريمة الجمع (نمال) فهل يعقل أن يكون خطاب نملةٌ المذكورة في هذه الآية موجهاً إلى جنس النمل كلّه؟

والأمر الثاني: الذي ينبغي أن تنتبه إليه هو أنّ كلمة ﴿ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ جمع كلمة (مسكن) والمسكن يستعمل للعاقل خاصّةً أما النمل فلا تستعمل له كلمة (مسكن) بل يتّخذ تحت الأرض سراديب والأمر الثالث: الذي ينبغي أن تأخذه بعين اعتبارك هو أنّ قوله تعالى لا يحطمنّكم هو فعل اشتق من قولك حطمه ومعناه كسره ويختصّ باليابس من الأشياء ولا يختصّ بالأشياء التي تنبض بالحياة كالنّمل وغيره من الدّبائب والحشرات. ويستعمل هذا الفعل مجازاً للتعبير به عن هزيمة الخصم.

فتقول: لقد تحارب الجيشان فحطم أحدهما الآخر. لذلك تُطلق كلمة (حطام) على (الهشيم) الذي يتبقّى بعد الحطم والتكسير.

فإن أنت أخذت هذه النّواحي المذكورة التي لفتّ نظرك إليها آنفا بعين اعتبارك تعود تنفي وترفض بشكلٍ مطلق أن يكون الله عز وجلّ قد تكلّم في الآيتين المذكورتين عن النملِ وعنّ جنسه، وتكون بالتالي مستعدّاً استعداداً كاملاً لسماع المعنى الحقيقي لهذه الآية الكريمة.

أقول: تذكّر يا عزيزي القارئ بأنّك عربي المولد وأنّ العرب حين قطنوا منذ القديم شبه جزيرة العرب وبعيداً عن مواطن التّمدن،

اشتهروا بتسمية أنفسهم بأسماء الكائنات الحيّة التي جاورتهم فقيل: بنو حمير وبنو غزال وبنو عنز وبنو نمل وغيرها من الأسماء. فلمّا هاجر العرب واستقرّوا وتحضّروا، اشتهر الذين عملوا بزراعة الأرض بأسماء منتوجاتها فقيل: بنو باذنجان وبنو بقدونس وبنو كوسا وغيرها من الأسماء واشتهر الذين عملوا في الصّناعات ببني الدّباغ وببني الصّباغ وبني السّلاخ وغيرها من الأسماء واشتهر الذين عملوا في سلك الدولة بأسماء الوظائف التي كلّفوا بها كعائلتنا من بني الجابي الذين كانوا يجبون أموال بيت المال كما هو ثابت تاريخياً.

فإن أنت تذكّرت هذه الحقائق فلا تعود تستغرب إذا قلت لك بأنّ الله عز وجلّ قد تكلّم في الآيتين المذكورتين عن قبيلة كانت كثيرة العدد لذلك سمّوا باسم النّمل لكثرتهم وأنّهم كانوا يقطنونَ الوادي المشار إليه باسمهم ﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ أمّا أين يقع هذا الوادي من الوجهة الجغرافية؟ فقد ورد في معجم (تاج العروس) المشهور أنّ وادي النّمل يقع جنوبي بلاد الشام ما بين جبرين وعسقلان وقد ورد في تاريخ (معجم البلدان) المجلّد السادس منه أنّ مدينة عسقلان تقع على ساحل البحر على بعد (12) ميل من غزّة وكمثلها مدينة جبرين. كما ورد في معجم القاموس بجانب كلمة (البرق) أن (نبع أبرقة) كان مشهورا كأحد ينابيع قوم النملّة وذلك في المجلد الثالث وما دام زحف جيش سليمان قد توجه من فلسطين باتجاه اليمن. فوادي اليمن المشار إليه في هاتين الآيتين يقع على طريقه إليها.

و هكذا تدرك يا عزيزي القارئ بأن الله عز وجلّ لم يتكلم هنا عن دبيبة (النمّل) المعروف. بل تكلم عن قبيلة وادي النمّل التي كانت تحكمهم ملكة عظيمة وبسبب عظمتها سميت ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ في الآيتين المذكورتين. علماً بأنّ التنّوين لكلمة من الكلمات يقصد به في العربيّة إظهار عظمة المتكلّم عنه. وهذه الملكة سميت باسم ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ نسبة إلى قومها بنوا النمّل. وما يزال في اليمن بطون من قوم النمّل حتى الآن وأنا قرأت يوما اسم العميد محمد النمّلة في صحيفة يمنية.

فلما أفاجئك يا عزيزي بهذا المعنى سالف الذكر تتوق نفسك لمعرفة معاني بقية الآية وهو: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ وسأستجيب لطلبك في الحلقة القادمة.

وألخّص لك يا عزيزي القارئ ما بيّنته لك في هذه الحلقة الحادية عشرة فأقول: لقد نقضت لك يا عزيزي القارئ المفهوم الخرافي الذي أتى به المفسّرون القدماء تفسيرا لقول اللّه تعالى ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ وبيّنت لك المعنى الحقيقي لهذه الآية الكريمة والذي توصّلنا إليه بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره المعنى الذي أظهر عظمة الصياغة البلاغيّة المعجزة التي صيغت بها هذه الآية الكريمة والتي يتبادر منها لذهن قارئها معنى غير مقصود. وفي القسم الأخير من هذه الحلقة شرحت لك المعنى المقصود من كلمة ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ الوارد في الآية التي بعدها وأيّدت ذلك بأدلّة تاريخيّة تثبت مصداقيّة ذلك المعنى.

الحلقة الثانية عشرة

أظنّك عُدت تعرف يا عزيزي القارئ أنّ كلمة ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ الواردة ضمن قول اللّه تعالى ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ لم يكن المقصود منها النملة المعروفة ولكن أريد منها ملكة قبيلة النمل التي كانت تقطن وادياً على حدود اليمن.

﴿ نَمْلَةٌ ﴾ ملكة ونظام حكمها ملكيّ دستوري

فعلى أساس من هذا الفهم أقول: ينبغي لك يا عزيزي القارئ وأنت تقرأ هذا الخطاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ ﴾ أن يذكّرك يا عزيزي بتلك الأيّام التي قدم محمّد رسول اللّه (ص) من المدينة المنورة على رأس عشرة آلاف من صحابته لفتح مكّة فقد خاطب مناديه أهلها بنفس الخطاب بعد دخوله وقال: من دخل الكعبة فهو آمن ومن دخل بيته فهو آمن ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ومن احتمى براية بلال الحبشّي فهو آمن. فما هي دلالة هذين الخطابين المذكورين: خطاب ﴿ نَمْلَةٌ ﴾ وخطاب ممثّل رسول الله (ص)؟ فاعلم أنّ الخطاب المذكور لم ينادي به مندوب رسول اللّه عبثاً أو بدعةً ولكن نادى به التزاماً بأحد قوانين الحرب المتعارف عليها قديماً بين القبائل والشعوب أيام كان القتال يحدث بالسيف والنبال. فالمحارب الذي كان لا يريد

محاربة الجيش الفاتح ويريد الوقوف موقف المسالم منه كان يدخل مسكنه ليثبت له أنه لا يبغي مقاومته.

وعليه يبدو من خطاب ملكة قبيلة النمل المشار إليها في هذه الآية الكريمة أنه كان بينها وبين ملكة اليمن بلقيس معاهدة صداقة ودفاع مشترك لصد الغزاة عنهما. فإن هي سمحت لجيش الملك سليمان المرور من مملكتها فإنها تنقض بذلك المعاهدة الموقع عليها بين هاتين المملكتين لذلك تساءلت في نفسها عما ينبغي أن تتخذه من قرار. وبما أن نظام مملكتها كان نظاما ملكيا دستوريا فقد عرضت الأمر على مجلسها الاستشاري لأخذ الرأي ولاتخاذ القرار. وخشية محاسبتها على نقضها لبنود معاهدة الدفاع المشترك بين مملكتها ومملكة الملكة بلقيس.

فهذه هي الحقيقة التي ينبغي على القارئ الكريم أن يتذكرها هنا من خلال خطاب ملكة وادي النمل وهو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ أي أن ذاك المجلس قد أشار على الملكة بأن ما يحدث آنذاك كان يتنافى وروح معاهدة الدفاع المشار إليها والمعقودة بين ملكة النمل وملكة سبأ. ولذلك كان لا ينبغي الوقوف في وجه جيش الملك سليمان ومقاومته بل كان ينبغي السماح له بالمرور. ولذلك عمدت ملكة النمل إلى تطبيق القانون الدولي المتعامل عليه في تلك الظروف وأمرت أفراد قومها وقالت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ إشعارا للملك سليمان بأن مملكة وادي النمل تسمح له ولجيشه بالمرور من أراضيها. فهذه هي دلالات كلمات هذا الخطاب الذي تضمنته هذه الفقرة من هذه الآية.

وتلاحظ يا عزيزي القارئ بأنّ المنادية لم تقتصر على المقصود ممّا ذكرته بل وأضافت إليه حيثيّات قرارها هذا وقالت ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فما هو مضمون هذه الكلمات؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي علينا أن نفهم كلماته على ضوء معطيات معاجم اللّغة العربيّة.

فقد كنت قد نبّهت سابقاً إلى أنّ فعل ﴿ يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ الوارد في هذه الآية الكريمة لم يستعمل هنا بمعناه الحقيقيّ بل استعمل بمعناه المجازيّ فقد اشتقّ الفعل من قولك حطمت الأخشاب بمعنى هشّمتها. أي أنّ هذا الفعل يختصّ بالأشياء اليابسة وليس بالأشياء التي تنبض بالحياة كالنمل المعروف. وعليه فإنّ قول المنادي ﴿ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يعني أنّه يحذّر قومه من الهزيمة إن هم تصدّوا لهذا الجيش العرمرم الذي لا قِبلَ لهم به. فإن هم حاولوا الوقوف في وجه هذا الجيش وقاتلوه فإنّه سيهزمهم لا محالة ولا يشعر جيش سليمان في تلك الحال أنّهم خاضوا معركةً قتاليّة.

فقد ورد في معجم (محيط المحيط): تقول شعر به ومعناه أحسّ به وعَقَله وفطن له. وفي سورة البقرة قال اللّه تعالى: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أي أنّهم لا يحسّون خداعهم لأنفسهم. وورد في التعريفات: وتارةً يعبّر بالشعور عن اللّمس ومنه استعملت المشاعر. ولما كان اللّمس أعمّ من حسّ السمّع والبصر قيل فلان لا يشعر أبلغ من قولك أي لا يسمع ولا يبصر.

وعلى هذه الصورة يكون الله عز وجل قد أفادك يا عزيزي القارئ بهذه المعلومات التاريخيّة من خلال آية واحدة مصاغة صياغةً بلاغيةً معجزة يتبادر فيها للذهن غير المضمون الذي حملته وفي وقت لم يتجاوز عدد كلمات هذه الآية الكريمة ثلاث عشرة كلمة فقط فهذا إعجاز ما بعده من إعجاز وإلا فإن أنت أخذت بالمعاني الموروثة الواردة في التفاسير القديمة فإنك تسبح في عالم من الخرافات المخالفة للقوانين الطبيعيّة التي استنّها الله القادر على كلّ شيء والقائل ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ والمخالف لتاريخ هذه الدبيبة (جنس النمّل) والمخالف لجميع المعقول أيضاً. فهل ترضى لنفسك ذلك العار؟ وعلى كلّ حال فأنت حرّ يا قارئي العزيز أن تفضّل أحد هذين المعنيين: القديم أو الجديد الذي شرحته لك. فإن أنت أخذت بالمعنى القديم فلا تعدّ كافراً؛ بل تعدّ في نظر الباحثين والعقلاء مسلماً مقلداً وحسب. أما إذا أخذت بهذا المعنى الجديد تكون قد أثبتّ بأنّ هذا القرآن المجيد صالح لكلّ زمان ومكان ومعجز أيضا للإنس والجانّ فها أن أحداً من الزعماء أو من عامّة الشّعب لم يستطيع فهم مضمون هذه الآية الكريمة وفي وقت كان ربّنا عزّ وجلّ قد صاغها بلسان عربيّ مبين وأعجز بذلك ومن خلال صياغتها البيانيّة هذه جميع الجنّ والإنس.

وبألفاظ أخرى فإنّ اللّه تعالى حين قال ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ يكون تعالى قد وضّح للقارئ الأمور التالية:

أولاً. أنّ نظام الحكم في مملكة قبيلة النمل المذكورة كان نظاماً ملكيّا دستوريا ويقوم على مبدأ الشورى وإشارة إلى وجود حضارة في تلك المنطقة من العالم في تلك الأيّام.

ثانياً. وأنّ حُكّام مملكة قبيلة النمل المذكورة كانوا ملتزمين بالقوانين والمعاهدات الدّولية وعلى حسب حال الأنظمة السياسيّة في زماننا الحاضر.

ثالثا. ولإظهار أن جيش مملكة قبيلة النمل لم يكن على مستوى تسليح وإعداد أفراد جيش سليمان عليه السلام وقد ورد ذلك كله مصاغاً بصياغة بلاغيّة معجزة.

أمّا إذا فهم القارئ العزيز مضامين هذه الآية الكريمة بمنظار مفاهيم التفاسير القديمة؛ فبدلاً من أن نرى إعجازها على الصورة التي ذكرناها؛ فإنّ هذه الآية ستبدو وكأنّها وردت مصاغةً بلسان الجاحظ أو على لسان الحيوان؛ ومجسّمةً للخرافة وبعيداً عن المعقول وعن معطيات التاريخ ومعطيات العلم الحديث. وإنّنا وبهذا الفهم الجديد للآية سالفة الذكر؛ نعود نستطيع أن نفهم المقصود من الفقرة الأولى من الآية التي وردت بعدها وهو قوله تعالى بحق سليمان عليه السلام: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾. فما هي دلالته؟

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ ودلالته

إذا أردنا أن نعلم دلالة قول اللّه تعالى ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن

قَوْلِهَا﴾ نرجع إلى ما ورد في المعجم. فقد ورد: تقول تبسّم وابتسم بمعنى / بسم/ هذه الكلمة التي تعني ضحك أحسن الضحك فلم يضحك بملء شدقيه (محيط المحيط) ثمّ إنّ ثغر الإنسان معناه مقدّم فمه أو مقدّم أسنانه.

وعليه يكون المراد أنّ سليمان عليه السلام سّره أن يهابه قوم لم يتعامل معه من قبل وسمح له بالمرور من هذا الوادي الذي كان يقطن فيه هذا القوم ويحدث هذا من دون الدّخول مع حكّام هذا الوادي في مفاوضات وكما هو معتاد في مثل هذه المناسبات. ولقد استدلّ الملك سليمان من ذلك الحدث على أن سمعته الطّيبة سبقته من قبل إلى أهل وادي النمّل وترك جيشه القوي أثره على ما حدث فكان ذلك مدعاةً لشكر الملك سليمان ربّه على ما أنعم عليه من نعماء كبيرة. ومن خلال هذا الفهم نكون قد أدركنا بأنّ الملك سليمان لم يبتسم لخوف النمل منه بل ابتسم ابتسامة شكر على موقف ملكة وادي النمل

(هدهد) الملك سليمان وحقيقته

وانتقل الآن لبيان المعنى الحقيقي الذي توصلت إليه والمتعلّق بقول الله تعالى بعد ذلك ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

فنحن فهمنا حتى اللحظة أن سليمان وجيشه قد سمح لهم النظّام

القائم في وادي النمّل بالمرور من واديهم. فقطعوه وتجاوزوه وأشرفوا على أراضي مملكة اليمن التي كانت تحكمها الملكة بلقيس وعسكروا هناك قريباً من نبع ماء للشرب ولقضاء بقيّة الحاجات التي يحتاجها كلّ جيش أو ركبان يعسكرون قديماً بجانب نبع ماء.

فلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ الله تعالى أورد (الواو) العاطفة في مستهل هذه الآية الكريمة وأدخلها على الفعل الماضي ﴿ تَفَقَّدَ ﴾ ولتفيد الواو معنى الحال إضافة إلى معنى العطف. ولإشعارنا بأنّ حال سليمان تبدّل من حال الانتقال والسفر إلى حال الاستقرار والاستعداد لتحقيق ما قطع كلّ تلك المسافة لتحقيقه.

لذلك كان من واجبنا هنا أن نتساءل عن أوّل خطوة ارتأى الملك سليمان أن يخطوها بعد أن حطّ رحاله؟ ولقد عبّر الله تعالى عن هذه الخطوة الأولى وقال ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ وبما أنيّ كنت بيّنت للقارئ بأنّ الله عزّ وجلّ قد استعمل كلمة الطّير استعارةً ومعبرا بها عن كتيبة الفنيّين في جيش سليمان. فيعود معنى ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ ﴾ أنّ الملك سليمان وبعد أن حطّ رحاله أراد تفقّد عناصر جيشه. فتوجّه لتفقد أفراد كتيبة الفنيّين خاصّةً لعلاقتهم بما سيقدم عليه الملك سليمان من خطوة هناك حيث خط الرحال علما بأنّ أفراد الكتيبة الفنية قديماً كانوا يختلفون عن أفراد الكتائب الفنّية المعاصرة من حيث مستوى الاختصاصات ومستوى التدريبات. بسبب ما حدث من متغيرات على صعيد الأسلحة وعلى صعيد بناء الجسور والقيام بالاستخبارات وغيرها

من المهمّات. وعليه فإنّ الكتيبة الفنّية التي أشير إليها في هذه الآية الكريمة كانت تتألّف ممّا كان يحتاجه الملك سليمان في رحلته إلى اليمن من محاولة الاجتماع بملكتها والحوار معها في الأمور الدينية. فكانت هذه الكتيبة تضمّ رجال استخبارات ونجارين مرموقين وأطباء وممرضين ومهندسين قديرين وما يلحق ذلك من مواد ومتاع ليس إلا. فهذا كلّ ما كان يحتاجه سليمان في سفره ذاك إلى مملكة اليمن لتحقيق المقصد المتوخّى منه. وانطلاقاً ممّا ذكرناه نحاول أن نتدبّر قول اللّه تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾

فقد دلّنا المعجم على أنّ فعل ﴿تَفَقَّدَ﴾ معناه طلب من لم يكن حاضراً بين يديه من الأخصائيين الفنيين المرافقين له في جيشه (محيط المحيط) وهذا التّفقد على شاكلة ما يجري في صوف المدارس فلكلّ صفّ دفتر تفقّد لتفقّد الحاضرين من الغائبين من التلاميذ صباحاً. وعليه فمعنى ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ أي قام سليمان بتفقّد من كان حاضراً من مرافقيه من الأخصائيين الفنّيين المطلوب تكليف أحدهم بمهمّة خاصّة.

﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ ها أنّ اللّه تعالى أورد كلمة ﴿ٱلْغَآئِبِينَ﴾ تأكيداً من جانبه إلى أنّ الملك سليمان قام بتفقّد الأخصّائيين المطلوبين من طرفه. وزاد تأكيداً لهذا المعنى قوله ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾؟ أي أنّ ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ وكان أحد أفراد كتيبة الفنّيين وتبيّن للملك سليمان أنّ هذا الهدهد كان غائباً وغير مصطفٍّ في المكان المخصّص له. وهنا أورد اللّه تعالى حرف

﴿ أَمْ ﴾ الذي يستعمل للسؤال ولا يتطلّب جوابه أكثر من كلمتين: (نعم) أو (لا) معجم (محيط المحيط) وليشير بذلك إلى أنّ المطلوب من رئيس كتيبة الفنّيين أن يجيب على استفسار الملك سليمان ويقول: سيّدي نعم إنّه غائب ولا ندري أين ذهب. وبهذه الدّقة في انتقاء الأحرف والكلمات والأفعال أعطت هذه الآية الكريمة المعاني التي أوردناها آنفاً.

فلما أصل بك يا عزيزي القارئ إلى هذا الحدّ من البيان تندفع لتسألني: ومن كان هذا ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ الوارد ذكره في هذه الآية الكريمة أكان طيراً أم كان إنساناً؟؟

ولم يترك الله عز وجلّ هذا القارئ المتدبّر حيراناً بل أورد اللّه جلّ شأنه آيةً جديدةً تساعد هذا القارئ على الإجابة من نفسه على سؤاله المذكور وقال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾.

ونحاول بادئ ذي بدئ الإحاطة بدلالات الأحرف والكلمات والأفعال الواردة في هذه الآية الكريمة. فاللام من قوله ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ ﴾ هي المسماة اللام الفارقة وهي لام الابتداء لدخولها على الخبر (أعذّبنّه) هذا الفعل المشتقّ من قولك عذّبه ومعناه أوقع به العذاب. ثمّ إنّ كلمة ﴿ عَذَابًا ﴾ مشتقّة من كلمة العذاب التي تعني العقوبة والنّكال وقيل سمي بذلك لأن صاحبه يُحبس ويمنع عنه ما يلائم الجسد من الخير ويُهال عليه ضدّه، وكلّ ما شقّ على الإنسان ومنعه عن مراده. وفي

عذاب في القرآن فهو التّعذيب. وبما أنّ اللّه تعالى أورد كلمة ﴿ عَذَابًا ﴾ ومنوّنةً على آخرها فللإشارة إلى أنّ هذا العذاب الذي توعد به الملك سليمان هذا ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ سيكون عذاباً شديداً وقوي الوقع على الهدهد المتغيّب بدون إذن منه. ثمّ أتى اللّه تعالى بحرف ﴿ أَوْ ﴾ ليفيد معنى الشك والتردد وعدم الاستعجال في اتخاذ القرار وأضاف الملك سليمان على توعّده المشار إليه وقال ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾.

فكلمة (سلطان) تعني هنا الحجّة ومبرر الغياب. وأن يكون هذا المبرّر ﴿ مُّبِينٍ ﴾ أي واضح الدلالة. وكأن سليمان قد قال لا أقبل من الهدهد عذراً واهياً لا يستحق معه غيابه عند الضرورة.

فهذه هي دلالات هذا الشطر من هذه الآية الكريمة. فهل أدركت يا عزيزي القارئ من خلال هذه البيّنات من كان هوهذا ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ أفلم تلاحظ هذه الجملة ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾؟؟ وهل تستعمل هذه الجملة للطير أم أنّها تستعمل بحقّ إنسان؟؟ فالطير لا يستعمل له هذا التّعبير. وكيف بالامكان تعذيب الطير ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾؟

وعليه فلا بدّ أن كان هذا الهدهد إنسانا واسمه (هُدهد) وحينئذ وفي حال غيابه يجوز أن يقول الملك سليمان بحقّه ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ وعلى قدر تفريطه في واجبه الملقى على عاتقه.

والحقيقة هي أنّ العرب كانوا يتسمّون بأسماء وحوش البرية من حولهم فيقال بنو حمير وبنو النملة وبنو عنز. كذلك كانوا يسمون

أبناءهم بأسماء الطيور المعروفة في مناطق سكناهم فيقولون هذا صقر وهذا ضرغام وهذا هدهد وغيرها من الأسماء. فكلمة (هُدهد) الواردة في هذه الآية الكريمة هي اسم ذاتي للرجل الأخصائي الفني المتغيّب عن مكانه في كتيبة الأخصائيين في جيش الملك سليمان ومن دون استئذانه واستئذان رئيسه.

ألا إنّ من عظمة هذه الصياغة البلاغية لهذه الآية الكريمة أن الله تعالى أورد فيها هاتين الكلمتين ﴿ ٱلطَّيۡرَ﴾ و﴿ ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ ليتبادر منهما غير ما أريد من معانيهما. وهذا وجه إعجاز في هذه الصياغة وهذا التعبير لا يستطيع الإتيان به أيّ أديب وعلى هذا المستوى من الإنشاء. ولذلك وضحت في مؤلفي (منهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره) أن من أصول تدبر آيات هذا القرآن العظيم ألا يتعجل الإنسان في أخذه لما يتبادر لذهنه من معنى، بل أن ينتظر ليوصله تدبره للآية إلى المعنى المكنون فيه. فالقرآن الكريم في كتاب مكنون ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾.

والآن وبعد أن أفصحت لك يا عزيزي القارئ عمّن كان (هُدهد) الملك سليمان عليه السلام فأحاول أن ألفت نظرك إلى الأدلة والقرائن التي يثبت من خلالها بأن هذا ﴿ ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾ كان رجلا ولم يكن طيرا بحال من الأحوال.

أدلّة تثبت كون ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ رجلاً

فاعلم يا عزيزي القارئ بأن بني إسرائيل اشتهروا بالتسمية باسم هدهد مما يثبت أن ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ الذي أوردته هذه الآية الكريمة كان أحد أولئك الأشخاص. فكلمة هدهد تعريب كلمة (هدَد) العبريّة. ومعلوم أن القرآن الكريم قد عرّب بعض الكلمات العبريّة. ومن تلك الكلمات المعرّبة (يسوع) فقد عرّبها إلى (عيسى) كذلك عرّب كلمة (موشه) إلى موسى وغيرها من الكلمات. فإن أنت راجعت سفر الملوك الأول إصحاح 11/ 14 تقرأ ما نصه: (وأقام الرب خصماً لسليمان هدَدَ الأدومي وكان من نسل الملك في أدوم. وورد في السفر نفسه الاصحاح 23/ 11 ما نصه(هدَدَ عزر ملك صوبة).

فمن المعلوم أنّ الناس يتسمّون بأسماء أشياء يحبّونها أو تُعجبهم أو تكون لها قداسة في أعينهم ولربما مال بعض أفراد بنو إسرائيل للأخذ ليسمّوا بعض أبنائهم باسم (هُدهد) لكثرة وجود هذا الطير في وادي الأردن، والذي كان مُلفتاً لأنظارهم هناك لجمال شكله وألوانه وأعود وبعد أن قدّمت لك تلك القرائن إلى تقديم الأدلة المطلوبة.

أولاً. إن اشتهار رجال من اليهود باسم (هدَدَ) المعرب إلى (هُدهد) يُعدّ وكما ذكرت قرينة دالّة على أنّ كلمة (هُدهد) الواردة في قصّة الملك سليمان أُريد بها اسم رجل ولم يكن المراد بها طائراً من الطيور المعروفة.

ثانياً. ثم إن طلب الملك سليمان ﴿ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ هو

طلب مَن يطلب من إنسان وأمّا الطير الغريزيّ فلا يطالب بتقديم (سلطان مبين) أي حجّة واضحة.

ثالثاً. ثم إنه لا يليق بنبيّ مثل الملك سليمان أن يفرض على طير غائب بدون إذن هذا العقاب الشديد ويقول ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ فعقوبة الغياب لا تتجاوز عقوبتها الإنذار أو التأنيب ـ لذلك لابد وأن يكون المقصود من قول سليمان ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ أنّ المتغيّب كان إنساناً وموظفاً كبيرا في جيش الملك سليمان ويقوم بمهمّات خاصّة بالملك سليمان نفسه ولم يكن طيراً من الطيور.

رابعاً. فإذا أضفنا إلى ذلك كله قول هذا ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ في الآية التي بعد الآية المذكورة قوله ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ فقد استعمل الله تعالى في هذا الشطر من هذه الآية لكلمة ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ بعد عودته من غيابه صيغة العاقل أ فلم تلاحظ يا عزيزي القارئ كيف عبّر الله تعالى بهذا الأسلوب وقال عن لسان هذا ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ ﴿فَقَالَ أَحَطتُ﴾ ولا يجيب بهذه الصيغة إن كان طيراً.

وعليه فإن ورود صيغة العاقل نسبةً إلى الهدهد هنا، يعد في حدّ ذاته دليلاً على أن المقصود من ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ رجل مخابرات ومختصّاً باستقصاء أحوال كلّ من كان غريباً عن بلاده ولم يكن المراد منه طيراً من الطيور.

خامساً. ثم إن هذه الأنباء التي أتى بها ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ والمشار إليها

فيما نقله من أخبار مملكة سبأ يستحيل أن يأتي بها طير من الطيور.
فالهدهد أخبر عن مملكة سبأ وقال:

أولا. ﴿ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ بمعنى أنّ نظام مملكة سبأ السياسيّ كان نظاما ملكياً دستوريّا.

ثانيا. وأخبر أنّه ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ بمعنى أنّ دولتها كانت مزدهرة ومتحضّرة.

ثالثاً. وأخبر هذا ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ عن أحوال ملكة سبأ وقال ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾. ولم يقل أنّ العرش كان كبيراً. وإنّ كلمة ﴿عَظِيمٌ﴾ تعني أنّه ذو قيمة ماديّة ومعنويّة ولا يدرك هذه الحقيقة طائر من الطيور.

رابعا. ونقل ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ للملك سليمان بشأن معتقدات أهل مملكة سبأ وقال ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ﴾ ومعنى هذا أنّ ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ كان يفرّق دينيّا ما بين شركٍ وتوحيد. وهذا التفريق يستحيل على طيرٍ تمييزه.

خامساً. كذلك كان هذا ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ يميّز ما بين العمل الصالح وما بين العمل الطالح ولذلك نقل هذا الواقع الذي كان عليه أهل اليمن وقال ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وغيرها من الأخبار.

ففكّر يا عزيزي القارئ هل يستسيغ عقلك أن يحيط طيرٌ بعلم هذه الأمور كلّها وفي وقتٍ نعلم فيه أنّه حيوان غريزيّ ومحروم من هبة العقل؟؟

وعلى هذه الصورة نكون قد أحطنا علماً بدلالات الآيات التي أوردناها والتي كان المفسرون القدماء رحمهم الله قد فهموا منها ما تبادر منها لأذهانهم خطأ ومن دون أن يتدبّروها بمنهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره. فالهدهد لم يكن طيراً من الطيور بل كان رجل مخابرات متمرّس وكان الملك سليمان يعتمد عليه لذلك انزعج عندما تفقّده فلم يجده بين حاشيته.

آراء المفسّرين القدماء بشأن الإتيان بالعرش

وانتقل من هذا كلّه لأخطو خطوة جديدة آمل من خلالها حلّ ما استعصى على المفسرين القدماء فهمه بشأن موضوع الإتيان بعرش بلقيس. فأبدأ بتدبّر قول الله تعالى على لسان نبيّه الملك سليمان ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾. فقد أشكل على المفسرين القدماء رحمهم الله وكما يتبين من تفاسيرهم أنّهم لم يُدركوا المعنى الحقيقي لقول الملك سليمان ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ فهم فهموا أنّ الملك سليمان طلب من حاشيته محاولة اختطاف عرش الملكة بلقيس

قبل أن يجتمع بـها . حتّى وأنّ المفسّرين القدماء تساءلوا عن الأسباب التي دفعت بالملك سليمان للإقدام على أن يطلب من حاشيته الطلب المذكور . بدليل أنّ العلامة الفخر الرازي رحمه اللّه حصر تلك الأسباب التي خمّنوها في أربعة أسباب وهي :

أولاً . زعموا بأنّ الملك سليمان شاء أن يثبت للملكة بلقيس من خلال اختطافه عرشها وإحضاره عنده صدق نبوّته وعظمة قدرة اللّه تعالى الذي أرسله وجعله نبيّاً .

ثانياً . وأنّ الملك سليمان أراد اختبار عقل مملكة سبأ من خلال تلك العمليّة المذكورة .

ثالثاً . ورووا عن قتادة (رض) أنه قال بأنّ الملك سليمان أراد الاستيلاء على عرش الملكة بلقيس وذلك قبل اجتماعه بها وقبل تقبّلها الإسلام ديناً إذ أنّها إذا أسلمت فلا يعود له حقّ الاستيلاء عليه .

رابعاً . كما زعم بعضهم أنّ الملك سليمان تشوّق لرؤية ذاك العرش وليتأمّل معالمه المدهشة لذلك أمر حاشيته باختطافه .

فتساءل معي يا قارئي العزيز هل صحّ ما فهمه المفسرون القدماء وما توهّموه بحقّ الطلب الذي طلبه الملك سليمان من حاشيته وقال ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾؟

وقبل أن ننتقل من هذه الحلقة الثانية عشرة لبيان حقيقة معنى هذه الآية المذكورة أرى أن أُلخّص لك يا عزيزي القارئ ما تضمّنته فأقول : لقد بيّنت لك يا عزيزي القارئ المعنى الحقيقي لقول ملكة قبيلة وادي

النمل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ خصوصاً وأنّه ورد في هذه الآية الكريمة قول الملكة ﴿ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ علماً بأنّ النمل الحقيقي لا يبني له مساكن بل يعيش في باطن الأرض. وإنّ المسكن لا يطلق إلاّ على ما يبنيه الإنسان لسكناه.

كذلك بيّنت لك يا عزيزي القارئ معنى قوله تعالى بحقّ الملك سليمان ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ فوضّحت أنّ الهدهد كان أحد أفراد كتيبة الأخصائيين الفنّيين التي كان قد تشكّل منها جيش الملك سليمان. وأنّ الهدهد كان رجلاً ولم يكن طيراً. فقدّمت لإثبات مصداقية ذلك قرائن وأدلّة متعددة.

كذلك بيّنت لك يا عزيزي القارئ المعنى الحقيقي لقول الملك سليمان ﴿ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا ﴾ فاقتبست لك بادئ ذي بدء ما فهمه المفسّرون القدماء بهذا الخصوص. على أن أشرح حقيقة ذلك في الحلقة الثالثة عشرة القادمة.

الحلقة الثالثة عشرة

وهكذا ومن خلال ما اقتبسته لك يا عزيزي القارئ من أقوال الذين فسّروا قديماً قول اللّه عز وجلّ على لسان الملك سليمان ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ فلا بدّ أن تكون قد أدركت من خلاله أنهم رحمهم اللّه قد تبادر لأذهانهم من قول الملك سليمان أنّه أراد الاستيلاء على عرش بلقيس بأسلوب الاختطاف وإحضار العرش لديه. فهل صحّ هذا المعنى الذي ذهبوا إليه؟

أقول: إنهم فهموا ما فهموه لعدم تدبّرهم ألفاظ وصياغة هذه الآية الكريمة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. وليس بغريب أن يتبادر لأذهانهم من هذه الآية الكريمة ما تبادر منها وهم كانوا يعتقدون بأنّ النبي سليمان كان قد تعلّم لغة الطير من جانب ربّه عز وجل وأنّ الهدهد كان طيراً من الطيور. وأنّ الجنّ كان منهم كتيبة في جيشه ويقومون بخارق الأعمال.

وإنّ ما زاد الإبهام في أذهانهم أيضاً أنّهم فهموا إلى جانب ما ذكرناه من معطيات قول اللّه تعالى على لسان الملك سليمان ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ أنّ الملك سليمان طلب من الهدهد الطير أن يحمل رسالته إلى بلقيس ويلقها عليها وليس أن يسلّمها إياها. فنفّذ الأمر أوحت لهم كلمات

﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ أنّ الهدهد كان طائراً وأنّه أُمر أن يلقي الرسالة من الجو. حال أنّ الفعل (يلقي) إذا وردت صلته حرف الجر (على) يتحوّل معناه من الإلقاء من أعلى إلى معنى جديد. فقولك: ألقاه إلى الأرض معناه طرحه. و تقول ألقى إليه بالمودّة والمعنى بلّغه. ونقول ألقى المتاع على الدّابة والمعنى وضعه على ظهرها. وعليه فقوله تعالى﴿: فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ لا يعني اقذف الرسالة من فوق رؤوسهم؛ بل معناه أوصل كتابي هذا إليهم وبلّغهم إيّاها. كذلك فإنّ قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ تؤكّد هذا المعنى الآنف الذكر فلو كان الهدهد طيراً؛ فلا يصّح أن يُقال له (ثمّ تولّ عنهم) لغويّاً إذ أنّ معنى هذا الكلام أن أعرض عن الذي سلّمته الرسالة ودعه (محيط المحيط) وإنّ ما يؤيّد هذا المعنى الذي ذكرته هو أنّ اللّه تعالى أتى بفاء الاستئناف وقال ﴿ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ففعل﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ هنا من(الرجعة) و (الرجوعة) ومعناها جواب الرسالة (محيط المحيط) أي أنّ سليمان أمر الهدهد أن يحمل إليه جواب الرسالة تلك التي حمّله إياها لإيصالها إلى الملكة بلقيس.

والذي يؤكّد هذا المعنى الذي ذهبت إليه هو ما ورد على لسان الملكة نفسها فهي وحسبما ورد في هذه الآيات فقد جمعت مجلس الشورى لديها واستشارتهم بعد أن تسلّمت رسالة الملك سليمان حيث ورد ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ وهي بدورها أوردت فعل﴿ أُلْقِيَ إِلَيَّ ﴾ بمعنى وصلني لأنّها أدخلت حرف الجر (على) على فعل الإلقاء. وبذلك اتضّح أنّ رجلاً حمل الرسالة من سليمان إلى ملكة سبأ فسلم الرسالة إلى أهلها وفق الأصول الدبلوماسية

المتعارف عليها في زمنه. فهذه هي دلالة هذا الكلام المصاغ بلسان عربّي مبين. على حين أنّ العلاّمة الفخر الرازي رحمه الله والذي أخذ بالمعنى المتبادر لذهنه كتب يقول: (ويقال دخل أي الهدهد عليها من كوّة وألقى إليها الكتاب وتوارى في الكّوة).

فهل كان بإمكان الهدهد أن يحمل رسالة في عنقه وهل لديه أصابع يد تساعده على فكّ عقدتها وهل لديه محاكمة عقلّية ليهتدي بها إلى الكّوة المجاورة لعرش الملكة؟

فإن أنت وجّهت هذه الأسئلة إلى المحافظين من أصحاب العقول التقليديّة. فإنهّم يجيبونك بأنّ الله على كل شيء قدير؛ وأنّه قادر على تجاوز قوانينه الطبيّعية. فلا يشعرون بأنهّم باعتقادهم بهذه الخرافة يزايدون على اليهود أنفسهم الذين لا أثر لهذا الزّعم المتعلّق بطائر الهدهد في تاريخهم مع أنّهم اشتهروا بالمغالاة في كلّ شيء. فالنّبي سليمان كان أقلّ شأناً من رسولنا المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم فعلى حين احتاج سليمان إلى رجل مخابرات ليجمع له أخبار الملكة بلقيس؛ فإنّ لمحمد مكاشفات الإسراء والمعراج التي نردّدها على الدّوام ونحتفل بها أيضا.

وعلى هذه الصورة أكون قد ذللّت لك يا عزيزي القارئ هذا الإشكال الثاني الذي استعصى حلّه على المفسرين القدماء في تلك الأيّام. والذي فهموه على غير حقيقته.

رسالة الملك سليمان ومعناها الحقيقي

وأحاول الآن تذليل إشكال ثالث استعصى على المفسرين القدماء حلّه أيضاً يا عزيزي القارئ وهو ما يتعلّق بنصّ الرسالة التي بعث بها الملك سليمان إلى الملكة بلقيس بعدما رفض تسلّم هديّتها. فما هو نصّ تلك الرسالة؟ وهل كانت تلك الرسالة باللّغة العربيّة أم كانت باللغة العبريّة ومترجمةً إلى اللغة العربيّة وبصياغة بلاغيّة معجزة؟؟ فهذه الأسئلة لم تخطر ببال المفسرين القدماء. إذ لا يعقل أن يكون الملك فسليمان كان يتكلّم اللّغة العبريّة وليس العربيّة وبهذه الفصاحة والبيان.

ومن أجل حلّ إشكال رسالة الملك سليمان عليه السلام نستعرض أوّل ما نستعرضه نصّ تلك الرسالة ومن ثمّ نتفحّصها ونتدبّرها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. فنصّ الرسالة وكما ورد في الآيتين 30/ 31 من سورة النّمل ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾.

فالمعلوم هو أنّ المفسّرين القدماء رحمهم اللّه فهموا من هذه الرسالة ما تبادر منها لأذهانهم وهو أنّ الملك سليمان دعا قوم الملكة بلقيس إلى عدم الاستكبار وإلى ترك هوى النفس والانقياد له وقبول دينه الإسلام. فقد أورد ابن كثير رحمه اللّه في تفسير هذه الرسالة يقول:

(وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فإنّه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها. قال العلماء: لم يكتب أحدٌ بسم اللّه

الرحمن الرّحيم قبل سليمان عليه السلام. وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثاً في تفسيره حيث قال: حدّثنا أبي حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلي الخياط حدّثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبي أميّة عن ابن بريدة عن أبيه قال: كنت أمشي مع رسول اللّه (ص) فقال: إني أعلم آيةً لم تنزل على نبيّ قبلي بعد سليمان بن داود. قلت: يا نبيّ اللّه أي آية؟ قال: سأعلّمكها قبل أن أخرج من المسجد. قال: فانتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه. فقلت: نسي.

ثم التفت إليّ وقال: إنّه من سليمان وإنّه بسم اللّه الرحمن الرحيم. هذا حديث غريب وإسناده ضعيف. وقال ميمون بن مهران كان رسول اللّه (ص) يكتب باسمك اللّهم حتى نزلت هذه الآية فكتب ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وقوله ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ قال قتادة يقول لا تجبروا عليّ ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: لا تمتنعوا ولا تتكبّروا عليّ وأتوني مسلمين. قال ابن عباس: موحّدين. وقال غيره: مخلصين. وقال سفيان بن عيينة: طائعين).

فهذا ما كتبه ابن كثير وفهمه من هذه الرسالة. وهو ما ذكرته لك آنفاً. فلم يتساءل رحمه اللّه هل كانت هذه الرسالة مترجمةً عن العبريّة أم كانت حقيقيّة وبلسان عربيّ مبين؟ ولا حظ يا عزيزي القارئ كيف استند ابن كثير في فهمه الآنف الذكر إلى ما ورده من أحاديث ولم يعتمد في ذلك منهجيّة ولا أصول تفسير.

وعليه أقول: إني أرى أنّ اللّه عز وجلّ لم يورد رسالة الملك

سليمان بلغتها الأصلية ولكن أوردها مترجمة وعلى شاكلة ما ترجم بعض الأسماء التي سبق لي أن تعرضت لذكرهم من قبل. وأوردها مصاغة صياغة بلاغية. وسأقدم الأدلة التي تؤيد وجهة نظري هذه في الوقت المناسب.

ونستعيد الآن من جديد نص رسالة الملك سليمان عليه السلام. فألفاظها وهي منقولة إلى العربية في الآية الأولى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. فحرف (إن) ورد للتأكيد وحرف الهاء من قوله ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ يعود إلى الاسم الوارد في آخر الآية التي قبلها وهو كلمة ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ بسبب أن الضمائر تعود إلى أقرب الأسماء إليها.

وعليه يصبح معنى هذه الفقرة ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ أن الكتاب الذي حمله رجل المخابرات المسمى ﴿ ٱلْهُدْهُدَ ﴾ إلى ملكة سبأ كان مرسلا من جانب الملك سليمان. فإن راعينا حرف التأكيد (إن) الذي استهلت به هذه الفقرة ونظرنا إليه باعتبار أنه لم يرد عبثا. فأرى أن هذا التأكيد أشار إلى أن رسالة الملك سليمان كان عليها خاتم سليمان وتوقيعه لذلك استهلت الرسالة بحرف التأكيد (إن) ليشير إلى هذه الحقيقة التي ذكرناها. فهذا هو معنى ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ تأكيدا.

وننتقل من ذلك إلى الفقرة الثانية من هذه الرسالة وهي قوله ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾. فالملاحظ يا عزيزي القارئ أن حرف التأكيد (إن) قد كرر هنا من جديد ومقترنا بضمير الهاء وليصبح ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ فنتساءل: إلى أية الأسماء يعود هذا الضمير الجديد؟ فأقرب

الأسماء إليه هو الاسم ﴿ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ ولا يجوز أن نعيد الهاء هنا إلى ﴿ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴾. فإن نحن أعدنا ضمير الهاء إلى هذا الاسم المحذوف ﴿ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ من نصّ هذه الفقرة الثانية واستبدلنا الهاء بكلمة ﴿ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ المحذوفة يعود نصّها (وإنّ سليمان بسم اللّه الرحمن الرحيم) فما هي دلالة هذا النّص المذكور آنفاً والمؤكّد بحرف (إنّ) المستعمل للتأكيد؟ فلا معنى له.

أقول: إنّ حرف الباء من قوله تعالى ﴿ بِسْمِ ﴾ يفيد هنا معنى الاستعانة. أمّا كلمة ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ فتعني اللّه المبدع بلا مقابل. وأما كلمة ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ فتعني اللّه الذي يعطي عباده أكثر مما يستحقّونه.

واستناداً إلى هذه المعاني لألفاظ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يبدو وجود حذف بالإمكان استنباطه من سباق الكلام وسياقه. وهذا المحذوف هو في نظري هو (قد قَدم لزيارتكم) وليصبح معنى هذه الفقرة الثانية المترجمة من العبريّة إلى العربيّة الفصيحة: هو أنّ الملك سليمان قد قدم لزيارتكم بعون اللّه الرّحمان الذي أبدع هذا الكون بلا مقابل وبعون اللّه الرّحيم الذي يكافئ العامل أكثر من استحقاقاته.

فبهذا المعنى تستقيم دلالات هذه الرسالة المترجمة عن اللغة العبريّة إلى العربيّة والمصاغة صياغة بلاغيّةٌ معجزة أيضاً. وبألفاظ أخرى فإنّ رسالة الملك سليمان التي هي بالعبرية كانت تحمل خاتمه وتوقيعه وتحمل ألفاظها مضموناً يبشّر بعقيدة التّوحيد التي كان يعتقدها النبيّ سليمان عليه السلام والتي ورثها عن النبيّ موسى الذي كان اللّه تعالى قد بعثه

بشريعة توحيد اللّه تعالى من قبل. وهذا المضمون الذي فهمناه من هذه الرسالة كشف عن المقصد الذي جاء النبي سليمان لتحقيقه وهو محاورة بلقيس ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس في مدى مصداقيّة عقيدتها. ولقد أثبت مصداقيّة هذا المقصد المذكور أنّ ملكة سبأ بعثت بهديّة إلى سليمان تختبر المقصد الذي قدم لتحقيقه. فردّ عليها هديّتها قائلا وحسبما ورد في الآية 36 قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾.

وعلى هذه الصورة نكون قد ذللّنا الإشكال الذي استعصى فهمه على المفسرين القدماء والذي نتج عن الآية 30 من سورة النمل هذه بما يتعلّق برسالة الملك سليمان عليه السلام. ولذلك نحاول تدبّر الآية الثانية 31 والتي تشكّل القسم الثاني المترجم من تلك الرّسالة المشار إليها.

ففي الآية 31 ورد قوله تعالى ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾. وهذا النّص استهلّه تعالى بحرف التّحضيض ﴿ أَلَّا ﴾ المختصّ بالجمل الفعليّة الخبريّة وكما هو واردٌ في هذه الآية الكريمة. ثمّ إنّ فعل ﴿ تَعْلُوا۟ ﴾ فقد اشتقّ من قولك: علا فلانٌ في الأرض ومعناه تكبّر وتجبّر. أمّا قوله ﴿ عَلَىَّ ﴾ فالضمير يعود إلى الملك سليمان. وعليه يصبح معنى الفقرة الأولى ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾ الرّجاء أن تتواضعوا في قبولكم لما أطلبه منكم في هذه الرّسالة. فلا تستكبروا عن تلبية ما ورد فيها من طلب.

وأما الفقرة الثانية من هذه الآية الكريمة وهي قوله فيها ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ فقد اشتق فعل ﴿ أْتُونِي ﴾ من قولك أتيته بمعنى جئت عنده. وأمّا كلمة ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ فالإسلام لغة معناه الطّاعة والانقياد والتسليم لأمر الآمر. وتستعمل مجازاً فتطلق على أهل الإسلام. وما دامت قد استعملت هنا كلمة ﴿ مُسْلِمِينَ ﴾ وحسب هذا التسلسل الموضوعي لرسالة ملك يوجهها إلى ملك آخر؛ فقد استعملت إذن بمعنى التسّليم لأمر الآمر وهي قبول دعوته والتسليم بالأمر الواقع (محيط المحيط).

فبالنّظر إلى معاني الألفاظ الآنفة الذّكر يصبح معنى قوله تعالى: ﴿ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أنّ الملك سليمان يطلب منكم أن تتواضعوا وتحضروا عندي للقائي وللاجتماع بي غير رافضين طلبي بالحضور. فهذا هو المعنى الحقيقي لهذه الآية الكريمة وقد توصّلنا إليه بمنهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره.

فإذا نحن دققنا يا عزيزي القارئ في مضمونه هذا نلاحظ أنّ الرّسالة قد صيغت بلغة دبلوماسية راقية وفق النظام الدبلوماسي المتعارف عليه زمن الملك سليمان عليه السلام. وقد ترجم الله عز وجل رسالة نبيه سليمان عليه السلام العبرية إلى اللغة العربية بصياغة بلاغية معجزة يتبادر منها غير مضمونها الحقيقي. وبهذه المعاني يكون الله عز وجل قد حفظ كرامة نبيه سليمان عليه السلام مما نسبه المفسرون القدماء إليه.

ولا أظن أن معاني القدماء قد وضعت سليمان في منزلته الحقيقية بل صورته جبارا يطالب ملكة سبأ أن تصبح مسلمة قبل تقديمه الأدلة

المطلوبة لإقناعها بعقيدته. وعلى هذه الصورة نكون قد أحطنا علماً بأنّ ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ كان رجل مخابرات وقد استبق الأحداث وجمع لسيده المعلومات التي توقّع أن يأمره بجمعها سلفاً. وقد حمّله سليمان عليه السلام رسالته إلى ملكة سبأ وكانت هذه الرسالة تدعوها للقائه في الموقع الذي عسكر فيه على حدود مملكتها. وإنّ قولها بعد استلام الرسالة المذكورة ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ يحمل معنى التشاور مع مستشاريها في الأمر. وقد أقرّ قرار مجلس مشاورتها رأيها وهو أن ترسل هديّة إلى الملك سليمان تجسّ من خلالها نبضه أهو قادمٌ بغرض الاستيلاء على شيء أم أنّه يريد شيئاً آخر. وبالفعل فقد بعثت إليه بهدية وقالت ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ وجاء جواب الملك سليمان عليه السلام ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾. أجابها بهذا الجواب وتوابعه إشعاراً إياها من جانبه أنّه غير طامع بملكها. بل يريد محاورتها فيما آتاه الله تعالى من خير وهو هذا العلم، علم توحيد الله عز وجل وعلم منطق الطيّر.

تمهيد لفهم معنى ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾

وبعد أن اتّضحت في ذهنك يا عزيزي القارئ المعاني الحقيقية لهذه الأحداث من قصة الملك سليما ن أعود بك إلى المشكل الذي نجم عن

قول سليمان ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ وذلك في أذهان المفسّرين القدماء رحمهم اللّه.

فالذي يفهم من هذا القول مباشرة أنّ ملكة سبأ قبلت دعوة سليمان وراحت تستعد للوصول إليه. وأنّ سليمان نفسه من جانبه بدأ يعد العدّة لاستقبالها بما يليق بها من جهة ولتحقيق الغاية التي جاء من أجل تحقيقها من جهة أخرى.

فإن نحن أحطنا هنا علماً بتلك الغاية المقصودة يساعدنا ذلك على فهم قول الملك سليمان ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ هذا القول الذي أشكل فهم أسبابه على المفسّرين القدماء رحمهم اللّه. فإن شاء القارئ العزيز الإحاطة بمعنى هذه الفقرة ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ فلا ينبغي له أن يأخذ بالمعنى المتبادر منها لذهنه ويكون حينئذ قد فعل مثل ما فعله الأقدمون. بل إنّه ينبغي عليه أن يضع في حسابه أنّ النبي سليمان عليه السلام لم يفكّر عند قدومه إلى مملكة سبأ إلى دخولها. وهي حقيقةٌ أثبتتها معطيات الآيات السابقة ولذلك لم تورد هذه الآيات الكريمة أنّ سليمان عليه السلام قد دخل مملكة سبأ واحتلّها بالرّغم من أهميّة ذكر هذه المعلومة لو كانت حصلت في حينه.

ويستدل من ذلك بأنّ الملك سليمان لم يأت صوب مملكة سبأ فاتحاً. بل جاءها زائراً وبقصد محاورة ملكتها في أمور العقائد التي يحملها كلّ طرف من الأطراف وهذه حقيقة تحدث ما بين زعماء الدّول إذ أنّهم يجتمعون للتداول في قضايا تهمّ الجانبين ولتحقيق تقاربٍ فيما

بينهم أيضا . ولا أقول هذا من جانبي بدون تقديم الأدلّة القاطعة على ذلك . بل أقدّم تلك الأدلّة ولذلك أُلفت نظر القارئ العزيز إلى النواحي التالية وهي :

أولاً . أولم يلاحظ القارئ كيف أنّ اللّه تعالى افتتح هذه القصّة بإجمال ذكر النبي سليمان مع ذكر النبي داود بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ﴾ وهل يُقرن اللّه تعالى اسم داود مع اسم سليمان بدون أن تكون وراء ذلك حكمةٌ مقصودة؟ وفي نظري فإنّ اللّه تعالى فعل ذلك تنبيهاً لأذهاننا إلى أنّه سيقصّ علينا قصّة تدور حول العلم الذي منّ به اللّه تعالى على نبيّه سليمان عليه السلام .

ثانياً:ولقد أفصح الملك سليمان نفسه عن هذا العلم الذي تلقّاه من ربّه عز وجل وذلك من خلال قوله هو نفسه : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ أي أنّه تعلّم علم ﴿ مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ أي علم محاكمة الأمور واستنتاجات حقائقها . إلى جانب أنّه تعالى منّ عليه بتسخير كلّ الأشياء الضرورية له كلّ ذلك ليساعد نبيّه سليمان على التّحديث بنعمة ربه عز وجل .

ثالثاً: هذا وإن الله عز وجل أخبرنا أيضاً بأنّ مملكة سبأ التي كانت تعاصر زمنيّاً نشوء مملكة سليمان قد أوتيت تلك الملكة من كلّ شيء من الأشياء بالإضافة إلى اشتهارها بكرسّي العرش العظيم الذي كانت تتباهى بالجلوس عليه أثناء تصريفها لأمور مملكتها .

رابعاً: وقد لاحظ القارئ كيف أنّ الهدهد وهو رجل مخابرات قد استبق الأحداث وتسلّل إلى داخل اليمن وعاد فأفاد سيّده الملك سليمان بقوله ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فذكر القرآن العظيم لهذا القول الذي قاله الهدهد وعلى حسب ما أراه يبدو أنّ اللّه تعالى قد مهّد به ليوضّح للقارئ الفارق العقائدي ما بين اعتقاد أهل المملكتين المذكورتين: مملكة سليمان الموحّدة ومملكة سبأ المشركة وإنّ هذه الحقيقة تدفع ملك كلّ مملكة منهما لينظر بكلّ حذر إلى ملك المملكة الأخرى خصوصاً في ذاك الزّمان الذي كانت تعدّ مملكة سليمان فيه جسماً غريباً على الأمّة العربيّة وكما هو الحال في أيّامنا هذه.

خامساً: ثم إنّ المعلوم من هذه الآيات القرآنيّة أنّ الملك سليمان قد رفض الهدية التي أهدته إياها ملكة سبأ والتي قصدت من ورائها أن تمتحنه لتعرف الدافع الذي قاده نحو مملكتها فإنّ هذه المعلومة تعيننا على معرفة ما نريد معرفته في هذا المجال.

فإن أنت أحطت علماً يا عزيزي القارئ بهذه الأمور الخمسة التي أتيت على ذكرها تعود تفيدك وتساعدك على فهم قول النبيّ سليمان ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ هذا القول الذي أشكل فهم مضمونه على المفسرين القدماء رحمهم اللّه تعالى.

وبإمكاننا تلخيص مضامين هذه النواحي الخمسة التي أوردتها في نقطتين رئيسيّتين:

فالنقطة الأولى: تتمثل في نشوء دولتين كبيرتين في المنطقة العربية هما دولة الملك سليمان التي أوتيت من كلّ شيء ودولة سبأ التي كانت

قد أوتيت من كلّ شيء أيضا.

والنقطة الثانية: تمثلّت في الاختلافات العقائديّة التي تُبعد ما بين هاتين الدولتين المذكورتين مملكة سبأ ومملكة سليمان عليه السلام. و قد شاء سليمان إظهار ما بلغه من قوّة وإمكانيات جعلت من مملكته مرهوبة الجانب. كما شاء إثبات مصداقيّة وصحّة ما اعتقده من معتقدات. وذلك كلّه في مقابل ما أوتيت مملكة سبأ من قوّة وإمكانيات وخطأ ما اعتقدته من معتقدات. ومن باب أنّ الدول الكبيرة يخشى بعضها البعض الآخر لذلك يحاولون التّفاهم فيما بينهم ويعقدون ما بينهم المعاهدات فهذا هو ما حاول سليمان الإقدام عليه. خصوصاً وأنّ مملكته كانت تشكّل جسماً غريباً في الوطن العربي وعلى شاكلة الدّولة العبريّة في هذه الأيام. لذلك كان العرب يحسبون لظهور دولة عبريّة في قلب الوطن العربي ألف حساب.

وهنا أتوقّف لأخلّص لك يا عزيزي القارئ ما تضمّنته هذه الحلقة من معلومات فأقول:

إني أثبتّ للقارئ في هذه الحلقة الثالثة عشرة أنّ نصّ رسالة الملك سليمان والتي بعث بها إلى ملكة سبأ والواردة في الآيتين **30/ 31** من سورة النّمل وردت مترجمةً إلى العربيّة عن رسالة الأصل ومصاغةً صياغةً بلاغيّةً فصيحةً ومعجزة وأدليت لك بالأدلة على مصداقية ذلك. وذلك بعد أن تدبّرتها بمنهجية القرآن وأصول تفسيره.

ومن ثمّ انتقلت من ذلك لحلّ مشكل آخر استعصى على المفسّرين القدماء حلّه ويتعلّق بفهم حقيقة قول الملك سليمان ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ وقد مهّدت للقارئ العزيز من خلال توجيه نظره إلى أمور خمسة قبل أن أكشف له عن المعنى الحقيقي لتلك الفقرة المذكورة ولكي أكشفَ عنه في الحلقة الرابعة عشرة القادمة. فهذه هي خلاصة مضمون هذه الحلقة الثالثة عشرة. فإلى الحلقة الرابعة عشرة.

الحلقة الرابعة عشرة

وبعد أن مهّدت لك يا عزيزي القارئ بما لفتُ نظرك إليه. أذكّرك بملكة النّمل وبالتزامها في حينه بالقوانين الدولية وكيف أنّها أمرت قومها وقالت ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ فبالأحرى أن يلتزم نبيٌّ من أشهر أنبياء بني إسرائيل بالقوانين الدوليّة أيضاً فلا يأمر باختطاف عرش الملكة بلقيس من مكانه تحت سمع قومها وبصرهم. فلو كان يقوم بهذا العمل يهوديٌّ (كالرئيس شارون) على سبيل المثال لكنّا قلنا إنّ هذا المستهتر لم يدّع النبوّة. لكنّنا جميعنا يؤمن بنبوّة الملك سليمان والتي صدّقها كتاب اللّه العزيز. فلا يعقل أن يصدر عنه ما نسبه المفسّرون القدماء إليه. من أنّه شاء السطو على أملاك الغير. خصوصاً وأنّ أحداً من حاشية الملكة بلقيس لم يلحق بها ويخبرها أنّ عرشها قد اختطفه أحد.

وأذكّرك يا عزيزي القارئ أيضاً بأنّ كتيبة الفنّيين المرافقة لجيش الملك سليمان لا بدّ وأن يكون من أعضائها من كان من مهرة النّجارين لتلبية كلّ طلب يأمر به مليكه في تلك الرّحلة. فلا يحتاج صنع كرسي عرش مماثل لعرش الملكة بلقيس إلى أكثر من دفوف خشب وإلى مسامير وإلى بعض الزخرفة؟ وإنّ تلك المعدّات كان من المعقول وجودها في جيش الملك سليمان الذي آتاه ربّه من كلّ شيء.

المعنى الحقيقي لقوله ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾

واستناداً إلى جميع ما ذكرته لك آنفاً فإنّي أرجّح بأن الملك سليمان قد طلب من المقربّين منه صُنع عرش تشبه مواصفاته مواصفات عرش الملكة بلقيس وأنّ طلبه هذا قد ورد مصاغاً صياغةً بلاغيّة معجزةً ولم يورده الله جلّ شأنه بدلالته المتبادرة لذهن السّامع. خصوصاً وأن الاعتبارات التي ذكرتها من قبل تشكّل قرينةً تنقل معنى ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ تنقله من دلالته الحقيقيّة إلى دلالته المجازيّة.

فمن هذا المنطلق أحسب أنّ الملك سليمان وقد كان يستعدّ للقاء ملكة سبأ أنه كان قد أمر الفنّيين من النجّارين أن يصنعوا له كرسيّ عرش مشابه لكرسّي عرش بلقيس ووفق المواصفات التي جاءه بها رجلٌ مخابراته الهدهد. فلا تستغرب منّي يا قارئي العزيز هذا المعنى الذي ذكرته لك. أفلا تسمع ممّن يشّجع فريق الرياضيين ويقول لهم: أيّكم سيأتينا بكأس هذه الدورة؟ فهذا المسؤول المشّجع لا يطالب فريقه بالسطو على كأس الدّورة. بل يطالب أعضاء فريقه ليلعبوا أحسن اللعب ليستحقّوا بذلك الكأس المطلوب إحضاره. وهذا المعنى نفسه ينطبق على هذه المناشدة التي ناشدها النبي سليمان الملأ المرافقين له من الأخصائيين. ناشدهم أن يبرز من بينهم من يستطيع صنع كرسّي عرش مشابه لكرسّي عرش بلقيس فهذا هو المعنى المعقول لقول سليمان عليه السلام الوارد في تلك الآية الكريمة ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن

يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ ولا يعني قوله هذا طلب القيام باختطاف عرش بلقيس من مملكتها بحال من الأحوال.

وهنا قد تنبري يا عزيزي القارئ وتسألني: إن كان الأمر كذلك فما معنى أن يطلب الملك سليمان من حاشيته ويقول بعد ذلك: ﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾؟

أقول في الإجابة على هذا السؤال: إنّه عليه السلام أورد في قوله هذا فعل الأمر ﴿ نَكِّرُواْ ﴾ وقد ورد في معجم (محيط المحيط): نكّر الشيء معناه غيّره إلى مجهول. وهذا الفعل بهذا المعنى قد تضمّن أمراً بصنع عرشٍ لاستقبال بلقيس وبمواصفاته ولكن أن يوجد فيه ما يجعله مجهولاً في نظرها. وقد أيّد هذا المعنى الذي ذهبت إليه ما ورد عن لسان الملكة بلقيس نفسها بعد حضورها إلى حيث كان ينتظر الملك سليمان قدومها أنّها قالت بعد رؤيتها لهذا العرش المصنوع بأيدي المهرة من فنيي كتيبة جيش سليمان فقد ورد ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾.

فهي قالت ﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ ﴾ فالكاف للتّشبيه فالملكة شبّهت ذاك العرش بعرشها مع الاعتراف بوجود فارق لا يُذكر بين العرشين. وبذلك أكون قد ذلّلت هذا المشكل الذي واجه المفسرين القدماء بما يتعلّق بموضوع قوله ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا ﴾ والذي تبادر منه أنّ الملك سليمان أمر باختطاف عرش الملكة بلقيس ملكة اليمن من قاعة عرشها في مملكة سبأ.

حقيقة معنى ﴿ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾

وقد استعصى يا عزيزي القارئ على المفسرين القدماء الإحاطة بمعنى الآية 39 التي ورد فيها ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾.

فأجيب وأقول: إن ابتعاد العرب المعاصرين وعدم تقصيهم عن المعاني الحقيقية لألفاظ لغتهم العربيّة وأخذهم للفّظ القرآنّي الواحد معنى متداولا بينهم؛ هو السبب في أنهم يفهمون من هذه الآية الكريمة غير معناها الحقيقّي. فأنا وضّحت في بداية هذا الكلام عن قصّة سليمان بأن المقصود من كلمة (جنّ) أنها استعملت استعارةً للتّعبير بها عن كتيبة زعماء قبائل الملك سليمان. وأمّا كلمة ﴿ عِفْرِيتٌ ﴾ فإنّ العامّة يوردونها في أحاديثهم بغير معناها الحقيقيّ. ففي معجم (محيط المحيط): تقول رجل عفريت ومعناه أنّه رجل شديد كالليث ويجمع على عفاريت. وقال العزيزي: العفريت من الجنّ والإنس والشياطين هو الرّجل الفائق أوالمتفوّق في فنّه والنافذ في الأمر والدّاهية.

وعليه يصبح معنى هذه الآية الكريمة أنّه كان من أفراد كتيبة (الجنّ) في جيش سليمان أمير أحد أسباط اليهود ومشهورا بكونه رجلا شديدا كالليث وكان قد امتهن مهنة النجارة. فاعتقد في نفسه أن بإمكانه صنع العرش المنشود. وفي مدة لا تزيد عن المدة التي تحتاجها ملكة سبأ للوصول إلى الموقع الذي كان سليمان سيقوم فيه لاستقبالها هناك. لذلك نهض هذا الرجل الشديد وعرض نفسه لصنع العرش المطلوب؛

ومعتزّاً بقوّته الجسميّة ومهارته في فنّ النجّارة. علماً بأن امتهان الأمير لمهنة كمهنة النجارة في الزمن القديم ما كان يعدّ عيباً؛ بل كان يشكّل ضرورةً للامتياز عن الأقران.

وبما أنّ هذا الأمير لم يكن مختصاً وكان مداوماً على مهنة النجّارة؛ فخشي أن يرفض سليمان طلبه لذلك أضاف وقال ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾.

ومن ثمّ نهض فنّيٌ آخر كان مداوماً على مهنته التي كان قد تلقّاها بطريق أكاديميّ. وهذا هو معنى قول الله تعالى بحقّه ﴿ عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾. نهض هذا النجّار المختصّ بالنجارة وقال ليزايد على الرجل الأمير غير المختصّ ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾.. وإنّ قوله هذا أشكل على المفسرين القدماء رحمهم الله أيضاً. علماً بأننا كنّا توصلّنا سابقاً إلى أنّ المقصود من كلمة ﴿ ءَاتِيكَ بِهِۦ ﴾ هو أصنعه لك. وإن هذا الإشكال دفع المفسرين القدماء ليختلفوا فيمن كان صاحب هذا القول المذكور أيضاً. فذهب بعض المفسرين إلى أنّه كان ملكاً وهو جبريل نفسه. وذهب بعضهم إلى أنّه كان إنسياً هو الخضر آصف ابن برخيا وزير سليمان لإحاطته بعلم (الاسم الأعظم) حتى وذهب بعضهم إلى أنّه كان سليمان عليه السلام نفسه. وراح العّلامة الفخر الرّازي رحمه الله يتبنّى هذا المعنى الأخير ويدافع عنه أيضاً في تفسيره الكبير المشهور.

كما اختلف المفسرون القدماء في معنى كلمة ﴿ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ من

قولـه تعـالى ﴿ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ فقـال بعضـهم أنّ المقصود به اللّـوح المحفـوظ . وقيـل كتـاب سـليمان . وقيـل كتـاب بعـض الأنبياء . وتساءلوا أن كيف يأتي بالعرش ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فذهب بعضهم إلى أنّ المقصـود بـه السـرعة والمبالغـة فـي السّرعة ؛ كمـا تقول لصاحبك : افعل هذا لي في لحظة فهذا هو قول مجـاهد علـى حـّد زعمهم وغير ذلك من الأقوال والآراء الواردة في التفاسير القديمة .

وقـد فـهموا مـن كلمـة (الطّـرف) الـواردة فـي هـذه الآيـة الكريمـة (تحريك الأجفان عند النظّر)،وقالوا : هـذا هـو المـراد مـن ارتـداد الطـرف فهل أصاب المفسّرون القدماء رحمهم الله تعـالى فيمـا فـهموه مـن كلمـة (طرف) ومن بقية معاني هذه الآية الكريمة؟

أقول في الإجابة على هذا السؤال : وكيـف كـان بإمكـان المفسـرين القدّمـاء فـهم المقصـود مـن كلمـة (طـرف) الـواردة فـي قـول هـذا الأمـير النجّـار : ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ وقـد أخـذوا للأقوال السابقة ما يتبـادر لأذهانـهم منـها وبمـا يخـالف معطيـات تدبّرهـا بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسـيره؟ فـهذه المنهجيّـة وتلـك الأصـول تقتضي منّا أن ننطلق في فهمنا وتدبّرنا لهذا القول الآنف الذكّر علـى أنـه مصاغ صياغةٌ بلاغيةٌ معجزةٌ وأن مضمونه متصّل موضوعيّاً بمـا قبلـه مـن أفكار وعلى اعتبار وجود تسلسل موضوعّي ما بين هذه الآيـات الكريمـة وأنّ معـاني ألفاظه تـتراوح مـا بـين المعـاني الحقيقيّـة والمجـاز وحسـب الضرورة وبما لا يخالف ما ورد في معاجم اللغويّن فما هي دلالـة كلمـة ﴿طَرْفُكَ﴾ وفق معطيات المعاجم؟

فقد ورد في معجم (مقاييس اللغة) أن الطاء والراء والفاء أصلان وليس أصلاً واحداً. فالأصل الأول يدلّ على حدّ الشيء وحرفه. والأصل الثاني يدلّ على حركته في بعض الأعضاء. ومثال الأصل الأول تقول هذا طرف الثوب. ومثال الأصل الثاني دلالة كلمة (طرف) على تحريك الجفون في النظّر. فهذه كلها معاني حقيقية لكلمة (طرف). وقد تسمّى العين ذاتها (الطرف) مجازاً. حيث تقول: بثّ المسؤول الأمني عيونه لالتقاط الأخبار وتقصد من قولك هذا أنّ المذكور نشر رجال مخابراته هنا وهناك لهذا الغرض. واستناداً إلى هذا المعنى المجازي بالإمكان اعتبار ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ وهو رجل المخابرات المختص في جيش سليمان عليه السلام أنّه يشكلّ عين سليمان على سبيل المجاز.

أما قوله ﴿قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ فالملاحظ هو ورود صلة الفعل (إلى) وراءه وليصبح معنى قوله ﴿يَرْتَدَّ إِلَيْكَ﴾ أي عاد إليك. فمن هو هذا الرجل الذي قيل بشأنه (عاد إليك)؟ هو (عين سليمان) وهو رجل المخابرات ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾. وعليه يصبح معنى قول هذا النجّار المختصّ الماهر ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أنّه يتطوّع لصنع عرش الملكة بلقيس بسرعة أكبر من سرعة ذاك الأمير الذي تطوّع لإنجاز العرش وإنّه يصنع له العرش المطلوب بمدّة أقصر من المدّة التي عرضها النجّار الأمير. فالأمير النجّار حددّ وقتاً يتراوح ما بين مدّة بلوغ ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ قصر الملكة بلقيس برسالة التهديد ودعوتها من جانب سليمان وما بين قبولها بالحضور ومن ثمّ انطلاقها إلى الموقع الذي عسكر فيه الملك سليمان. وما بين وصولها وما بين خروج الملك سليمان لاستقبالها.

فهذا هو مجموع تلك المُدد التي أشار إليها قول هذا العفريت من الجّن الأمير الشديد الذي كان يعمل في فنّ النجارة ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴾ أما هذا النجار المختصّ فقد تطوع من خلال قوله: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ ﴾ أقول تطوّع أن يصنع العرش المطلوب بمّدة أقل من المدّة السابقة بقرّابة نصفها تقريباً .

ولعلّك أدركت يا عزيزي القارئ المعاني الحقيقيّة لهذه الآية الكريمة المصاغة صياغة بلاغيّة معجزة . والتي تبادر منها لأذهان المفسّرين القدماء صوراً من الخرافات والأعاجيب . فنسبوا بذلك إلى كتاب اللّه تعالى ما وقعوا هم أنفسهم فيه من الخرافة واللامعقول .

ولنلاحظ كيف أنّ الله عز وجلّ أتى بعدها بفاء الاستئناف وقال بحقّ نبيّه سليمان ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي ﴾ وأفهمنا بذلك بأن سليمان عليه السّلام فوضّ هذا النجاّر الأخير المختص ليصنع له كرسّي عرش الملكة بلقيس . وقد أوفى هذا النجار المختص بوعده وصنّع له العرش المطلوب ضمن المدّة القصيرة التي حددها لإنجازه . وقد كان هذا الوفاء بالوعد الذي قطعه النّجار على نفسه قد دفع بالنّبي سليمان للاعتراف بفضل الله تعالى عليه الذي آتاه ما آتاه كما دفعه لإبداء الشكر له عز وجلّ .

وعلى هذه الصورة تكون قد تبيّنت لك يا عزيزي القارئ الصورة الحقيقية للمعاني التي صورت لنا ما جرى ما بين الملك سليمان وما بين

رجلين من حاشيته من حوار انتهى بصنع كرسي العرش المشابه لكرسيّ عرش ملكة سبأ مع بعض التّنكير وفي مدّة قليلة لم تتجاوز زمن عودة ﴿ٱلْهُدْهُدَ﴾ من سبأ والذي أورد القرآن الكريم بحقّه كلمة ﴿طَرْفُكَ﴾ أي (عينك) وعلى سبيل المجاز. فإن تبنّيت أنت يا عزيزي القارئ هذه المعاني التي أحطت بها علماً فقد عاد يسهل عليك فهم قول الملك سليمان بعد الانتهاء من صنع العرش المطلوب وهو ﴿قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ فإن أنت أدركت أيضاً دلالة فعل الأمر ﴿نَكِّرُواْ﴾ يكتمل عندك هذا الفهم المطلوب.

ففي «محيط المحيط» إذا قلت نكّر فلانٌ الكرسي وغيره فمعناه غيّر في معالمه وحوّله إلى مجهول. وإنّ عملية تغيير كرسي العرش في أعين ملكة سبأ لا تتحقّق بزيادة في معالمه ومقاييسه. ولكن يتحقّق في إحداث تغيير معالمه من خلال إحداث تغيير في زينته كعمل زيادة لآلئ على للآلئه أو بإحداث زخارف على زخارفه مما يجعل ملكة سبأ بعد إلقائها النظرة الأولى على هذا العرش في حيرة من أمرها: فالشكل هو نفسه لكنّ الزخارف المزخرفة غير الزخارف التي اشتُهر بها عرشها.

وبعد أن صنع النّجار المختصّ العرش المطلوب ونكّره نزولا عند أمر مليكه سليمان عليه السلام وأصبح جاهزاً ووصلت الملكة بلقيس هناك وقدّموا لها ذاك العرش يقول القرآن الكريم عمّا حصل ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا

وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ وإنّ جواب الملكة بلقيس هذا على سؤال الملك سليمان ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ وقولها ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ فيه تصديقٌ للمعنى الذي أوصلتك إليه. فهي قد أتت في جوابها بكاف التّشبيه لتوحي بأنّ هذا العرش يشبه عرشها إلى حدٍّ بعيد لولا هذه الزيادات التي زيدت عليه. وبذلك تكون قد أقرّت من جهةٍ ثانية بنجاح نجّار الملك سليمان المتخصّص في هذا الفنّ فيما أقدم على صنعه. وبذلك يكون الملك سليمان قد أثبت للملكة بلقيس ولأول وهلة وبصورة عملية عظمة الإمكانيّات التي يملكها جيشه. وإشعاراً إيّاها من جانبه بأنّ ربّه قد آتاه من كلّ شيء وعلى شاكلة ما أوتيت هي من كلّ شيء. وبذلك يكون النبيّ سليمان عليه السلام قد حققّ المقصد الأول الذي قدم إلى مملكة سبأ من أجل تحقيقه.

حقيقة معنى قوله ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾

لكنّ الملاحظ يا عزيزي القارئ أنّ الملك سليمان أضاف بعد ذلك يقول ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لذلك كان من المناسب أن نتساءل عن المقصود من قوله المذكور؟

والجواب هو أنّ الملك سليمان علّل بذلك عطاء ربّه عز وجلّ المتعلّق بعقيدته. فهو وضّح من خلال قوله المذكور أنّ هذا العطاء تلقّاه من ربّه جلّ شأنه لكونه وقومه ترعرعوا على الإيمان بوجود اللّه الرحمن

الرحيم وعلى طاعته ووفق ما أنزل اللّه تعالى من تعاليم على النبيّ موسى عليه السلام. ولذلك وضّح اللّه عز وجل في الآية التي بعدها الفرق العقائديّ الذي يفرّق ما بين عقيدة نبيّه سليمان وما بين عقيدة ملكة سبأ وأضاف وقال: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

وبعد هذا الإنجاز كلّه وفي موقع بعيد عن فلسطين يكون الملك سليمان يا عزيزي القارئ قد أثبت للملكّة بلقيس إمكانيات جيشه الدّالة على مصداقية أنّ الله عز وجلّ قد آتاه من كلّ شيء نسبةً لذلك الزمان. وقد أشعرها في الوقت نفسه وبصورة عمليّة بأنّ قوّة مملكته هي على مستوى قوّة مملكة سبأ.

وبقي عليه أن يُقنعها وبصورة عملية أيضاً بمصداقية عقائده التي آمن بها وهي وجود الله تعالى خالقٌ كلّ شيء ومالك هذا الكون وأنّه خارج هذا الكون وليس داخله وأنّه هو المسير الحقيقي لهذا الكون المخلوق. لذلك كان من واجبنا أن نتساءل يا عزيزي القارئ عن كيفيّة تحرّك النبي سليمان عليه السلام من بعد تحقيقه لهذا المقصد الأوّل الذي جاء من أجل تحقيقه. ومن منطلق أنّ الملك سليمان كان قصده من هذه الرّحلة أن يحقّق مقصدين في وقت واحد:

الأول- إشعار الملكة بلقيس بقوةّ جيشه وأنّ اللّه آتاه من كلّ شيء.

والثاني- إقناعها ببطلان ما كانت تعتقده من عقائد قد قامت على الظنون. فإن هو نجح في تحقيق المقصد الثاني يكون الملك سليمان لم يقدم على ما أقدم عليه عبثاً. بل يكون قد حقّق شيئاً عظيماً.

آراء في معنى ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أنّ اللّه جلّ شأنه ما إن فرغ من إطلاعنا على ما أطلعنا عليه بشأن المقصد الأوّل المقصود من رحلة نبيّه سليمان عليه السلام إلاّ وراح يُطلعنا على الخطوة الثانية التي اتّخذها الملك سليمان لتحقيق المقصد الثاني من رحلته هذه وقال ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾. ولقد أشكل فهم هذه الآية الكريمة أيضاً على بعض المفسرين القدماء. فذهب بعضهم إلى أنّ الملك سليمان تمنّى أن يرى سيقان الملكة خشية أن يكون الشعر قد غطاها ففعل ما فعله لتحقيق أمنيته. وأقتبس لك يا عزيزي القارئ ما فسّر به ابن كثير هذه الآية الكريمة. فهو كتب يقول بعد أن أورد هذه الآية:

(وذلك أنّ سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا له قصراً عظيماً من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكنّ الزجاج يحول بين الماشي وبينه. واختلفوا في السبب الذي دعا عليه السلام إلى اتّخاذه. فقيل إنّه لما عزم على تزوّجها واصطفائها لنفسه ذُكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقيها هلبٌ عظيم ومؤخّر أقدامها كمؤخّر الدّابة. فساءه ذلك فاتّخذ هذا ليعلم صحّته أم لا؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره. فلمّا دخلت وكشفت عن ساقيها رأى أحسن الناس ساقاً وأحسنهم قدماً ولكن رأى على رجليها شَعرا

لأنّها ملكة ليس لها زوج فأحبّ أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لا أستطيع ذلك. وكره سليمان ذلك وقال للجنّ اصنعوا شيئاً غير الموسى يذهب به هذا الشعر. فصنعوا له النورة. وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظى والسدي وابن جريج وغيرهم.).

لكنّ العلامة الفخر الرازي رحمه اللّه انتبه إلى أنّ جميع ما أنجزه سليمان في الموقع الذي عسكر فيه، كان المقصد منه أن تصير تلك الإنجازات داعياً لملكة سبأ لقبول عقائد الملك سليمان في موضوع توحيد الله عز وجلّ. فهذا ما صرّح به العلامة الفخر الرازي رحمه الله في تفسيره الكبير حيث كتب يقول:

(إنّ سليمان عليه السلام أظهر من الأمر ما صار داعياً لها إلى الإسلام..).

والمهمّ في الأمر يا عزيزي القارئ هو أنّ قول اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ أشكل فهمه على المفسّرين القدماء على حقيقته وأخذوا منه ما تبادر منه لأذهانهم من أنّ الملكة بلقيس رفعت ثوبها لتخوض الماء الذي حسبته لجّة. لذلك كان عليّ أن أتدبّر من أجلك هذه الفقرة ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره على اعتبار أنّها وردت مصاغة صياغة بلاغيّة وتحمل معنى يتّفق مع معطيات موقعها من تسلسل الآيات الموضوعي. وسأفعل ذلك في الحلقة القادمة والأخيرة.

لكني سأختصر لك يا عزيزي القارئ قبل ذلك ما بيّنته لك في هذه الحلقة الرابعة عشرة فأقول: لقد أثبتّ لك يا عزيزي القارئ في هذه الحلقة الرابعة عشرة أنّ اللّه تعالى أورد قول الملك سليمان ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ﴾ بدلالته المجازية وليصبح المعنى أنّه طلب من حاشيته صنع عرش لاستقبال الملكة بلقيس يحمل نفس مواصفات عرشها الحقيقي ولم يطلب منهم اختطاف عرشها. لكنّه طلب أن ينكّروه بإضافة بعض الزينة عليه ليشتبه أمره عليها حين يقع نظرها عليه وهذا ما كان. ومن ثمّ حاولت تذليل الإشكال الذي نتج عن نصّ الآية 44 من سورة النّمل التي تبادر منها لأذهان بعض المفسرين القدماء ما لم يكن مقصوداً منها بحال من الأحوال. فنقلت ما فهموه ووعدت أن أتدبّر الآية الكريمة المذكورة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره في الحلقة القادمة والأخيرة.

الحلقة الخامسة عشرة والأخيرة

فإن نحن حاولنا تدبّر هذه الآية 44 من سورة النّمل ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾. نتساءل معنى كلمة صرح ؟

فالصرح مصدر ويعني القصر وكلّ بناء عالي ومنه في سورة غافر: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ والصرح أيضاً قصرٌ للملك العراقي بختنصّر قرب بابل.

وهذا المعنى يرشدنا إلى أنّ الملك سليمان في الوقت الذي عسكر فيه على حدود اليمن سارع إلى بناء قصر لاستقبال الملكة بلقيس. أما فعل ﴿ حَسِبَتۡهُ ﴾ اشتقّ من فعل حسبه ومعناه ظنّه. أما كلمة ﴿ لُجَّةٗ ﴾ فتعني معظم الماء (محيط المحيط) وعليه يصبح معنى قول الله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ ﴾ أنه عندما قيل للملكة بلقيس وبعد وصولها إلى معسكر الملك سليمان للقائه والحوار معه؛ أن تدخل الصرح الذي بناه لاستقبالها فيه. فتقدمّت نحوه وحاولت ولوجه ففوجئت بوجود ﴿ لُجَّةٗ ﴾ من الماء أي بركة من الماء فظنّت أنّ عليها أن تخوضها وتجتازها لتصل إلى داخل القصر. ولم تفطن إلى سطح الماء الملس الناعم الزجاجيّ الشفّاف الذي يغطّي تلك البركة المائيّة فهذا هو معنى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ ﴾ أي ظنت أنها تجاه معظم ماء تلك البركة من الماء.

وهنا لاحظ يا عزيزي القارئ أنّ الملكة بلقيس عندما واجهت تلك المُعضلة شكّل ما رأته ملكة سبأ مدعاة لتوقّفها عن الدخول والتفكير في نقطتين أساسيتين فالنقطة الأولى منهما: بحثها عن الطريق الحقيقي لدخول القصر. والنقطة الثانية منهما: هو بحثها عن الأسباب والدوافع الكامنة وراء تجميع مياه البركة أمام مدخل القصر. وكان حدوث ذلك من جانبها يشكّل حالة طبيعية تتملّك كل إنسان يواجه ما واجه الملكة بلقيس في تلك اللّحظات. وهنا تتوق يا عزيزي القارئ لتعرف ماذا حدث بعد ذلك؟ .

فألفت نظرك إلى أنّ اللّه عز وجلّ نفسه راح يجيب على هذا السؤال. فلقد أتى تعالى بواو العطف وقال: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ فإن نحن أخذنا هنا بما تبادر من هذه الفقرة لأذهان المفسرين القدماء رحمهم الله تعالى وهو أنّه بعد أن تراءى الماء لعينيها أنّها رفعت ثوبها وتعرّت ساقاها نكون قد قطعنا هذه الفقرة عن سباقها وسياقها وعن تسلسل الآيات الموضوعي ولا نكون في الوقت نفسه قد تدبّرنا هذه الفقرة بمنهجية هذا القرآن وأصول تفسيره. لذلك توجّب علينا إهمال هذا المعنى الذي أورده القدماء في تفاسيرهم ومن هنا كان من واجبنا إعادة نظرنا فيما ورثناه من معنى ومحاولة تدبّر هذه الفقرة بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

وقبل أن أقوم بهذه العمليّة أحاول تذكيرك يا عزيزي القارئ بمقتضيات التسلّسل الموضوعي لهذه الآيات التي وردت فيها هذه الفقرة

التي نحن بصددها. لذلك أعود بك لأذكّرك بما كتبته من قبل وهو أن سليمان عليه السلام كان قد وضع لرحلته إلى اليمن مقصدين كبيرين:

المقصد الأوّل. أن يثبت لها خطأ عقيدتها وصحّة عقيدة توحيد اللّه جلّ شأنه وهي عقيدته التي كان يعتقدها.

والمقصد الثاني. وهو أن يثبت لها بصورة عمليّة أنّ اللّه تعالى آتاه من الوجهة الدنيويّة من كلّ شيء وأعطاه ما أعطاها من كلّ شيء أيضاً.

وقد أثبت الملك سليمان من خلال بنائه عرشاً مثيلا لعرشها لاستقبالها المقصد الدنيوي الذي أتى لتحقيقه. وبنى لها صرحاً ممرّداً من قوارير ليشعرها بصحّة عقيدته وخطأ عقيدتها. فإن أنت أدركت ما ذكرته لك عاد من السهل عليك فهم حقيقة قول اللّه تعالى ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾. فالساق بمعناها المجازي تدلّ على القوة. وإنّ عمليّة بناء عرش مثيلٍ لعرش بلقيس وبعيدا عن الوطن دلّ على القوّة المادّية. وأمّا بناء الصرح الممرّد من قوارير فقد بناه الملك سليمان للدلالة على صحّة عقيدته التي تمثّل قوّته من الناحية الدينيّة

فإن سألتني: كيف دلّت الفقرة ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ﴾ عمّا ذكرته؟ أقول: أحاول بداية للإجابة على سؤالك أحاول بيان المعنيين الحقيقي والمجازي لكلمة (ساق) فما هي الدلالة الحقيقية لكلمة (ساق) وما هي دلالتها المجازية؟

فلقد أورد (محيط المحيط) وغيره من المعاجم قوله: يطلق الساق على ما بين كعب رجل الإنسان وركبته رجلاً كان أم امرأة. فهذا هو

المعنى الحقيقي لهذه الكلمة. وأما معناه المجازي فهو دلالة كلمة (ساق) على أصل الأمر وحقيقته بحيث يصير هذا الأمر عياناً وواضحاً كما يستعمل مجازاً للدلالة على اشتداد الأمر وعظم الخطب وشدّته. وضرب أصحاب المعاجم أمثلة من آي الذكر الحكيم على مصداقية هذه المعاني المجازية المذكورة وهو قوله تعالى في سورة (ن) حيث قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي يوم يشتد الأمر ويعظم الخطب. ويضربُ كشف الساق مثلا في ذلك وأصله تشمير المخدّرات عن سوقهن في الهرب. أو يوم يكشف عن أصل الأمر وحقيقته. بحيث يصير هذا الأمر واضحاً وعياناً ومستعار من ساق الشجر أو ساق الإنسان. وعندما تقول: قامت الحرب على ساق فمعناه أن الحرب قد اشتدت وحمي وطيسها. وهكذا فإن العرب كانوا يستعيرون كلمة ﴿سَاقٍ﴾ للدلالة على حال الأمر والإخبار عن شدّته وللدلالة على أصل الأمر وحقيقته وجلاء ما كان غائباً منه.

فاستناداً إلى هذه المعاني المجازيّة لكلمة (ساق) وإلى ضرورات التسلسل الموضوعيّ للآيات الواردة فيها هذه الفقرة ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ وبالإضافة إلى أنّ الواو هنا لم تستعمل بمعنى العطف فقط، بل استُعملت دلالةً على الحال لدخولها على الفعل الماضي ﴿وَكَشَفَتْ﴾ فاستناداً إلى هذه العوامل الثلاثة يصبح معنى قول اللّه تعالى ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ أنّ الملكة بلقيس ومن خلال قولها بشأن العرش الذي صنعوه لها ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وعدم تدقيقها في حقيقة هذا الممرّ المائيّ الذي

صمم ليكون مدخلا إلى داخل القصر وظنها بأنها أمام ماء وأن عليها أن تخوضه لتصل إلى داخل القصر. تكون الملكة بلقيس قد كشفت عن ضعفها على هذين المستويين المذكورين والعائدين للمقصدين اللذين جاء الملك سليمان لتحقيقهما. وهما محاولته إظهار تفوقه على بلقيس في الأسباب المادية، وتفوقه عليها في حقيقة العقيدة التي كان يعتقدها. فهي كانت تعبد الشمس وهو كان يعبد مبدع هذه الشمس.

وعلى هذه الصورة فإن سياق هذه الفقرة قد أكد على مصداقية هذا المعنى العميق الذي توصلت إليه. وهو أنها تكون قد كشفت عن ضعفها على المستويين المذكورين المتعلقين بالمقصدين من قدوم الملك سليمان إلى حدود ملكها. وعلى اعتبار كلمة (الساق) وردت هنا بمعناها المجازي. أفلا تلاحظ يا عزيزي القارئ كيف أورد الله تعالى في الفقرة الرابعة من هذه الآية الكريمة يقول وعلى لسان نبيه سليمان عليه السلام ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾؟ فلماذا جمع سليمان الماء وغطاه بالقوارير؟ إلا أن يضعها في هذا المأزق وليثبت لها أن عين الإنسان تخطئ النظر. ولا يكفي أن ترى عيناها عظمة هذه الشمس المطلة عليها من السماء بل إن من واجبها أن تفكر فيما وراء هذه الشمس. وهي القوة التي تحرك هذه الشمس وهي قوة خالقها ومبدعها.

فلما انكشف لعقل ملكة سبأ حقيقة ما دبره الملك سليمان عليه السلام على هذا الصعيد ولتحقيق هذه الغاية والمقصد من وراء ما فعله على عتبة قصره. فطنت إلى دليله العملي ذاك الدليل المقصود به التدليل بواسطته على بطلان عقيدتها.

فالشمس يا عزيزي القارئ كيانٌ ظاهريٌّ خادع للعين لأول وهلة. لذلك يظنّ الإنسان النّاظر إلى هذه الشمس التي تظهر نهاراً وتغيب ليلاً عن أعين الناظرين خصوصاً في تلك الأزمنة البدائيّة، يظنّ النـاظر إليها أنّها إلهٌ يُعبد. حال أنّ الإله هو بمثابة ماء الحياة لهذا الكون فهو الذي أبدع هذا الكون أصلاً وهو المحرّك الأساسي لكل شيء منه. وبهذا الأسلوب الذكيّ المنطقيّ يكون الملك سليمان قد أفلح في تقديم الدّليلين العمليّين اللذين أثبتا مصداقية المقصدين المقصودين من رحلته إلى مملكة سبأ. ويكون الله عز وجلّ والحال هذه قد صاغ خبر جميع ما ذكرناه وتوصّلنا إليه بصياغة بلاغيّة معجزة يعجز أي أديب عن بيانها بمثل هذا العدد القليل من الآيات القرآنية وبمثل هذه الدلالات الواسعة والزّاخرة والعميقة. علماً بأنّ من خصوصيات هذا القرآن العظيم أنّ الله عز وجل يتجاوز حين يورد لنا الأخبار تفاصيلها فيورد المهمّ من الأخبار بعد حذف تلك التفاصيل. فإن شاء القارئ الإحاطة بأهمّ الخصوصيات التي امتاز بها كتاب الله العزيز فليراجع مؤلفي (خصوصيات القرآن المجيد) فهو في طريقه إلى الإخراج والطباعة.

ولاحظ يا عزيزي القارئ كيف أورد الله العزيز بعد ذلك ما يؤكّد مصداقيّة هذه المعاني التي توصّلنا إليها فهو تعالى قال على لسان الملكة بلقيس وقد أقنعتها هذه الحجّة العمليّة التي قدمها لها الملك سليمان، قال: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهل تقول هذا القول بعد رؤيتها الصرح الممرّد من قوارير واطّلاعها على حقيقته إلاّ أن يكون هذا منظره وحقيقته قد أقنعاها بخطأ عقيدتها التي كانت تعتقدها؟

وبذلك يكون اللّه جلّ اسمه قد أخبرنا يا عزيزي القارئ عن قصّة نبيّه سليمان مع ملكة سبأ بصياغة بلاغيّة معجزة لا تُدركُ مضامينها إلا بعد تدبّرنا إياها بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره.

ولا أرى من بأس إذا اختصرت لك يا عزيزي القارئ ما تضمّنته هذه الحلقة الأخيرة فأقول: لقد ذللّت لك يا عزيزي القارئ جميع ما أشكل على المفسرين القدماء فهمه من دلالات الآية 44 من سورة النّمل وذلك من خلال تدبّري إياها بمنهجية القرآن الكريم وأصول تفسيره. وكشفت لك بالتالي عن دلالات هذه الآية الكريمة المشار إليها. والتي أثبتت عظمة صياغة الآيات القرآنية لغةً ومضموناً والتي لا تفهم بما يتبادر منها لأذهان القارئين. ولكن تُدرك معانيها الحقيقيّة إذا تدبّرها المؤمن بمنهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره. فتدبّر.

تلخيص بحث الجنّ حقيقة أم خيال

لابدّ أن لاحظ القارئ العزيز كيف أنّي كنت أختصر له مضمون كلّ حلقة من حلقات هذا البحث بغاية ألاّ ينتقل من حلقة إلى حلقة وقد نسي بعضً ما ورد فيها من معاني وأفكار. ولهذا السببً نفسه أحاول تلخيص مضامين جميع حلقات هذا البحث وذلك بعد أن فرغت من بيان الصورة القرآنيّة الحقيقية لقصّة النبي سليمان عليه السلام والذي خلف أباه داود على العرش. هذه القصّة التي فهمها المفسّرون القدماء من أمتنا رحمهم الله بظاهر دلالاتها وبما تبادر منها لأذهانهم يوم كانوا يجهلون أنّ لهذا الكتاب السماويّ المقدّس القرآن العظيم منهجيّةً وأصول تفسيرٍ مكنونةً ضمن وفي ثنايا آي الذكر الحكيم.

وإنّ قصدي الحقيقي من هذا التّلخيص هو لأساعد القارئ الكريم على تجميع أفكاره وإبداء شكوكه وتساؤلاته وليرسلها إلى صاحب هذه الصحيفة الغرّاء لأوافيه بما استطعت موافاته به.

فأقول: إنّ من أهم أصول تفسير هذا القرآن العظيم أن يُفسّره المفسّر على ضوء معطيات ألفاظه وصيغه العربيّة والمصاغة صياغة بلاغيّةً معجزة. لأنّ ربنا عز وجلّ قد أنزله بلسان عربيٍّ مبين. وإنّ من السخافة والاستهانة بمكانة هذا الكتاب العزيز أن تُفسّر ألفاظه وصيغه بالمصطلحات الشرعيّة التي وضعها الفقهاء القدماء من جانبهم أو أن تُفسّر بأحاديث وصلتنا مرويّة جيلاً عن جيلٍ وكانت قد قيلت بمناسبات

أو مفسّرةً برأي فلان وفلان من الصحابة والتابعين وغيرهم. فلا يجوز أن نُحكِّم أيّ شيءٍ ممّا ذكرناه على القرآن الكريم. والعكس هو الصحيح فالقرآن ذكرٌ خالدٌ على مدى الدّهر وصالحٌ لكلّ زمان ومكان وهو الذي يتحكّم في كلّ شيء ولن يأتي بعده كتاب سماويٌّ ينسّخه أوَ يبدّل مُعطياته. وإنّ كلّ مسلم بعد يومنا هذا يُخالف هذا المنطق الذي وضّحته، ويظلّ متمسّكاً بعقلٍ تقليدي يدفعه للتمسّك بالموروث بلا محاكمة له ولا إعادة نظرٍ فيه فلا يعني هذا أنّه مارقٌ من الإسلام ولكنّه سيكون مسؤولاً عن صحّة فهمه أو خطئه بين يدي ربّه عز وجلّ وبموازينه جلّ شأنه.

أقول: لقد انطلقت في بحث هذا الموضوع من هذا المنطلق الذي ذكرته آنفاً وبدافع ما فتحه ربّي عليّ من علوم منهجيّة القرآن الكريم وأصول تفسيره التي بينتها في الجزء الأول من الكتاب المعنون بهذا العنوان. فإن كنت كاذباً فيما صرّحت به فلا يظننّ أحدٌ من الناس أنّي سأنجو من عقاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، لقول اللّه تعالى المرّة تلو المرّة والمؤكّد بحرف التّأكيد إنّ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ سواء أكان هؤلاء الظالمون أنبياء أو كانوا غير أنبياء، وعلى حسب فهمي واعتقادي.

وأضيف وأقول: لقد نبّهت القارئ العزيز في مقدّمة هذا البحث أنّ لكلّ كلمة عربيّة من كلمات آيات هذا القرآن المعجز العظيم نسبٌ تنتسب من خلاله إلى مجموعة من الكلمات يجمع بينها أصلٌ مؤلّفٌ من ثلاثة أحرف وهي جميعها مشتقّةٌ من تلك الأحرف الثلاثة. وعلى

اعتبار أنّ كلمة (جنّ) هي عربيّة الأصل فلقد أورد لها أصحاب المعاجم عدّة دلالات واستعمالات وبفتح حرف جيمها وبضمّه. كما قدّمت في مقدّمة هذا البحث أدلّةً عقليّةً وأدلّةً نقليّةً أثبتّ من خلالها إطار وحدود رسالة الإسلام التي بعث بها اللّه تعالى محمّداً بن عبد اللّه (ص) ليبلّغها إلى النّاس كافّةً المؤلّفين من حُكام ومحكومين أو من زعماء وأتباع وأنّ محمّداً (ص) لم يكن مكلّفاً بتبليغ رسالته إلى مخلوق آخر غير الإنسان زعم المشركون في الجاهليّة وجوده ونفى اللّه عز وجلّ وجوده فلقد استندت في حلقات بحثي هذا إلى ما ذكرناه آنفاً وانطلقت أوضّح لهذا القارئ الكريم ضمن حلقات هذا البحث المعنى الحقيقي الذي أورده اللّه تعالى لكلمة (جنّ) حيثما أوردها في كتابه العزيز. علماً بأنّه قد ثبت لي ورود معاني أربعة لهذه الكلمة في مختلف آيات السّور القرآنيّة وجميعها مشتقّةٌ إمّا من قولك(جَنَّ) بمعنى خيّم وسيطر وهيمن ، إمّا من (جُنَّ) لمعنى استتر واختفى. وضمن هذه الأحرف الثلاثة الجيم والنون المكرّرة.

فالمعنى الأول استُعملت فيه كلمة (جنّ) في مقابل كلمة (إنس) وعبّرت هاتان الكلمتان عن طبقتين من الناس الأولى منهم مهيمنةٌ على الأخرى ومؤلّفةٌ من زعماء القوم ورؤساؤهم وأمراؤهم. والطبقة الثانية هي طبقة عامة الشعوب التي يتحكّم أفراد الطبقة الأولى في مصائرهم. وقد أوردت الآيات الكريمات اللواتي تضمّنت المعنى الأول المذكور. ودلّلت على مصداقيّة ذلك من خلال سباق الكلمة وسياقها وموقعها من التسلسل الموضوعيّ للآيات الكريمة الواردة فيها هذه الكلمة (جنّ)

بالمعنى الآنف الذّكر. ولقد قدّمت لإثبات مصداقية هـذه الحقيقـة دليلين في مقدّمة هذا البحث أيضاً. وأضيف على ما سبق لي أن ذكرتـه لـك يـا عزيزي القارئ وفي هذا المكان بالذات ما يفيدك في الجزم في مصداقيّـة ما ذكرته لك في هذا المجال. وتسألني: لماذا أجّلت ما تريد ذكره إلـى هـذا الموقع بالذات؟ فأجيبك وأقول: أجّلته إلى الخاتمة بسبب ورود الموقع الذي يساعدنا على ذكره.

فأنت تعلم يا عزيزي القارئ أنّ آخر سورة مـن سور القرآن المجيد هي سورة النّاس. وهي في نظري قد لخّص اللّه عز وجلّ فيها جميع هذه المواضيع التي تكلّمت عن الجنّ والشياطين ضمن سور هذا الكتـاب المقدّس. ممّا لا مجال للتّفصيل فيه في هذا المقام. إلى جانب أنّها لخّصت كلّ موضوع يمتّ إلى التربية والألوهيّة بصلة من الصلات. وهي السورة التي قال اللّه تعالى فيها بعد بسم اللّه الرحمنِ الرّحيم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

فلاحظ يا عزيزي القارئ الآيتين الأخيرتين مـن هـذه السـورة علـى الخصوص. فأنت تقرأ في الأولى منـهما ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فمن هو الذي يوسوس؟ هو ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾. وأيـن يوسـوس؟ إنّـه يوسـوس ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. فلـو كـان (الجـنّ) يوسوسون في صدور النّاس على شاكلة ما يفعله الوسواس الخنّاس.

فكـان ينبغـي أن يقـرن تعـالى كلمـة ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ مـع ﴿ٱلْوَسْوَاسِ

ٱلْخَنَّاسِ﴾ ويقول (من شرّ الجنّة والوسواس الخنّاس). أمّا إذا كان ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ هو وحده يوسوس في صدور الناس وفي صدور الجنّة أيضاً فكان ينبغي أن يختصر اللّه جلّ شأنه الآيتين الأخيرتين في آية واحدة ويقول: (الذي يوسوس في صدور الجنّة والنّاس) وحسب. لكننا لا حظنا بأنّ اللّه عز وجلّ أورد آيتين منفصلتين وقال ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. وحاذفا من الآية الأخيرة كلمتي ﴿يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾.

ولا أدعك يا عزيزي القارئ تحتار بعد الذي ذكرته لك بل أساعدك وأقول: إنّ حرف الجر ﴿مِنَ﴾ الذي استهلّ اللّه العزيز به الآية الأخيرة قد أورده تعالى بما يفيد البيان. وليبيّن اللّه عز وجلّ لنا بأنّ الإنسان مؤلّفٌ من طبقتين من النّاس. الطبقة الأولى هي طبقة الحكّام والأمراء وزعماء القوم وهم الذي صحّ أن يوصفوا بكلمة ﴿ٱلْجِنَّةِ﴾ ولذلك وُصفوا بها في كلّ مكان من سور وآيات هذا القرآن المجيد. والطبقة الثانية من هذا المخلوق (الإنسان) هم أتباع ورعيّة أولئك الحكّام والأمراء والزّعماء. وهم الذي صحّ أن يوصفوا بكلمة ﴿ٱلنَّاسِ﴾. لكونهم أنيسين من حيث طباعهم التي تختلف عن طباع سادتهم الذين اعتادوا أن يأمروا ويعزّ عليهم أن يأمرهم أتباعهم بشكلٍ من الأشكال. فاحفظ يا عزيزي القارئ عنّي هذه المعلومة فإنها لخّصت ما بحثته من أجلك ما يتعلّق بالآيات التي وردت فيها كلمة (الجنّ) بمعنى الحكام ورعيّتهم. فتدبّر.

ومن ثم انتقلت لبيان المعنى الثاني لكلمة (جنّ) والدّال على كلّ غريب عن الوطن العربي، لاستتاره بعيداً عن أعين الأمة العربية وعن التعاملّ معهم إلاّ بصعوبة بسبب فقدان وسائل الاتصال والمواصلات في غابر الأزمان. وفعلت نفس ما فعلته من قبل حيث استنبطّت الأدلة المقنعة والدّالة على مصداقيّة المعنى الثاني المذكور واستشهدّت ببعض المراجع الدّالة على المعنى الذي ذهبت إليه أيضاً.

كذلك انتقلت لبيان المعنى الثالث لكلمة (جنّ) الوارد في كتاب الله العزيز. فوضّحت في الوقت المناسب أنّ الله عز وجلّ أطلقه وشبّه به عصا موسى وهي تهتزّ في أعين السّحرة وأعين الجمع من الناس بالجانّ أولئك الذين اجتمعوا لمشاهدة تحدّي موسى سحرة فرعون. كما نقلت للقارئ الكريم هذا المعنى المذكور مما تضمّنته معاجم اللّغويين الذين أطلقوا لغوياً في الجاهليّة كلمة (جنّ) على الحيّة البيضاء.

ومن ثم انتقلت بعد ذلك في حلقة جديدة لبيان أنّ نفس هذا المعنى الذي أورده القرآن الكريم قد استعارهُ للتّعبير بهً عن البشر الذين وُجدوا قبل تاريخ الإنسان الحاليّ المعروف والذين امتدّ تاريخهم حتى أكثر من خمسة ملايين عام قبل بعثة النبي آدم عليه السلام الذي بعثه الله تعالى في منطقتنا كأول نبيٍّ ليُخرج البشر من سكنى الكهوف للاستقرار في السهول. ولم أغفل عن تقديم الأدلة العلميّة ودلالات سباق الكلام الإلهي الوارد فيه كلمة (جنّ) بالمعنى الثالث المذكور. وقد استغرق بيان المعنى المشار إليه عدة حلقات.

وهنا وبعد أن فرغت من بيان المعاني الثلاثة واستعمالاتها الواردة في كتاب الله العزيز حاولت بعدها تقديم آيتين كريمتين نفيتا المعنى الوثني المتعارف عليه في زماننا والمنسوب لكلمة (جنّ) خطأً وتجنّياً. وأتبعت ذكر هاتين الآيتين المشار إليهما، بتقديم دليل قرآنيٍّ عقلي ينفي المعنى الوثني المذكور.

فلمّا فرغت من ذلك كلّه رحت ألقي الضوء على قصّة سليمان الحكيم التي اشتملت على المعنى الرابع لكلمة (جنّ). واستغرق ذلك كلّه منّي بقيّة حلقات هذا البحث.

وأضيف على ذلك كلّه دراسة موجزةً أجريتها على كلّ ما يتعلّق بفقه الأحرف المؤلفة منها هذه الكلمة (جنّ) لعلّ ذلك يفيد القارئ لهذا البحث (الجن حقيقة أم خيال)؟

فمن المعلوم أنّ لغة الضادّ هي لغةٌ علميّةٌ لا يُضارعها في ذلك لغةٌ أخرى في العالم بشهادة العالم الغربيّ الذي ترجم معجم (لسان العرب) المشهور من العربيّة إلى لغته القوميّة. وعليه أقول إنّ من الدلائل البيّنة على عظمة اللّسان العربي أنّ كلّ كلمة من كلماته استندت إلى معطيات نُطق كل حرفٍ من أحرف كلّ كلمة من كلماته.

فنتناول على سبيل المثال كلمة (جنّ) هذه الكلمة المؤلّفة من الأحرف الثلاثة (ج ـ ن ـ ن). فحرف الجيم يعتبر من الحروف الشّجرية التي تخرج من شجر الفمّ عند النطق بها فالجيم تخرج من وسط اللسان وممّا يُحاذيه من الحَنَك الأعلى. وليس بإمكان الإنسان مدّ صوته فيها

فهي بذلك من الأحرف الشديدة التي يمتنع خروج الصوت معها. والجيم هذه تتّصف في الوقت نفسه بالقلقلة .

أمّا حرف (النون)فيعتبر من الحروف الذّلقيّة التي تخرج من ذَلَق اللسان أي من طرفه. وهي معتبرةٌ أيضاً من الحروف المتوسّطة بين الشديدة والرخوة. وتتصف في الوقت نفسه ليس بالقلقلة، ولكن بالذلاقة والغنّة. فهذه المعلومات تدخل في باب فقه اللغة العربية. ويُضاف إلى ذلك أنّه توجد دوماً علاقة وشجيةٌ ما بين مخارج الأحرف الصوتية مع مدلولاتها ومعانيها. فالجيم تحمل في مخرجها الصوتي الدلالة على الجهد والمشقة. أمّا حرف (النون) فيحمل مخرجه الصوتي معنى الظهور والبروز. فباعتبار هذه الحقيقة التي وضّحتها آنفاً يكون أصل وضع كلمة (جنّ) دالاً على أشياء ظاهرة أصلاً، ولا يدل وكما يزعمون على كيان مستتر.

وأخيراً أرجو أن أكون قد أقنعت من خلال ما بيّنته في هذا البحث (الجنّ حقيقة أم خيال) أن أقنعت هذا الأخ المسلم بخطأ الاعتقاد بوجود كائنٍ ناريٍّ أطلق عليه القرآن الكريم كلمة (جنّ). وأن أكون قد أقنعته ببطلان المفهوم الوثنيّ المتوارث لهذه الكلمة وآخر دعوانا أن ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

20 جمادي الأولى عام 1423 هجري الموافق 25 تموز عام 2002 ميلادي

سليم الجابي

المراجع

1 - تفسير الفخر الرازي .

2 - تفسير ابن كثير .

3 - التفسير الكبير للعلامة مرزا محمود أحمد

4 - فتح البيان .

5 - معجم المحيط .

6 - معجم محيط المحيط .

7 - معجم أقرب الموارد .

8 - منهجية القرآن وأصول تفسيره - سليم الجابي .

9 - نشوء الإنسان وتطوره - سليم الجابي .

10 - علم المستحاثات .

11 - العهد القديم .

12 - العهد الجديد .

الفهرس

- المقدمة 5
- الحلقة الأولى 24
  - تاريخ كلمة (جن) 26
  - (الجن) حقيقة وليس خيال 26
  - (الجن) بمعنى الغرباء عن العرب 29
  - تلخيص مضمون الحلقة الأولى 41
- الحلقة الثانية 43
  - دلالة كلمة (جن) على زعماء القوم 43
  - أدلة مصداقية معنى الزعماء 46
  - دلالة (نفراً من الجن) على الغرباء 48
  - أدلة تثبت معنى الغرباء 50
  - تلخيص مضمون الحلقة الثانية 53
- الحلقة الثالثة 55
  - دلائل ضمنية تدل أن (الجن) هم الزعماء 56
  - حقيقة معنى (إبليس وشيطان) 59
  - آيات أخرى ورد (الجن) فيها بمعنى الزعماء 64
  - تلخيص مضمون الحلقة الثالثة 67
- الحلقة الرابعة 68
  - سورة الإسراء ومعنى كلمة (الجن) 68
  - سورة الأعراف ومعنى كلمة (الجن) 71
  - سورة الأحقاف ومعنى كلمة(الجن) 73

- **الحلقة الخامسة** 75
- الملك سليمان والمقصود من كلمة (الجن) 75
- **الحلقة السادسة** 85
- كلمة (جن) بمعنى الحية 85
- كلمة (جن) بمعنى رجل الكهف 86
- **الحلقة السابعة** 98
- آيات دالة على خلق الإنسان من تراب 98
- تفسير آية (ولقد خلقنا) 104
- **الحلقة الثامنة** 111
- حقيقة التكوين النفسي المشار إليه 113
- آيتان تنفيان المفهوم الوثني لكلمة (الجن) 116
- **الحلقة التاسعة** 125
- دليل عقلي ينفي وجود (الجن) بمفهومه الوثني 125
- حقيقة العلم الذي تلقاه الملك سليمان 129
- **الحلقة العاشرة** 136
- (علمنا منطق الطير) ومعناه الحقيقي 137
- **الحلقة الحادية عشر** 143
- حقيقة عناصر جيش الملك سليمان 145
- دلالات الكلمات (جن، إنس والطير) 146
- كلمة (نملة) وحقيقة دلالتها 150
- **الحلقة الثانية عشر** 159
- (نملة) ملكة ونظام حكمها ملكي دستوري 159
- (فتبسم ضاحكاً من قولها) ودلالته 163
- (هدهد) الملك سليمان وحقيقته 164

- أدلة تثبت كون (الهدهد) رجلاً 170
- آراء المفسرين القدماء بشأن الإتيان بالعرش 173
- **الحلقة الثالثة عشر** 176
- رسالة الملك سليمان ومعناها الحقيقي 179
- تمهيد لفهم معنى (أيكم يأتيني بعرشها) 185
- **الحلقة الرابعة عشر** 191
- المعنى الحقيقي لقوله (أيكم يأتيني بعرشها) 192
- حقيقة معنى (عفريت من الجن) 194
- حقيقة معنى قوله (وكنا مسلمين) 200
- آراء في معنى (وكشفت عن ساقيها) 202
- **الحلقة الخامسة عشر** 205
- تلخيص بحث الجن حقيقة أم خيال 212
- **المراجع** 220
- **الفهرس** 221

يصدر قريباً

هل كان محمد [ص] شهوانياً ؟

أنتم مدعوون لزيارة

موقع المفكر سليم الجابي على شبكة الأنترنت

http://www.saleemaljabi.com

- موافقة وزارة الاعلام 72270
- تصميم الغلاف د. محمد نعيم الجابي